مكتبة مدبولي
Madbouly Bookshop
الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
جو هيل
الشبح
رواية
عاجلا أم آجلاً... سيأتي الموت

الشبح

بسم الله الرحمن الرحيم

الشبح

تأليف
جو هيل

ترجمة
مروان سعد الدين

الدار العربية للعلوم ناشرون ش م ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL

الطبعة الأولى

1428 هـ - 2007 م

ردمك 978-9953-87-216-2

الدار العربية للعلوم ناشرون ش م ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL
عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1 961+)
ص.ب: 5574-13 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت - هاتف 785107 (9611+)
الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف 786233 (9611+)

الكلب الأسود

1

يمتلك جود مجموعة مقتنيات خاصة.

إنه يمتلك رسوماً مؤطرة للأقزام السبعة، يعلّقها على جدار شقته الصغيرة بين أسطواناته البلاتينية. تلك الرسوم رسمها جون وين غيسي عندما كان مسجوناً، وأرسلها إليه. كان غيسي يحب العصر الذهبي لديزني بقدر ما يحب التحرش بالأطفال الصغار؛ وبقدر ما يحب ألبومات جود.

يمتلك جود أيضا جمجمة فلاح ثُقبت في القرن السادس عشر، لإخراج الشياطين منها. ويحتفظ بمجموعة من الأقلام التي حشرها في الحفرة التي تقع في مركز القحف.

كذلك يمتلك جود اعترافاً عمره ثلاثمئة سنة، وقّعته ساحرة تم إحراقها حتى الموت. "لقد تكلمتُ بالفعل مع عراف يمتهن السحر الأسود، وقال لي إنه يستطيع تسميم الأبقار، ودفع الخيول للجنون، وجعل الأطفال مرضى إذا سمحت له بالحصول على روحي، فوافقت، ورضع بعد ذلك من صدري".

يمتلك جود أيضا أنشوطة قوية وبالية استخدمت لشنق رجل في إنكلترا مع بداية القرن التاسع عشر، ولوح شطرنج يعود **لأليستر كرولي** عندما كان طفلاً، وفيلما محترقاً. ومن بين كل الأشياء ضمن مجموعته، لم يكن مرتاحاً أبداً للاحتفاظ بهذا الأخير. كان قد حصل عليه عن طريق أحد رجال الشرطة، والذي عمل سابقاً كرجل أمن في بعض المعارض في لوس أنجلوس. لقد قال الشرطي إنّ شريط الفيديو موبوء. قال ذلك بحماس. وحين شاهد جود الفيلم، شعر بأن الشرطي على حق. لقد كان موبوءاً. وساعد أيضاً، بطريقة غير مباشرة، في تسريع نهاية زواج جود. ولكنّه لا يزال يحتفظ به.

كان معظم ما يملكه من الأشياء في مجموعته الخاصة العجيبة الغريبة عبارة عن هدايا أرسلها له المعجبون به. وكان من النادر أن يشتري جود شيئاً بنفسه يضيفه إلى مجموعته. لكن عندما أخبره **داني وتن**، مساعده الشخصي، أن هناك شبحاً للبيع على الإنترنت، وسأله فيما إذا كان يريد شراءه، لم يكن جود بحاجة للتفكير أصلاً. كان الأمر مثل الخروج لتناول الطعام، والاستماع إلى اسم الطبق الخاص، واتخاذ قرار بطلبه دون النظر حتى إلى القائمة. بعض الإغراءات لا تتطلب إمعان النظر في أي اعتبارات أخرى.

يشغل مكتب داني مساحة ملحقة جديدة، ويمتد من الطرف الشمالي الشرقي لمنــزل جود الريفي الواسع الذي يبلغ عمره 110 سنوات. لا يحمل المكتب، بجوه الهادئ، وأثاثه من شركة **أوفس** – ماكس، وسجاده الصناعي باللونين الأبيض والبني أي سمة شخصية بعكس باقي المنـــزل. وربما كان غرفة انتظار لطبيب أسنان في السابق، إن لم يكن مخصصاً لإعلانات الحفلات الموسيقية التي نشاهدها في أطر من الستانلس – ستيل. وتظهر في إحداها جرّة محشوة بعيون جاحظة تتدلى من آخرها عقد أعصاب مغطاة بالدماء. وكانت تلك مخصصة لجولة "كل العيون عليك".

لم يكن جود يرغب بالقيادة خمس وأربعين دقيقة من **بايكليف** ليصل إلى المكتب المستأجر في **بوغكيبسي** لمتابعة أعماله، لذا كان من الأفضل تواجد داني وتن هنا في المنـــزل. يقبع داني وعمله هنا بالقرب من بعضهما البعض. عندما يكون جود في المطبخ، كان يستطيع سماع رنين الهاتفين هناك، وكان هاتفا المكتب يتوقفان عن الرنين معاً أحياناً، مما يدفعه للجنون. لم يسجل جود ألبوماً منذ سنوات، كما أنه لم يعمل كثيراً منذ أن توفي جيروم وديزي (والفرقة معهما)، لكن الهاتفين ما يزالان يرنان ويرنان. ولم يكن جود يشعر بالراحة من التدفق المتواصل لطلبات أولئك الذين يلتمسون الحصول على بعض الوقت معه، ومن التراكم الذي لا ينتهي للمطالبات القانونية والمهنية، والاتفاقيات والعقود، والترويج والظهور، وعمل شركة **جودا كوين**، الذي لا ينتهي أبداً. وعندما كان يعود إلى المنـــزل، كان يحب التصرف على سجيته، وليس وفقاً لما تمليه عليه العلامة التجارية.

في معظم الأحيان، لا يتواجد داني في بقية أرجاء المنـــزل. وعلى الرغم من كل عيوبه، إلا أنه يبقى حارساً لفضاء جود الخاص. إلا أن داني يعتبر الأمر عادياً

إن ضل جود طريقه إلى المكتب؛ وهذا شيء يفعله جود، دون سعادة كبيرة، أربع أو خمس مرات في اليوم. فجود يعتبر المرور بالمكتب أسرع طريقة للوصول إلى المخزن والكلبين. باستطاعة جود تفادي داني بالخروج من الباب الرئيسي والمشي كل الطريق حول المنـــزل، ولكنه يرفض الدوران حول منـــزله لتفادي داني وتن فقط.

إضافة إلى ذلك، من غير المحتمل وجود شيء يزعج داني على الدوام، ولكنه بكل تأكيد يمتلك شيئا مزعجا على الدوام. فإذا لم يكن لديه أي شيء يتطلب اهتماماً فورياً، فهو يرغب بالتحدث إلى جود. تعود جذور داني إلى جنوب كاليفورنيا، ولذلك فهو لا يتوقف عن الكلام. إنه يستطيع التحدث مع الغرباء بارتياح عن فوائد سنابل القمح، والتي تتضمن جعل رائحة التغوّط مثل العشب المحصود حديثاً. إنه يبلغ من العمر ثلاثين سنة، ويستطيع التحدث عن استخدام المزالج والبلاي - ستيشن مع فتى تسليم البيتزا كما لو أنه في الرابعة عشرة من عمره، كما يستطيع التواصل مع عمال صيانة المكيفات، ويخبرهم كيف أدمنت شقيقته الممنوعات في مراهقتها، وكيف أنه اكتشف جثة أمه بعد انتحارها عندما كان يافعاً. لم يكن جود يعرف معنى الخجل، وعليه كان من المستحيل إحراجه.

كان جود عائداً إلى المنـــزل بعد إطعامه **أنغوس وبون**، وكان في منتصف الطريق عبر حقل ألغام داني - وبدأ يفكر بأنه سيمرّ عبر المكتب دون أن يلاحظه - عندما قال داني: "مرحباً يا زعيم، تفقّد هذا". وكان داني يلفت انتباهه بهذه الجملة فقط، وهي عبارة يهابها جود، ويستاء منها لأنها استهلال لنصف ساعة من الوقت الضائع، والنماذج التي ينبغي إكمالها، والفاكسات التي ينبغي النظر إليها. ثم قال له داني إن هناك شخصاً يبيع شبحاً، عندها نسي جود كل مآخذه تجاه داني. ومشى حول الطاولة حتى يستطيع النظر من فوق كتف داني إلى شاشة حاسوبه.

اكتشف داني الشبح على أحد مواقع المزادات العلنية على الإنترنت، ولم يكن موقعاً للشراء المباشر وإنما موقعاً يسعى ليكون كذلك. حدّق جود بوصف المادة فيما كان داني يقرأ بصوت عالٍ. كان داني سيتوقف عن تناول طعامه لأجله إذا منحه جود الفرصة لذلك. كانت لدى داني نزعة لأن يكون تابعا، والتي كان جود يجدها، بصراحة، معيبة في الرجل.

قرأ داني: "اشتر شبح زوج أمي. توفي زوج أمي الطاعن في السن قبل ستة

أسابيع، بشكل مفاجئ جداً. كان يقيم معنا في ذلك الوقت. فهو لم يكن يمتلك منــزلاً خاصاً به، وكان يقيم عند أحد أقاربه لشهر أو اثنين قبل أن ينتقل إلى منــزل قريب آخر، قبل أن ينتقل مجدداً. لقد تسبب موته بصدمة للجميع، وخصوصاً لابنتي، التي كانت مقربة منه. لم يكن أحد يفكر بأنه على وشك الموت. لقد كان نشيطاً حتى آخر يوم من عمره. لم يجلس أمام التلفاز مطلقاً، وكان يشرب كأساً من عصير البرتقال يومياً. واحتفظ بكل أسنانه".

قال جود: "إنها دعابة سمجة".

قال داني: "لا أعتقد ذلك". وتابع القراءة: "بعد يومين من جنازته، رأته ابنتي الصغيرة يجلس في غرفة الضيوف، التي تقع قبالة غرفة نومها مباشرة. وبعد أن رأته، لم تعد ابنتي ترغب بالبقاء وحدها في غرفتها، أو حتى الصعود إلى الطابق العلوي. قلت لها إن جدّها لن يؤذيها، لكنها قالت إنها خائفة من عينيه. قالت إنهما عبارة عن خربشات سوداء غير مفهومة، وأنهما لم تعودا كما كانتا بعد الآن. لهذا أخذت تنام معي منذ ذلك الوقت.

في البدء اعتقدت أنها مجرد قصة مخيفة تسردها لنفسها، لكن هناك ما هو أسوأ من ذلك. غرفة الضيوف باردة باستمرار. لقد تجولت فيها، ولاحظت أن الأمر أسوأ في الخزانة، حيث كان يعلّق بذلته الرسمية. كان يرغب بأن يتمّ دفنه بتلك البذلة، ولكن عندما جربناها عليه في مقر الحانوتي، لم تبدُ بحالة جيدة. فالناس ينكمشون قليلاً بعد موتهم، بعد أن يجّف الماء من أجسادهم. كانت بدلته المفضلة كبيرة جداً عليه، لهذا سمحنا للحانوتي بإقناعنا لشراء بذله من عنده. لا أعرف لماذا استمعت إليه.

في الليلة التالية التي تلت الوفاة، استيقظت على وقع خطوات زوج أمي. لم يكن السرير في غرفته مرتباً كما كان قبل أن أنام، كما أن الباب كان يُفتح ويُغلق بقوة طوال الوقت. كما أن القطة لم تعد تجرؤ على الصعود إلى الطابق العلوي أيضاً، فقد كانت في بعض الأحيان تجلس في أسفل الدرج وهي تنظر إلى أشياء لا أستطيع رؤيتها. وتحدّق لفترة قصيرة، ثم تموء فيما يرتفع ذيلها في الهواء، وبعدئذٍ تهرب بعيداً.

كان زوج أمي روحانياً طوال حياته، وأعتقد أنه موجود هنا فقط لتعليم ابنتي أن الموت لا يشكل نهاية المطاف. لكنها في الحادية عشرة من عمرها، وتحتاج

لأن تعيش حياة عادية، وتنام في غرفتها الخاصة، وليس في غرفتي. الشيء الوحيد الذي أستطيع التفكير فيه هو محاولة إيجاد منــزل آخر للبابا، والعالم مليء بأشخاص يؤمنون بالحياة الآخرة. حسنا، لديّ الإثبات على ما **أقوله هنا.**

سوف "أبيع" شبح زوج أمي لمن يعدم أعلى عرض. وبالطبع لا يمكن بيع روح فعلاً، لكنني أعتقد أنه سيأتي إلى منــزلك، ويمكث معك، إذا فرشت له السجادة ترحيبا. وكما قلت، عندما توفي، كان يعيم معنا مؤقتاً ولم يكن لديه مكان خاص به، لهذا أنا واثقة من أنه سيذهب إلى مكان يكون مرغوباً فيه. لا تعتقد أن هذه خزعبلات أو دعابة سمجة، وأنني سآخذ مالك دون أن أرسل لك شيئاً. سيحصل العرض الفائز على شيء ملموس مقابل استثماره. سأرسل له بذلته الرسمية. أعتقد أنه إذا كانت روحه مُعلّقة بأي شيء، فلا بد أنها مُعلّقة ببذلته.

إنها بذلة قديمة الطراز وأنيقة جداً من غريت – ويسترن للخياطة. إنها مقلّمة بخيوط فضية الخ، الخ...، وبطانتها من الساتان الخ، الخ... توقف داني عن القراءة وأشار إلى الشاشة. "لاحظ المقاسات يا زعيم. إنها مقاسك بالضبط. العرض الأعلى ثمانون دولاراً. إذا أردت امتلاك شبح، يبدو أنه سيكون لك مقابل مئة دولار".

قال جود: "دعنا نشتريه".

"جدّياً؟ هل تريد تقديم عرض بمئة دولار؟"

تقلصت عينا جود فيما كان يحدّق بشيء على الشاشة تحت وصف المادة مباشرة، وظهرت عبارة تقول "**لك الآن: 1000$**". وتحتها مكتوب: *اضغط للشراء وإنهاء المزاد فوراً!* وضع إصبعه عليها، ونقر على الزجاج.

قال: "لنجعلها ألف دولار وننهي الصفقة".

تحرك داني في كرسيه، ورسم ابتسامة عريضة على شفتيه ورفع حاجبيه. وكان حاجبا داني عاليين ومقوّسين، ويشبهان حاجبي **جاك نيكلسون،** إنه يستخدمهما لترك انطباع رائع. وربما كان يتوقع تفسيراً، لكن جود لم يكن واثقاً من قدرته على تقديم سبب معقول، حتى لنفسه، حول دفع ألف دولار مقابل بذلة قديمة من المحتمل أنها لا تساوي خُمس تلك القيمة. لاحقاً فكّر أنها ربما تكون دعاية جيدة: *جودا كوين يشتري روحاً شريرة*. يقبل المعجبون على مثل هذه القصص بنهم شديد. لكن ذلك يأتي لاحقاً. وكان يعرف آنذاك، في تلك اللحظة، أنه يريد أن يكون الشخص الذي اشترى الشبح.

نكص جود على عقبيه، وأخذ يفكر بالصعود إلى الأعلى ليرى ما إن كانت **جورجيا** قد انتهت من ارتداء ملابسها. وكان قد قال لها أن ترتدي ملابسها قبل نصف ساعة، لكنه توقع أن يجدها ما تزال في السرير. وكان لديه إحساس بأنها خططت للبقاء هناك حتى تدخل في الشجار الذي تتطلع إليه. كانت ستجلس مرتدية ملابسها الداخلية، بينما تطلي بحرص أظفار أصابعها باللون الأسود. أو ستفتح حاسوبها المحمول، وتتصفح موقع إكسسوارات **غوث**، وتبحث عن المسمار المثالي لتنخس به لسانها، كما لو أنها بحاجة للمزيد من الثقوب... ثم دفعت فكرة تصفح الإنترنت جود إلى التراجع، متسائلاً إزاء شيء ما. وألقى نظرة خاطفة على داني.

سأل مع إيماءة من رأسه نحو الحاسوب: "كيف عرفت عن ذلك بأي حال؟"

"وصلنا بريد إلكتروني حول ذلك".

"ممن؟"

"من موقع المزاد العلني. لقد أرسلوا لنا بريداً إلكترونياً يقول *لاحظنا أنكم اشتريتم أشياء مثل هذه من قبل، واعتقدنا أن الأمر يهمكم*".

"اشترينا أشياء مثل هذه من قبل؟"

"أشياء غيبية، على ما أعتقد".

"لم أشترِ شيئاً من ذلك الموقع من قبل".

"ربما فعلت ذلك ولا تتذكر وحسب. أو ربما اشتريت أنا شيئاً لك".

قال جود: "محض هراء. لدي ذاكرة قوية. انتسبت إلى نادي الشطرنج في المدرسة الثانوية".

"انتسبت فعلاً؟ يا لها من فكرة".

"ماذا؟ فكرة أنني انتسبت إلى نادي الشطرنج؟"

"أظن ذلك. يبدو الأمر... رائعاً للغاية".

"نعم. لكنني استخدمت أصابع مقطوعة بدلاً من أحجار الشطرنج".

ضحك داني بقوة، واهتز جسده، ومسح دموعاً وهمية من طرفي عينيه. يا له من شخص متملق ذليل!

2

وصلت البذلة في الصباح الباكر من يوم الأحد. كان جود في الخارج مع الكلبين.

اندفع أنغوس إلى الأمام حالما توقفت شاحنة يو - بي - إس أمام المنـــزل، وأفلت اللجام الجلدي من يد جود. وثب أنغوس على جانب الشاحنة المتوقفة، ومدّ لسانه، وأعمل مخالبه بغضب في باب السائق. بقي السائق خلف المقود، يحدق به بنظرة هادئة ولكنها ذات مغزى، كما لو أنه طبيب يعاين سلالة جديدة من الإيبولا تحت المجهر. التقط جود اللجام الجلدي وسحبه، بقوة أكبر من اللازم. انبطح أنغوس على جانبه فوق التراب، ثم دار حول نفسه ووثب واقفاً، يزمجر. وانضمت بون إلى الحدث بحلول ذلك الوقت، وهي تشد لجامها الجلدي إلى أقصاه، والذي كان جود يمسك به بيده الأخرى، وتنبح بصوت حاد أزعجه.

كانت المسافة بعيدة جداً لسحبهما إلى المخزن ووضعهما في الزريبة، لذا جرّهما جود عبر الساحة وصولاً إلى المدخل الرئيسي، وكان كلاهما يقاوم طوال الوقت. وضعهما خلف الباب الرئيسي، وأغلقه بعنف. فقذفا بنفسيهما عليه مباشرة، ينبحان بشكل هستيري. اهتز الباب فيما كانا يضربانه. يا لهما من كلبين لعينين!

مشى جود متثاقلاً على الدرب، ووصل إلى شاحنة يو - بي - إس في الوقت نفسه الذي كان فيه الباب الخلفي يُصدر صوتاً مزعجاً أثناء انزلاقه للأسفل. ووقف رجل التسليم في الداخل، ثم وثب للأسفل، وهو يحمل علبة طويلة مسطحة تحت ذراعه.

قال موظف يو - بي - إس: "لدى أوزي أوزبورن كلاب بوميران (نوع ذو فراء كثة). رأيتها على التلفاز. كلاب صغيرة لطيفة مثل القطط المنــزلية. هل

فكّرت يوماً في اقتناء زوج من تلك الكلاب الصغيرة اللطيفة؟"

تناول جود العلبة دون أن ينبس ببنت شفة، ومضى إلى الداخل.

حمل العلبة عبر المنـــزل وصولاً إلى المطبخ. وضعها على المنضدة، وسكب لنفسه القهوة. كان جود يستيقظ من النوم مبكراً بطبعه وعادته. وعندما كان يسافر على الطرقات، أو يسجل، اعتاد على الذهاب إلى السرير عند الساعة الخامسة صباحاً والنوم معظم ساعات النهار، ولكن بقاءه مستيقظا طوال الليل لم يكن شيئاً طبيعياً بالنسبة له أبداً. وعندما كان يسافر، كان يستيقظ عند الساعة الرابعة من بعد الظهر، سيىء المزاج، يشعر بالصداع، ومشوشا حول انقضاء الوقت. كان كل الأشخاص الذين يعرفهم يبدون بالنسبة له محتالين أذكياء، غرباء، وقساة القلب يرتدون جلداً مطاطياً وأقنعة وجوه الأصدقاء. وكان الأمر يتطلب كمية وافرة من الشراب حتى يعودوا كما كانوا من قبل.

انقضت حوالى ثلاث سنوات منذ شارك في آخر رحلة. ولم يعد لديه ذلك الاهتمام بالشراب عندما يكون في المنـــزل، وأضحى مستعداً للنوم معظم الليالي بحلول الساعة التاسعة. وفي عمر الرابعة والخمسين، استقر رأيه على الإيقاعات الموسيقية التي أسرته منذ كان اسمه جوستن كاوزنسكي، وكان فتى في مزرعة الخنازير التي يمتلكها والده. لقد كان ابن الغانية الأمّي يسحبه من فراشه من شعره إذا وجده هناك بعد شروق الشمس. كانت ذكريات طفولته عبارة عن الطين، ونباح الكلاب، والأسلاك الشائكة، ومباني المزرعة المتداعية، وأصوات الخنازير الحادة، وجلودها المتقشرة، ووجوهها الهزيلة، وقلة التواصل الإنساني بعيداً عن الأم التي تجلس معظم النهار إلى طاولة المطبخ، وتضع قناع التهاون والتراخي لشخص أجرى عملية خزع الدماغ، ووالده الذي يسيطر على ملكيتهم المؤلفة من قذارة الخنازير والأنقاض بضحكته الغاضبة وقبضاته.

ورغم أن جود كان مستيقظاً منذ بضع ساعات، لكنه لم يكن قد تناول فطوره بعد، وكان يقلي القديد عندما دخلت جورجيا إلى المطبخ. لم تكن ترتدي سوى سروال داخلي أسود، وتلف ذراعيها حول صدرها الصغير الأبيض، فيما ينسدل شعرها الأسود المتداخل حول رأسها. لم يكن اسمها الحقيقي جورجيا. ولم يكن مورفين أيضاً، رغم أنها استعملته عندما عملت كراقصة تعرٍ طوال سنتين. كان اسمها ماري – بث كمبل، وهو بسيط جداً، وسهل جداً، وضحكت عندما أخبرته به

أول مرة كما لو أنه يحرجها.

تعرّف جود على مجموعة من صديقات غوث اللواتي يتعرين، أو يقرأن الطالع، أو يتعرين ويقرأن الطالع، وهن فتيات جميلات يضعن علامات ذات معنى ديني لها أطواق في أعلاها، وطلاء أظفار أسود، واللواتي لقّبهن دائماً نسبة لولايتهن الأصلية، وهي عادة تهتم بها قلة منهن، لأنهن لا يحببن أن يتمّ تذكيرهن بشخص يحاولن محوه بكل مساحيق التبرج التي يستعملنها. كانت جورجيا في الثالثة والعشرين من عمرها.

قالت: "أيها الكلبان الغبيان". ودفعت أحدهما بعيداً عن طريقها بعقب قدمها. كانا يتحركان حول قدمي جود، يجذبهما شذا العديد. "لقد أيقظتني".

"ربما حان وقت الاستيقاظ. هل فكّرت بذلك؟" لم تكن تنهض قبل العاشرة إذا تسنّى لها ذلك.

انحنت داخل الثلاجة لتتناول عصير البرتقال. استمتع بما كان يراه، وبالطريقة التي تتدلى بها أربطة ملابسها الداخلية على جانبي مؤخرتها الناصعة البياض تقريباً، لكنه نحى بنظره جانبا فيما كانت تشرب من العلبة الكرتونية. وبعد أن انتهت تركتها على المنضدة، أيضا. كان العصير سيفسد إذا ترك ولم يُعد إلى الثلاجة.

كان سعيدا بهيام فتيات غوث. وكان يقدّر العلاقة الحميمة أكثر من ذي قبل، ورشاقتهن، ونشاطهن، وأجسادهن الموشومة، واستعدادهن للرقص. لكنه تزوج مرة، من امرأة كانت تستخدم الكؤوس الزجاجية وتعيد الأشياء إلى مكانها بعد الانتهاء منها، والتي كانت تقرأ الصحيفة في الصباح، وقد افتقد لحديثه معها. كان حديثا ناضجا، ولم تكن راقصة تعرٍّ، ولم تكن تؤمن بقراءة الطالع. لقد كانت ناضجة.

استخدمت جورجيا سكيناً عريضة لفتح علبة يو - بي - إس، ثم تركت السكين على المنصدة، والشريط ملتصق بها.

سألت: "ما هذا؟"

كان هناك علبة ثانية داخل الأولى. وكانت محشورة في الداخل، وكان على جورجيا أن تشدها بعض الشيء حتى تسحب العلبة الداخلية إلى المنضدة. كانت كبيرة، ولامعة، وسوداء اللون، وعلى شكل قلب. تأتي السكاكر أحياناً في علب مثل

هذه، رغم أن هذه كانت كبيرة جداً على السكاكر، وتكون علب السكاكر وردية أو صفراء أحياناً. هل هي علبة ملابس داخلية! ولكنه لم يطلب أي شيء من هذا القبيل لها. تقطّب جبينه. لم تكن لديه أدنى فكرة عمّا يوجد فيها، وشعر في الوقت نفسه بأنه يجب أن يعرف، وأن العلبة ذات شكل قلب تحتوي شيئا يتوقعه.

سألت: "هل هذا لأجلي؟"

فتحت الغطاء، وأخرجت ما هو موجود بالداخل، ورفعته أمامه حتى يستطيع رؤيته. بذلة، لقد أرسل له أحدهم بذلة. كانت سوداء وقديمة الطراز، وضاعت التفاصيل بسبب كيس النايلون الخاص بالتنظيف الجاف الملفوفة به. رفعتها جورجيا من الكتفين، أمام جسدها، كما لو أنها فستان تفكر في ارتدائه لكنها تريد الحصول على رأيه أولاً. وكانت نظرتها استجوابية، وظهرت تقطيبة جميلة بين حاجبيها. ولم يتذكر للحظة، ولم يكن يعرف سبب إحضارها.

فتح فمه ليقول لها إن لا فكرة لديه عنها، لكن عوضاً عن ذلك سمع نفسه يقول: "بذلة الرجل الميت".

"ماذا؟"

قال متذكراً أثناء حديثه: "الشبح. اشتريت شبحاً. هناك امرأة مقتنعة بأن زوج أمها يلاحقها. لهذا عرضت روحه الهائمة للبيع على الإنترنت، واشتريتها مقابل ألف دولار. تلك هي بذلته. تعتقد أنها ربما تكون المصدر الذي يخرج منه الشبح".

قالت جورجيا: "آه، لطيف. إذاً، هل سترتديها؟"

تفاجأ بردّ فعله. فلقد دبّ في جسده الخدر، وأضحى فظاً وغريباً نتيجة القشعريرة التي سرت فيه. وللحظة واحدة، صدمته الفكرة الغريبة.

قال: "لا". ورمقته بنظرة دهشة، وسمعت شيئاً بارداً ومنهكاً في صوته. وزادت من ابتسامتها المتكلفة قليلاً، وأدرك أنه يبدو... على ما يرام. ورغم أنه لم يكن خائفاً إلا أنه كان ضعيفاً لحظتها. وأضاف: "لن تناسبني". رغم أن الروح الشريرة، في الحقيقة، كانت تبدو بنفس ارتفاعه ووزنه في الحياة.

قالت جورجيا: "ربما سأرتديها. أنا بنفسي روح هائمة نوعاً ما. وأبدو مثيرة في ملابس الرجال".

ومجددا شعر بالاشمئزاز، وبخدر في الجلد. لا ينبغي لها أن ترتديها. وكان يقلقه أنها تقول النكات عنها، رغم أنه لم يكن يعرف السبب. لم يكن سيسمح لها بأن

ترتديها. وفي تلك اللحظة، لم يكن يستطيع تخيل شيء أكثر بغضاً.

كان لذلك مغزى معين. لم يكن هناك شيء يجده جود أكثر نفوراً من التأمل. ولم يكن معتاداً على الشعور بالاشمئزاز. ولم يكن انتهاك الحرمات يزعجه فقد كسب رزقه من ذلك طوال ثلاثين سنة.

قال محاولاً صرف الفكرة عن ذهنه: "سأضعها في الأعلى حتى أقرر ما أفعله بها". لكنه لم ينجح بذلك تماما.

حدّقت به، مهتمة بهذا التردد في تمالك النفس، ثم سحبت كيس النايلون الخاص بالتنظيف الجاف، فلمعت أزرار السترة الفضية في الضوء. كانت البذلة قاتمة، وداكنة مثل ريش الغراب، لكن تلك الأزرار، التي يبلغ حجم الواحد منها حجم الربع دولار، منحتها سمة ريفية بسيطة. وبإضافة ربطة عنق رفيعة، تصبح مثل شيء ربما ارتداه **جوني كاش** على المسرح.

بدأ أنغوس بالنباح، نباحا عاليا، حادا، ومسعورا. ودفع نفسه للخلف على قائمتيه الخلفيتين، وخفّض ذيله، ورفع قائمتيه الأماميتين بعيدا عن البذلة، فضحكت جورجيا.

قالت: "إنها مسكونة".

أمسكت البذلة أمامها، ولوّحت بها للأمام والخلف، وحركتها في الهواء نحو أنغوس، ورفرفت بها فوقه، مثلما يفعل مصارع الثيران مع القماش الذي يحمله ليثير الثور به. وأطلقت عويلا فيما كانت تحاصره بها، وانطلقت صرختها الطويلة التي تحاكي صوت شبح هائم من حلقها، فيما كانت عيناها تومضان من الفرحة.

زحف أنغوس متراجعاً، وارتطم بكرسي صغير لمنضدة المطبخ، ورماه أرضاً محدثاً جلبة مدوّية. حدّقت بون من تحت حشبة التقطيع القديمة الملطخة بالدماء، فيما ارتفعت أذناها بجانب رأسها. ضحكت جورجيا مجدداً.

قال جود: "أوقفي هذا الهرج حالاً".

رمقته بنظرة سعادة مشاكسة – نظرة طفل يحرق نملا بعدسة مكبرة – ثم تلّوى وجهها من الألم وصرخت. شتمت، وأمسكت بيدها اليمنى. ورمت البذلة جانبا على المنضدة.

سالت نقطة دم لامعة على طرف إبهامها، وسقطت على أرضية المطبخ.

قالت: "اللعنة. دبوس لعين".

"هل رأيت ما جرى لك".

رمقته بنظرة غاضبة، وانتفضت مستهجنة، ومشت ببطء وخيلاء. وعندما خرجت، نهض من مكانه، وأعاد العصير إلى الثلاجة. وألقى السكين في المغسلة، وجاء بمنشفة لتنظيف الدم عن الأرضية، ثم وقع نظره على البذلة، ونسي ما كان على وشك القيام به.

مهّدها، وطوى الكمين فوق الصدر، وتحسسها بحرص، فلم يجد أي دبابيس، ولم يعرف بماذا جرحت نفسها. ثم أعاد البذلة برفق إلى علبتها.

استرعت انتباهه رائحة قوية. ألقى نظرة خاطفة على المقلاة، وشتم. لقد احترق القديد.

3

وضع العلبة على الرف في مؤخرة خزانته، وقرر التوقف عن التفكير بها.

4

كان يمر عبر المطبخ، قبل الساعة السادسة بقليل، ليحضر سجق الشواء، عندما سمع شخصاً يهمس في مكتب داني.

جعله الصوت يقفز ويعود أدراجه. لقد ذهب داني منذ أكثر من ساعة مضت، والمكتب مغلق، وينبغي أن يكون خالياً. مال جود برأسه ليصغي، وركّز بالكامل على الهمس الخافت... وحاول بعد لحظة أخرى تحديد ما يسمعه، وبدأ نبضه يتباطأ.

لم يكن هناك أحد. مجرد شخص يتحدث عبر المذياع. هذا ما فكّر به جود. لم تكن الأصوات منخفضة بما يكفي، واختلف الصوت نفسه بشكل طفيف. يمكن للأصوات أن توحي بالأشكال، وترسم صورة للحجم الذي تشغله في الهواء. فإن للصوت في البئر صدى عميق أجوف، فيما يبدو الصوت في مكان مغلق مضغوطاً، ويفقد كل طاقته. الموسيقى موضوع هندسي أيضاً. في هذه الأثناء كان جود يسمع صوتا كأنه موضوع داخل علبة. لقد نسي داني إغلاق المذياع.

فتح باب المكتب، ودس رأسه في الداخل. لم تكن المصابيح تعمل، ومع وجود الشمس في الطرف الآخر من البناء، غرقت الغرفة في ظل أزرق. كان مسجل المكتب ثالث أسوأ جهاز في المنـــزل، رغم أنه يبقى أفضل من معظم المسجلات المنـــزلية، وهو عبارة عن كومة من مكوّنات أونكيو في خزنة زجاجية قرب مبردة الماء. كانت المؤشرات تضيء بلون أخضر زاهٍ بشكل غير اعتيادي، وهو لون الأشياء التي نراها عبر منظار الرؤية الليلية، عدا عن مؤشر واحد عمودي أحمر متوهج يدل على الموجة التي يتم ضبط المذياع عليها. كان المؤشر طولياً ضيقاً، على شكل عين القطة، ويبدو وكأنه يحدق بالمكتب مثل شخص غريب مفتون دون أن يرف له جفن.

قال الرجل عبر المذياع بصوت أجش هادر: "... هل سيكون برد الليلة قارصاً؟" إنه رجل بدين، استطاع جود تقدير ذلك من خلال صوت زفيره. "هل سيكون علينا أن نقلق من إيجاد متشردين متجمدين حتى الموت؟"

قال رجل آخر، وكان صوته ضعيفا قليلا، ويبدو أنه نحيل: "إن اهتمامك بمصلحة المتشردين مؤثر".

كانت تلك محطة دبليو – أف – يو – أم حيث تسمّى الفرق الموسيقية بأمراض قاتلة (الجمرة الخبيثة)، أو بدرجة التعفّن (الزنخ)، وحيث ينشغل مهندسو الصوت بقمل العانة، وراقصات التعري ويستمتعون بإذلال الفقراء، والمقعدين، وكبار السن. كان هؤلاء معروفين ببث موسيقى جود، على نحو متواصل بشكل أو بآخر، ولهذا يضبط داني الموجة على تلك الإذاعات، كنوع من الولاء والتملق. في الحقيقة، يشك جود بأن داني لا يمتلك ذوقاً موسيقياً خاصاً به، وأشياء يحبها أو يكرهها بشدة، وأن المذياع مجرد صوت خلفية، ومكافئ سمعي لورق الجدران. وفي حال كان داني يعمل لصالح إينا، فهو سيترنم بأغاني فرقة سلتيك عندما يجيب على بريدها الإلكتروني ويرسل الفاكسات.

دخل جود الغرفة ليغلق المسجل، لكنه لم يمض بعيداً قبل أن يتوقف فجأة، ويسترجع ذكرياته. لقد كان قبل ساعة في الخارج مع الكلبين. وكان يقف على طرف المستديرة الترابية، يستمتع بالريح القوية التي تلسع وجنتيه. وكان هناك شخص في آخر الطريق يحرق كومة من أوراق الخريف البالية، وكان سعيداً برائحة الدخان الخفيفة الزكية أيضاً.

خرج داني من المكتب، مرتدياً سترته، ومتجهاً إلى منـــزله. وقفا يتحدثان لدقيقة – أو، حتى يكون الأمر أكثر دقة – وقف داني يمطره بحديث ممل فيما راقب جود الكلبين وحاول التناغم معه. تستطيع دائماً الاعتماد على داني وثن لتعكير صفو لحظة صمت رائعة.

صمت. كان المكتب خلف داني صامتاً. ويستطيع جود أن يتذكر الغربان تنعب، وثرثرة داني المتدفقة المستمرة دون انقطاع، لكن ليس صوت المذياع الذي يخرج من المكتب خلفه. واعتقد جود أنه إذا كان المذياع يعمل عندها، فكان لا بد له أن يسمع شيئاً. كانت أذناه مرهفتين كما هما دائما. واستطاعتا، رغم كل شيء، تجاوز كل ما ابتليتا به طوال السنوات الثلاثين الماضية. وبالمقارنة، عانى عازف

طبل جود، **كيني موركلس**، العضو الآخر الذي ما زال حياً من فرقته الأصلية، من طنين في أذنيه، ولم يعد يستطيع السماع، حتى عندما تصرخ زوجته في وجهه.

مشى جود للأمام مرة أخرى، لكنه لم يكن مرتاحاً مجدداً. لم يكن هناك شيء محدد، بل كان شيئاً غير واضح. كان المكتب معتماً، وكانت هناك عين حمراء متوهجة تحدّق به من واجهة اللاقط. وشغلته فكرة أن المذياع لم يكن يعمل منذ ساعة مضت، عندما وقف داني عند باب المكتب المفتوح يشد زمام سترته. خطرت له فكرة أن أحدهم ربما مرّ منذ وقت قصير عبر المكتب وقد يكون ما زال بالداخل، وربما يراقبه من ظلمة الحمام، حيث الباب مفتوح قليلاً. فكّر بالأمر بارتياب، ولكنه لم يحبه، ولكن الأمر سيّان بالنسبة له. وصل إلى زر التشغيل في المسجل، دون أن يطرق السمع، وعينه تحدّق بذلك الباب. وتساءل عمّا سيفعله إذا بدأ ينفتح.

قال الراصد الجوي: "... بارد وجاف فيما تتجه الجبهة الهوائية الحارة جنوباً. الموتى يسحبون الأحياء للأسفل. إلى الأسفل نحو البرد. إلى أسفل الحفرة. سوف تمو...".

ضغط جود بإبهامه على زر التشغيل، وأوقف المسجل، لكنه كان قد استوعب تماماً ما كان يقال. ارتعش، وفزع وضغط زر التشغيل مجدداً، ليستمع إلى الصوت مرة أخرى، ويكتشف ما كان سيقوله الراصد الجوي للتو آنذاك.

كان الراصد الجوي قد انتهى من الكلام، وظهر صوت مهندس الصوت عوضاً عنه: "... سنتجمد من شدة الصقيع، لكن **كورت كوبيان** يشعر بالدفء في الجحيم. حاذروا".

أصدر الغيتار صوتاً حاداً متذبذباً دون توقف، ودون أي لحن مميز أو هدف باستثناء ربما دفع المستمعين إلى الجنون. افتتاحية نيرفانا "أكره نسسي وأريد الموت". هل كان ذلك ما يتحدث عنه الراصد الجوي؟ كان يقول شيئاً عن الموت. ضغط جود على زر التشغيل مرة أخرى، مما أغرق الغرفة بالصمت مجدداً.

لم يدم ذلك طويلاً، إذ رنّ الهاتف، خلفه تماماً، بصوت جعل قلب جود يخفق فزعاً. ألقى نظرة على طاولة داني، متسائلاً عمن قد يتصل بخط المكتب في تلك الساعة. دار حول الطاولة ليلقي نظرة على رقم المتصل. كان الرقم يبدأ 985، فعرف فورا أنه مخصص لشرق ولاية لويزيانا. وظهر اسم كاوزنسكي، م.

كان جود يعرف، حتى دون رفع السماعة، أن المتصل على الطرف الآخر في الحقيقة ليس كاوزنسكي، م. ما لم تحدث معجزة طبية بالطبع. وكاد ألا يرفع السماعة أبدا، لكنه فكّر بعدها أنها ربما تكون آرلين ويد تتصل لتخبره أن مارتن توفي، وسيكون عليه في كل الحالات التكلم معها عاجلا أم آجلا، سواء رغب بذلك أم لا.

قال: "مرحبا".

قالت آرلين: "مرحبا يا جوستن". العمة آرلين مساعدة طبيب مجازة، رغم أن المريض الوحيد الذي اعتنت به خلال الثلاثة عشر شهرا الماضية كان والد جود. كانت في التاسعة والستين من العمر، وصوتها صادح وفيه غنّة. وسيبقى بالنسبة لها دائما جوستن كاوزنسكي.

"كيف حالك يا آرلين؟"

"كما كنت دائماً. أنت تعرف. أنا والكلب على ما يرام. رغم أنه الآن لا يستطيع التحرك كثيرا لأنه بدين جدا ويشكو من قوائمه. لكنني لا أتصل لأخبرك عن أحوالي أو أحوال الكلب. أنا أتصل بشأن والدك".

كما لو أن هناك شيئا آخر تتصل لأجله. تشوش الخط بصوت عالٍ مزعج. كان جود قد سبق له أن أجرى مقابلة عبر الهاتف مع شخصية إعلامية في بكين، وتلقى مكالمات من بريان جونسون في أستراليا، وكانت الاتصالات صافية وواضحة كما لو أنها تجري من هواتف في الشارع القريب. لكن لسبب ما تبدو المكالمات من مورز – كورنر في لويزيانا مشوشة وخافتة، مثل محطة راديو إي – أم بعيدة جداً بحيث لا يمكن التقاط بثها بشكل جيد. وتتقطع الأصوات في المكالمات الهاتفية الأخرى، ولا يمكن سماعها بوضوح سوى للحظات معدودة ثم تختفي بعد ذلك. وربما يكون الاتصال عبر الإنترنت سريعا في باتون – روج، لكن إذا أردت اتصالا سريعاً مع بقية العالم في بلدات صغيرة قرب المستنقعات شمال بحيرة بونتشارتريان، ينبغي عليك ركوب سيارة والخروج من تلك الأماكن.

"كنت أطعمه بالملعقة خلال الشهور الأخيرة الماضية. طعام سهل البلع حتى لا يكون مضطراً للمضغ. كان يحبه كثيرا. باستيا. مهلبية بالفانيليا. لم يسبق أن رأيت من قبل رجلاً يحتضر لا يرغب بتناول المهلبية في طريقه للعالم الآخر".

"أنا متفاجئ. لم يكن يحب الحلويات إطلاقاً. هل أنت متأكدة؟"

"من يعتني به؟"

"أنت".

"حسناً، إذاً أظن أنني متأكدة".

"حسناً".

"هذا سبب اتصالي. إنه لا يرغب بتناول المهلبية أو الحلوى أو أي شيء آخر. إنه يغصّ بما أضعه له في فمه. لا يستطيع البلع. كان د. **نيولاند** هنا أمس لرؤيته، وهو يعتقد أن والدك مصاب بعلة أخرى".

"جلطة". لم يكن سؤالاً بالتحديد.

"ليست نوعاً من الجلطات القاتلة. ولكن إذا أصابته واحدة أخرى منها، فلا مفر له. سيموت. كانت تلك جلطة خفيفة. لا تعرف أبداً متى يصاب بواحدة من تلك الجلطات الخفيفة. خصوصاً عندما تصبح حالته على ما هي عليه الآن فهو يحدق بالأشياء فقط. لم يقل كلمة لأحد منذ شهرين. ولن يتفوه ببنت شفة مجدداً أبداً".

"هل هو في المستشفى؟"

"لا. نستطيع العناية به هنا مثلهم أو أفضل. أنا أعيش معه، ود.نيولاند يزوره يومياً. لكننا نستطيع إرساله إلى المستشفى. ستكون الكلفة أقل هنا، إذا كان ذلك ما يهمك".

"لا يهمني. دعيهم يوفرون الأسرّة في المستشفى لأشخاص ربما تتحسن حالتهم فعلاً هناك".

"لن أجادلك في هذا الأمر. يموت الكثير من الناس في المستشفيات، وإذا لم تتحسن حالتك، ينبغي أن تتساءل عن السبب".

"إذاً، ما الذي ستفعلينه بخصوص عدم تناوله للطعام؟ ما الذي سيحدث الآن؟"

كانت هناك دقيقة صمت. خطر له أن السؤال فاجأها. كانت نبرة صوتها، عندما تحدثت مجدداً، منطقية ولطيفة وتبريرية، مثل نبرة صوت امرأة تشرح حقيقة مرّة لطفل.

"حسناً. هذا عائد لك، وليس لي، يا جوستن . يستطيع دكتور **نيولاند** إدخال أنبوب تغذية في يده وسيصمد فترة أطول، إذا كان هذا ما تريده. حتى يصاب بجلطة خفيفة أخرى وينسى كيف يتنفس، أو نستطيع تركه على حاله. لن يتعافى

أبداً، ليس بعمر الخامسة والثمانين. لن يكون الأمر كما لو أنه سُرق من شبابه. إنه على وشك الرحيل. هل أنت مستعد لذلك؟"

فكّر جود، لكنه لم يقل إنه مستعد منذ أكثر من أربعين سنة. لقد تخيل أحياناً هذه اللحظة - ربما كان عادلاً القول إن أحلام اليقظة راودته عن ذلك - لكنها حانت الآن، وكان متفاجئاً عندما أحس بألم في معدته.

عندما أجاب، رغم ذلك، كان صوته ثابتاً ويعبر عن شخصيته. "حسناً يا آرلين. لا أنابيب. إذا قلت إنها مسألة وقت، سيكون ذلك كافياً بالنسبة لي. أبقيني على إطلاع، اتفقنا؟"

لكنها لم تكن قد انتهت منه بعد. وأطلقت تنهيدة ضجر، كما لو أنها زفرة قوية، وقالت: "هل ستأتي؟"

وقف إلى جانب طاولة داني، مقطب الحاجبين، ومشوشاً. انتقلت المحادثة من موضوع إلى آخر، دون سابق إنذار، مثل إبرة تنتقل فوق أسطوانة من أغنية إلى أخرى. "لماذا سأفعل ذلك؟"

"هل تريد رؤيته قبل أن يموت؟"

لا. فهو لم يرَ والده، أو يقف معه في الغرفة نفسها منذ ثلاثة عقود. لم يكن جود يرغب برؤية الرحل العجوز قبل موته، ولم يكن يرغب بإلقاء نظرة عليه بعد ذلك. لم تكن لديه خطط للقيام بأعمال مثل حضور الجنازة، رغم أنه سيكون الشخص الذي يدفع تكاليفها. كان جود خائفاً مما سيشعر به؛ أو مما لن يشعر به. سيدفع ما ينبغي عليه دفعه حتى لا يكون بصحبة والده مجدداً. كان ذلك أفضل شيء يستطيع المال شراءه؛ البعد.

لكنه لم يكن يستطيع قول ذلك لآرلين ويد، أو إخبارها بأنه ينتظر موت الرجل العجوز منذ كان في الرابعة عشرة من عمره. أجاب عوضاً عن ذلك: "هل سيشعر بوجودي حتى إذا كنت هناك؟"

"من الصعب تحديد ما يشعر به أو لا. إنه يتعرف إلى الناس الذين يدخلون إلى غرفته. إنه يجول بناظريه ليشاهد الناس يأتون ويذهبون. مؤخراً أضحى أقل استجابة، على ما اعتقد. هذا ما يؤول إليه حال البشر عندما يصلون إلى تلك المرحلة".

قال جود باحثاً عن أسهل كذبة: "لا أستطيع المجيء. ليس ممكناً هذا

الأسبوع". اعتقد أن المحادثة ربما انتهت، وكان مستعداً لتوديعها. ثم فاجأ نفسه بطرح سؤال، لم يكن يعتقد أنه يجول بخاطره حتى سمع نفسه يقوله بصوت عال:

"هل سيكون ذلك صعباً؟"

"الموت بالنسبة له؟ الآن. عندما يصل رجل عجوز إلى هذه المرحلة، يصبح ضعيفاً جداً بسرعة عندما لا يحصل على الطعام. إنهم لا يعانون بتاتاً".

"هل أنتِ واثقة من ذلك؟"

سألت: "لماذا؟ هل خاب أملك؟"

5

بعد أربعين دقيقة، دخل جود إلى الحمام لينقع قدميه – قياس 14، مسطحتان، ومصدر ألم مستمر بالنسبة له – فوجد جورجيا تنحني فوق المغسلة تمص إبهامها. كانت ترتدي قميصاً قصير الردنين، وسروال بيجاما عليه نقش جميل من الأشكال الحمراء الصغيرة التي ربما تكون قلوباً. وفقط عندما تقترب يمكنك رؤية أن كل تلك الأشكال الحمراء الصغيرة ليست سوى صور لأرانب ميتة متعفنة.

مال نحوها، وسحب يدها من فمها ليفحص إبهامها. كان طرف الإصبع متورماً، وعليه تقرح أبيض يبدو رقيقاً. ترك يدها وابتعد عنها، غير مبالٍ، وسحب منشفة عن مشجب الملابس ورماها فوق كتفه.

قال: "ينبغي أن تضعي شيئاً عليه قبل أن يتقيح ويتعفن. فرص العمل أقل لراقصات التعري في حال وجود تشوه ظاهر".

"أنت وغد تتظاهر بالتعاطف، هل تعرف ذلك؟"

"إذا أردت التعاطف، اذهبي إلى **جيمس تايلور**".

ألقـــى نظرة خاطفة من فوق كتفه عليها فيما كان يخرج من الحمام. عندما كان يقول ذلك، كان هناك جزء منه يرغب بالتراجع عما يقوله. لكنه لم يتراجع عن كلامه. تحـــتاج الفتيات اللواتي يضعن سواراً معدنياً وطلاء شفاه أسود لامع مثل جورجيا إلى القســوة. يحتجــن إلى إثبات شيء ما لأنفسهن حول مدى قدرتهن على التحمل لإثبات أنهــن قويـــات. وهذا هو سبب مجيئهن إليه، وليس بسبب الأشياء التي يقولها لهن أو الطريقة التي يعاملهن بها، ولكن بسبب تلك الأشياء. لم يكن يرغب بأن ترحل إحداهن محبطة. وكان مفهوماً أنهن سوف يرحلن سواءً كان ذلك عاجلاً أم آجلاً.

أو على الأقل هو يفهم ذلك، وإذا لم يفهمن في البداية، كن دائماً يفهمن أخيراً.

6

كان أحد الكلبين في المنـــزل.

استيقظ جود بعد الثالثة صباحاً بقليل على صوته وهو يسير في الرواق، وسمع حركته المتواصلة التي يصدر عنها صوت خشخشة وهسهسة خفيفة، وطرقة ناعمة على الجدار.

كان قد وضعهما في حظيرتهما قبل حلول الظلام تماماً، ويتذكر قيامه بذلك بكل وضوح، ولكنه لم يقلق حول تلك الحقيقة في اللحظات القليلة الأولى بعد استيقاظه. لقد دخل أحدهما المنـــزل بطريقة ما، وهذا كل ما في الأمر.

جلس جود للحظة، والنعاس ما يزال يغلب عليه. وسقط شعاع أزرق من ضوء القمر على جورجيا، النائمة على بطنها إلى يساره. كانت تحلم، ووجهها مرتاح ونظيف من كل مساحيق التجميل، وبدت مثل طفلة صغيرة، وشعر بحنان مفاجئ نحوها، وإحراج غريب أيضاً لأنه وجد نفسه في السرير معها.

تمتم: "أنغوس؟ بون؟"

لم تتحرك جورجيا. لم يكن يسمع شيئاً في الردهة آنذاك. انسل خارجاً من سريره. وتفاجأ من الرطوبة والبرد. كان ذلك اليوم الأبرد منذ شهور، واليوم الأول الحقيقي في الخريف، وكان الهواء قارصا، مما يعني أن البرد سيكون أشد في الخارج. ربما يكون ذلك هو السبب في دخول الكلبين إلى المنـــزل. ربما حفرا تحت جدار الحظيرة وخرجا بطريقة ما، يسعيان للحصول على الدفء. لكن ذلك لم يكن منطقيا. كان لحظيرتهما بابان في الوقت نفسه، ويستطيعان الذهاب إلى المخزن الدافئ إذا أحسا بالبرد. بدأ بالتحرك نحو الباب، ليسترق النظر إلى الردهة، ثم تردّد عند النافذة، ووقف بجانب الستارة لينظر إلى الخارج.

كان الكلبان في النصف الخارجي من الحظيرة، كلاهما، يقفان بجانب الجدار. كان أنغوس يتحرك جيئة وذهابا فوق العش، وجسده الطويل والأملس يرتعش، بينما جلست بون بهدوء في الزاوية. كان رأسها مرفوعا، ونظرتها ثابتة على نافذة جود؛ عليه. كانت عيناها تلمعان بلون أخضر غير طبيعي في الظلام. كانت هادئة للغاية، ولا يهتز لها جفن، كما لو أنها تمثال كلب وليست كائنا حقيقيا.

كان النظر عبر النافذة ورؤيتها تحدّق به مباشرة مخيفاً، كما لو أنها تراقب الزجاج منذ مدة طويلة جدا في انتظار خروجه. لكن ذلك لم يكن سيئا بقدر معرفته أن هناك شيئاً آخر في المنـــزل، يتحرك باستمرار، ويصطدم بالأشياء الموجودة في الردهة.

ألقى جود نظرة على لوحة جهاز الأمن بجانب باب غرفة النوم. كان المنـــزل مراقبا، من الداخل والخارج، بمجموعة من أجهزة رصد الحركة. ولم يكن الكلبان كبيرين كفاية لإطلاق جهاز الإنذار، لكن الجهاز سيعمل في حال دخول رجل بالغ إليه، وسيرصد أي حركة في هذا الجزء من المنـــزل أو ذاك.

كان المؤشر، بكل الأحوال، ثابتا على الضوء الأخضر ولا يظهر شيء على الشاشة سوى "النظام يعمل". تساءل جود فيما إذا كانت الرقاقة الإلكترونية مصممة بشكل جيد لتتعرف على الفرق بين كلب ومخبول عار يتحرك على يديه وقدميه مع سكين بين أسنانه.

كـــان لـــدى جود بندقية، لكنها موجودة في أستوديو التسجيل الخاص به، وداخل الخـــزنة. أمسك بغيتار دوبرو المسنود على الجدار. لم يكن جود من ذلك النوع الذي يحطم غيتارا لأي سبب كان. علما أن والده كان قد حطم أول غيتار لــــه، في محاولة مبكرة لتخليص جود من طموحاته الموسيقية. لم يكن جود قادرا على تكرار ذلك العمل بنفسه، ليس حتى على المسرح، تباهيا، عندما كان يستطيع الحصول على الأعداد التي يريدها من أجهزة الغيتار. على كلّ حال، كان قادرا تماما على استخدام أحدها كسلاح للدفاع عن نفسه. ويعتقد أنه استخدمها دائما كأسلحة بطريقة ما.

سمع وقع أقدام على أرضية الغرفة، ثم أخرى، وبعدها تنهيدة، كما لو أن شخصا ما يرتاح. تسارع نبضه، وفتح الباب.

لكن الردهة كانت خالية. مرّ عبر مستطيل طويل من الضوء الناصع البياض، الذي رسمته الكوة في سقف البيت. وقف بجانب كل باب مغلق، وأطرق السمع، ثم

جال ببصره في الداخل. وبدت بطانية ملقاة على كرسي، للحظة واحدة، مثل قزم مشوّه يحدّق به. ووجد في غرفة أخرى شكلاً طويلاً هزيلاً يقف خلف الباب، وقفز قلبه من صدره، وكاد يلوّح بالغيتار. ثم أدرك أنه مشجب المعاطف، وتنفس الصعداء.

فكّر لدى وصوله إلى الأستوديو الخاص به، في نهاية الردهة، بجلب البندقية، لكنه لم يفعل. لم يكن يريدها معه؛ ليس لأنه كان خائفاً من استخدامها، لكن لأنه ليس خائفاً كثيراً. كان قلقاً من أن يكون ردّ فعله عند سماعه حركة مفاجئة في الظلام بالضغط على الزناد وإصابة داني وتن أو مدبرة المنــزل، رغم أنه ما من سبب يدعوهما للتواجد في المنــزل في مثل تلك الساعة كما يعتقد. عاد إلى الممر، ونزل إلى الطابق الأسفل.

بحث في الطابق الأرضي، فلم يجد سوى الظلال والسكون، والذي ينبغي أن يكون مصدر طمأنينة له، ولكنه لم يكن كذلك. كان ذلك النوع من السكون الذي يخفي شيئاً ما، السكون الصاعق الذي يلي انفجار قنبلة. اهتزت طبلتا أذنيه من ضغط كل ذلك السكون الهادئ المروّع.

لم يكن بوسعه الاسترخاء، لكنه تظاهر بذلك عند أسفل السلالم، وكان الأمر أشبه بتمثيلية عليه أداؤها لوحده. أسند الغيتار إلى الجدار، وأضحى صوت تنفسه مسموعاً.

قال: "ما الذي تفعله؟" لكنه أضحى محرجاً جداً عندها من صوته الذي وهنت عزيمته، وسرت قشعريرة باردة في ساعديه. لم يكن أبداً من الأشخاص الذين يتكلمون مع أنفسهم.

صعد السلالم ودخل الردهة متجهاً نحو غرفة النوم. ووقع نظره على رجل عجوز، يجلس على كرسي هزّاز بجانب الجدار. حالما رآه جود، تزايد خفقان قلبه منذراً بالخطر، ونظر بعيداً، وثبّت نظرته على باب غرفة النوم، حتى لا ينظر إلى الرجل العجوز سوى من طرف عينه. وفي اللحظات التي تلت ذلك، شعر جود أن عدم النظر إلى الرجل العجوز مسألة حياة أو موت، وأنه ينبغي ألا يشعر بوجوده. وقال جود لنفسه إنه لم يرَه، وأنه لم يكن هناك أحد.

كان الرجل العجوز مطأطأ الرأس. لم تكن قبعته على رأسه، وإنما على ركبته. كان شعره خشناً، ولامعاً. وتلمع أزرار مقدمة سترته في الظلام تحت ضوء

القمر. تعرف جود على البذلة بلمحة بصر. كان قد رآها آخر مرة مطوية في العلبة السوداء التي على شكل قلب عندما وضعها في مؤخرة خزانته. كانت عينا الرجل العجوز مغلقتين.

وثب قلب جود من مكانه، وكافح حتى يستطيع التقاط أنفاسه، وتابع السير نحو باب غرفة النوم، التي تقع في نهاية الردهة. وفيما كان يتجاوز الكرسي الهزّاز، بجانب الجدار اليساري، لامست ساقه ركبة الرجل العجوز، فرفع الشبح رأسه. لكن جود كان قد تجاوزه عندها، ووصل تقريباً إلى الباب. كان حريصاً على أن لا يولّي الأدبار. ولم يكن مهما بالنسبة له فيما إذا كان الرجل العجوز يحدّق به من الخلف، طالما أنهما لا ينظران إلى بعضهما مباشرة، وإضافة إلى ذلك، لم يكن هناك رجل عجوز.

دفع نفسه إلى غرفة النوم، وأغلق الباب خلفه. ذهب إلى سريره مباشرة، ودخل فراشه، وبدأت أوصاله ترتعد فورا. وكان جزء منه يرغب بالاقتراب من جورجيا واحتضانها، لعل جسدها يدفئه، ويبعد البرد عنه، لكنه بقي على جانبه من السرير حتى لا يوقظها. وحدّق بالسقف.

كانت جورجيا تتململ في الفراش وتبدو غير مرتاحة في نومها.

7

لم يتوقع أن ينام، لكنه غفا مع انبلاج أشعة الفجر الأولى، ثم استيقظ متأخراً على غير عادته، بعد التاسعة. كانت جورجيا على جانبها، ويدها الصغيرة على صدره وتتنفس بهدوء على كتفه. انسل خارجاً من السرير بعيداً عنها، ودفع بنفسه إلى الردهة، ونزل السلالم.

كان غيتار دوبرو مسنوداً على الجدار حيث تركه. واضطرب لدى رؤيته. كان يحاول التظاهر بأنه لم ير ما رآه في الليل. كان قد وضع هدفاً نصب عينيه بألا يفكر فيه. لكن غيتار دوبرو كان هناك.

عندما نظر جود عبر النافذة، شاهد سيارة داني متوقفة قرب المخزن. لم يكن لديه شيء يقوله لداني ولا سبب يدعوه لإزعاجه، لكنه وصل في اللحظة التالية إلى باب المكتب. لم يستطع منع نفسه. كان التواجد بصحبة إنسان آخر، شخص مستيقظ راجح العقل ورأسه مليء بالهراء اليومي، أمراً لا يمكن مقاومته.

كـــان دانـــي يستخدم الهاتف، مرتاحاً على كرسي مكتبه، يضحك على شيء ما. كـــان مـــا يزال يرتدي سترته الجلدية. لم يكن جود بحاجة لسؤاله عن السبب. كان ما يزال هو الآخر يضع رداءه على كتفيه، ويتململ تحته، فلقد كان المكتب بارداً ورطباً.

شاهد داني جود ينظر إليه عند الباب، فغمزه بعينه، وكانت تلك إحدى عاداته المفضلة التي اكتسبها من هوليوود، رغم أن جود لم يمانع ذلك في هذا الصباح خصوصاً. ثم لاحظ داني شيئاً على وجه جود، وقطّب حاجبيه. تلفظ بكلمات: *"أنت بخير؟" ولكن* جود لم يجب. فهو لم يكن يعرف.

تخلص داني ممن كان يتحدث إليه، ودار في كرسيه ليرمقه بنظرة قلق. "ما الذي يحدث، يا زعيم؟ تبدو بحالة مزرية".

قال جود: "وصل الشبح".

سأل داني، مذهولاً: "حقاً، هل فعل؟" ثم تمالك نفسه، حتى لا يبدو صوته ساخرا. أشار برأسه نحو الهاتف. "كان هؤلاء جماعة التكييف. المكان مثل القبر. سيرسلون شخصا إلى هنا لتفقد المرحل خلال وقت قصير".

"أريد الاتصال بها".

"من؟"

"المرأة التي باعتنا الشبح".

خفّض داني أحد حاجبيه ورفع الآخر، وبدا وجهه كما لو أنه لم يفهم ما قاله جود. "ماذا تعني بقولك إن الشبح قد وصل؟"

"ما طلبناه. وصل. أريد الاتصال بها. أريد أن أفهم بعض الأمور".

بدا داني بحاجة لبعض الوقت حتى يفهم الأمر. دار على نفسه عائداً إلى حاسوبه وتناول الهاتف، لكن نظرته بقيت معلّقة بـجود. قال: "هل أنت واثق من أنك بخير؟"

قال: "لا، سأذهب لتفقد الكلبين. ستجد رقمها، أليس كذلك؟"

ذهب مرتديا رداء الحمام وملابسه الداخلية، لإخراج بون وأنغوس من الحظيرة. كانت درجة الحرارة في أوائل الخمسينيات، وكان الهواء أبيض اللون يشوبه ضباب رقيق. رغم ذلك، كان الجو مريحا أكثر مما لو كان رطبا، وتغلغل البرد في المنـزل. لعق أنغوس يده، وكان لسانه خشنا وساخنا، وتملكت جود للحظة فعلاً مشاعر امتنان مؤلمة تقريباً. كان سعيدا لتواجده بين الكلبين، مع رائحة فرائهما الرطبة وتلهفهما للعب. تجاوزاه وهما يركضان، وطاردا بعضهما البعض، ثم عادا، وكان أنغوس في إثر بون.

كان والده يعامل كلاب العائلة أفضل مما يعامل جود نفسه، أو والدة جود. كان ذلك يثير سخط جود أحيانا، ولكنه تعلم معاملة الكلاب أفضل مما يعامل نفسه أيضا. أمضى معظم طفولته يتشاطر سريره مع الكلاب، وينام مع كلبين على كلا جانبيه وأحيانا كان ينام مع كلب ثالث أسفل قدميه، ولم يكن ينفصل عن مجموعة أبيه المتسخة، البدائية الموبوءة بالقراد. لم يكن هناك شيء يذكّره بهويته، ومن أين جاء، أسرع من رائحة كلب نتنة، وفي الوقت الذي كان يدخل فيه إلى المنـزل مجددا، كان يشعر بالاستقرار ويعود لطبيعته.

عندما كان يخطو داخل باب المكتب، كان داني يقول على الهاتف: "شكراً جريلا. هل يمكنك الانتظار لحظة للتكلم مع السيد كوين؟"ضغط أحد الأزرار ليضع المتصلة في وضعية الانتظار. "اسمها جيسيكا برايس. تعيش في فلوريدا".

عندما كان جود يتلقى الاتصال، أدرك أنها المرة الأولى على الإطلاق التي يسمع فيها اسم المرأة بالكامل. وعندما دفع المال للحصول على الشبح، لم يكن مهتماً بذلك بكل بساطة، رغم أن الأمر بالنسبة له الآن يبدو شيئاً كان عليه القيام به من قبل.

تقطب حاجباه. لديها اسم من النوع العادي تماما، لكنه لسبب ما أثار انتباهه. لم يكن يعتقد أنه سبق وسمع به من قبل، لكنه من الأسماء التي يمكن نسيانها بسهولة ولهذا كان صعباً عليه أن يكون متأكدا.

وضع جود السماعة على أذنه، وأحنى رأسه. ضغط داني على الزر محددا لتحويل المكالمة من وضعية الانتظار.

"جيسيكا . مرحباً. أنا جود كوين".

سألت: "هل أحببت بذلتك يا سيد كوين؟" كان صوتها يحمل وقعاً جنوبياً رقيقا، وكانت لهجتها بسيطة ولطيفة... وشيئاً آخر. كانت تحمل تلميحاً من النوع العذب لشيء مثل التهكم.

سأل جود: "كيف كان شكله؟" لم يكن من الأشخاص الذين يستغرقون وقتاً في الوصول إلى مقاصدهم. "زوج والدتك".

قالت المرأة، متحدثة إلى شخص آخر وليس إلى جود: "رير، عريزتي. رير، هل يمكنك إغلاق التلفاز والخروج؟" كان هناك فتاة، بعيدة في الخلفية، تتذمر بشكل نكد. "لأنني أتحدث على الهاتف". قالت الفتاة شيئاً آخر. "لأنه حديث خاص. اذهبي، الآن. اذهبي". أُغلق باب منـــزلق بعنف. تنهدت المرأة، وقالت مرتبكة: "تعرف الأطفال". وأطلقت صوتاً، ثم قالت لـــجود: "هل رأيته؟ لماذا لا تخبرني أنت كيف يبدو شكله، وسأقول لك إذا كنت على حق".

كانت تتلاعب به. *تتلاعب* به.

قال لها جود: "سأعيده لكِ".

"البذلة؟ امض قدماً. تستطيع إرسال البذلة لي، لكن ذلك لا يعني أنه سيأتي معها. لا مرتجعات يا سيد كوين. لا مبادلات".

حدّق داني بجود، ورسم على وجهه ابتسامة محيرة، وتقطب حاجباه لاستغراقه في التفكير. لاحظ جود عندها أن صوت تنفسه أجش وعميق. وبذل جهده بحثاً عن الكلمات المناسبة، ليعرف ما ينبغي قوله.

تكلمت أولاً. "هل الجو بارد هناك؟ أراهن أنه بارد. سيصبح أبرد كثيراً عندما يخرج".

"ما الذي ترمين إليه؟ المزيد من المال؟ لن تحصلي عليه".

قالت: "لقد عادت إلى المنـــزل لتنتحر، أيها الأحمق". جيسيكا برايس من فلوريدا، التي لم يكن اسمها مألوفا لديك، لكن ربما لا يكون مألوفا إلى الدرجة التي كان يرغب بها. وفقد صوتها، دون سابق إنذار، روح الدعابة التي كان يختفي خلفها. "بعد أن انتهيت منها، جرحت رسغيها في حوض الحمام. وجدها زوج والدتي. كانت ستفعل أي شيء لك، إلا أنك رميتها كما لو أنها نفايات".

فلوريدا.

فلوريدا. شعر بألم مفاجئ في رأس معدته، وأحس بوطأة تعل بارد. وفي اللحظة نفسها، بدا أن ذهنه قد صحا، ليتخلص من الإرهاق والخوف من المعتقدات الخرافية. لطالما كانت فلوريدا بالنسبة له، لكن اسمها الحقيقي كان "آنا مي مكديرموت". كانت تتوقع الطالع، وتفتح المندل، وتقرأ الكف. تعلمت مع شقيقتها الكبرى كيفية القيام بذلك من زوج والدتهما الذي كان يمتهن التنويم المغناطيسي، الملاذ الأخير للمدخنين والسيدات البدينات اللواتي يكرهن أجسادهن ويرغبن بالإقلاع عن لفائف التبغ. لكن في عطلات نهاية الأسبوع، كان زوج والدة آنا يرهن نفسه للعمل كعرّاف، ويستخدم عصا المنوم المغناطيسي، وهي عبارة عن شفرة فضية متصلة بسلسلة ذهبية، لإيجاد الأشياء الضائعة وإخبار الناس أين يحفرون آبارهم. كان يعلّقها فوق أجساد المرضى لمداواة هالاتهم وإبطاء انتشار السرطانات التي تفتك بهم، ويتحدث بها إلى الموتى بتعليقها فوق لوح ويجا (لوح عليه حروف وعلامات، وتتحرك الأنامل عند وضعها عليه، ويقال إنه يستحضر الموتى). لكن التنويم المغناطيسي كان مصدر دخله: *تستطيع الاسترخاء الآن. يمكنك إغلاق عينيك. استمع فقط إلى صوتي*.

كانت جيسيكا برايس تتكلم مجددا. "قبل أن يتوفى زوج والدتي، أخبرني ما ينبغي عليّ فعله، وكيف أتصل بك، وأرسل لك بذلته وما سيحدث بعدها. قال إنه

سينتقم منك، يا ابن الغانية القبيح الغبي".

كانت جيسيكا برايس، وليس مكديرموت، لأنها تزوجت وأضحت أرملة الآن. كان لدى جود انطباع بأن زوجها كان جندي احتياط تم استدعاؤه إلى تكريت، رغم أنه يتذكر أن آنا أخبرته بذلك. لم يكن واثقاً ما إذا كانت آنا قد أشارت من قبل إلى اسم شقيقتها الكبرى بعد الزواج، رغم أنها أخبرته مرة أن جيسيكا سارت على خطى زوج والدتهما في امتهان التنويم المغناطيسي. قالت آنا إن شقيقتها تجني نحو سبعين ألف دولار سنوياً من تلك المهنة.

قال جود: "لماذا كان عليّ شراء البذلة؟ لماذا لم ترسليها لي وحسب ؟" كان هدوء صوته مصدر راحة له. كان يبدو أكثر هدوءاً منها.

"إذا لم تدفع، لن يكون الشبح لك فعلاً. ينبغي أن تدفع. ويا الله، ستدفع الكثير!"

"كيف عرفتِ أنني سأشتريه؟"

"أرسلت لك بريداً إلكترونياً، أليس كذلك؟ أخبرتني آنا حول مجموعتك الصغيرة المقرفة... تلك الأشياء الصغيرة القذرة. وتوقعت أنك لن تستطيع تمالك نفسك".

"ربما اشتراه شخص آخر. العروض الأخرى...".

"لم يكن هناك أي عروض أخرى. عرضك فقط. أنا من وضع كل تلك العروض الأخرى هناك، ولم يكن سيتم إغلاق المزاد حتى تتقدم بعرض. كيف تجد سلعتك؟ هل كنت تأمل بالحصول على ذلك؟ آه، لقد استمتعت بذلك. سأنفق تلك الألف دولار التي دفعتها مقابل شبح زوج والدتي لشراء باقة أزهار لجنازتك. ستكون باقة كبيرة جداً".

تستطيع الخروج وحسب، فكّر جود. *تستطيع الخروج من المنـــزل وحسب. تستطيع ترك بذلة الرجل الميت والرجل الميت خلفك*. خذ جورجيا *في رحلة إلى لوس أنجلوس. احزم حقيبتين، سافر في رحلة تستغرق ثلاث ساعات. يستطيع داني ترتيب ذلك، يستطيع داني...*

كما لو أنه يفكر بصوت عالٍ، قالت جيسيكا برايس: "امضِ بعيداً، وأقم في فندق. وشاهد ما سيحدث. أينما تذهب، سيكون موجودا معك. عندما تستيقظ، سيكون جالساً عند طرف سريرك". كانت قد بدأت بالضحك. "ستموت، وستكون يده الباردة فوق فمك".

قال: "إذاً، كانت آنا تعيش معك عندما انتحرت؟" ما زال يتمالك نفسه. ما زال هادئاً للغاية.

صمت مؤقت. كانت الشقيقة الغاضبة تلتقط أنفاسها، وكانت بحاجة للحظة لتتمالك نفسها قبل أن تستطيع الرد. كان جود يستطيع سماع مرشة ماء في الخلفية، وأطفال يصرخون في الشارع.

قالت جيسيكا: "كان بيتي هو المكان الوحيد المتبقي لها. كانت يائسة. لطالما كانت في حالة إحباط، لكنك جعلت الأمور أسوأ. كانت بائسة للغاية بحيث لم ترغب بالخروج، أو الحصول على المساعدة، أو حتى رؤية أحد. لقد جعلتها تكره نفسها. لقد أوصلتها إلى ما آلت إليه لهذا أرادت الموت".

"ما الذي جعلكِ تعتقدين أنها انتحرت بسببـــي؟ هل فكّرت يوماً أن متعة رفقتك دفعتها إلى الهاوية؟ إذا كان عليّ الإصغاء إليك طوال اليوم، ربما سأرغب بقطع شرايين معصميّ، أيضاً".

قالت بسرعة: "ستموت...".

قاطعها. "فكّري بشيء جديد. وبينما تفعلين ذلك، إليك شيء آخر تفكرين به: أعرف بعض الأرواح الغاضبة بنفسي. إنهم يقودون هارلي، ويعيشون في مقطورات، ويطبخون كرات بلورية، ويسيئون معاملة أطفالهم، ويقتلون زوجاتهم. تقولون إنهم دنيئون. وأقول إنهم معجبون. هل تريدين معرفة إذا كنت أستطيع إيجاد بعض منهم يعيشون في منطقتك للمرور بك وإلقاء التحية؟'

قالت بصوت مختنق يرتجف من الغضب: "لن يساعدك أحد، العلامة السوداء عليك ستنتقل العدوى لكل من يدافع عنك. لن تعيش، ولن يعيش أي شخص يساعدك أو يخفف عنك". ألقت بتلك الكلمات بصوت غاضب، كما لو أنها خطاب تمرنت على إلقائه، وربما يكون ذلك ما حدث فعلاً. "سيهرب الجميع منك أو سيصيبه ما يصيبك. ستموت وحيداً، هل سمعتني؟ *وحيداً*".

قال: "لا تكوني واثقة. إذا كنت سأموت، فربما سأرغب ببعض الصحبة. وإذا لم أستطع الحصول على المساعدة، ربما سآتي لرؤيتك بنفسي". وأغلق الهاتف بعنف.

8

ألقى جود نظرة على الهاتف الأسود، وكان ما يزال يقبض على السماعة بيده البيضاء، ويستمع إلى خفقات قلبه البطيئة المتثاقلة.

همس داني: "يا زعيم. ياه. هنا. اللعنة. *يا زعيم*". أطلق ضحكة خافتة مبتذلة تفتقر لحس الدعابة. "ماذا كان ذلك بحق الله".

أصدر جود أمراً ذهنياً لفتح يده، وترك الهاتف، ولكن يده لم تستجب له. كان يعرف أن داني طرح عليه سؤالاً، لكنه كان مثل صوت يصله عبر باب مغلق، وجزءا من حديث يجري في غرفة أخرى، لا علاقة له به.

في البدء بدأ باستيعاب أن فلوريدا ماتت. عندما سمع أنها انتحرت – عندما ألقت جيسيكا برايس بالخبر في وجهه – لم يكن الأمر يعني له شيئا، لأنه لا يستطيع أن يجعله ذا معنى بالنسبة له. لكن لا مفر من ذلك الآن. شعر أن خبر موتها سرى في دمه، وشعر أن دمه أصبح ثقيلاً وسميكاً وغريباً عليه.

لم يكن جود يعتقد أنها رحلت فعلاً، وأن شخصاً شاركه فراشه يمكن أن يكون تحت التراب الآن. كانت في السادسة والعشرين؛ لا، في السابعة والعشرين لأنها كانت في السادسة والعشرين عندما غادرت. عندما طردها. كانت في السادسة والعشرين، ولكنها تطرح أسئلة مثل طفل عمره أربع سنوات. هل ستذهب لصيد السمك في بحيرة بونتشارتريان؟ ما هو أفضل كلب اقتنيته؟ باعتقادك ماذا سيحدث لنا عندما نموت؟ أسئلة كفيلة بدفع رجل إلى الجنون.

كانت خائفة من الجنون، كانت محبطة. ليس إحباطا تقليديا، بطريقة فتيات غوث، ولكن سريرياً. لقد غلب عليها هذا الأمر في آخر شهرين لهما معاً، وكانت لا تنام، بل تبكي دون سبب، وتنسى ارتداء ملابسها، وتحدّق في التلفاز لساعات

دون إزعاج نفسها بتشغيله، وتجيب على الهاتف عندما يرن لكن بعدها لا تنبس ببنت شفة، وتقف فقط وهي تحمله بيدها، كما لو أنها خارج التغطية.

لكن قبل ذلك، قضيا أيام الصيف في المخزن حيث كان يعيد بناء سيارة الموستانغ. وكان يسمع جون براين عبر المذياع، ويشم الرائحة الزكية للحشيش المحصود في حر الظهيرة، وينشغل فترة بعد الظهر بأسئلتها السخيفة التي لا طائل منها؛ استجواب لا يتوقف أبداً، وممل أحياناً وممتع ومثير أحيانا أخرى. كان هناك جسمها، المليء بالوشوم والناصع البياض، وركبتاها النحيفتان وساقاها النحيلتان اللتان تشبهان ساقي عدّاءة مسافات طويلة. كانت هناك أنفاسها على رقبته.

قال داني: "مرحباً". وصل إليه، ولمست أنامله معصم جود. عند تلك اللمسة، انفرجت قبضة جود، وترك الهاتف. "هل ستكون بخير؟"

"لا أعرف".

"هل تريد إطلاعي على ما يجري؟"

رفع جود عينيه ببطء. كان داني نصف واقف خلف مكتبه. كان وجهه شاحبا، ويبدو النمش البني واضحاً للغاية على بياض وجنتيه.

كان داني صديقها، وجعل نفسه بطريقة سلمية، سهلة غير شخصية صديقاً لكل فتيات جود. ولعب دور الصديق المؤدب المتفهم والمرح، والشخص الذي يستطعن الثقة به للحفاظ على أسرارهن، الشخص الذي يستطعن الذهاب إليه وبث همومهن له، الشخص الذي يبادلهن المودة دون التورط معهن. الشخص الذي يستطيع إطلاعهن على أشياء حول جود لا يستطيع جود نفسه إطلاعهن عليها.

كانت شقيقة داني مدمنة على الممنوعات عندما كان طالباً مستجداً في الكلية. لقد شنقت والدته نفسها قبل رحيل أخته بستة شهور، وكان داني من وجدها. كانت جثتها متدلية من العارضة الخشبية الوحيدة في غرفة المؤونة، وأصابع قدميها تشير إلى الأسفل، وتتأرجح في دوائر صغيرة فوق كرسي صغير. ولا يحتاج المرء لأن يكون عالماً نفسيا ليلاحظ أن المشكلة المضاعفة للشقيقة والأم، اللتين توفيتا في الوقت نفسه تقريبا، استولت على جزء من شخصية داني أيضا، وأبقته بعمر التاسعة عشرة. ورغم أنه لا يضع طلاء أظفار أسود أو خواتم في شفتيه، إلا أن الشيء الذي جذب داني نحو جود لم يكن مختلفا بطريقة ما عما جذب جورجيا، أو فلوريدا، أو أياً من الفتيات الأخريات. كان جود يجمعهم بالطريقة ذاتها تقريباً التي

يجمع بها **بايد بيبر** الفئران، والأطفال. كان يصنع تناغما من الكراهية والانحراف والألم، وكانوا يأتون إليه، يسعون إلى الموسيقى على أمل أن يسمح لهم بالغناء لوحدهم.

لم يكن جود يرغب بأن يقول لداني عمّا فعلته فلوريدا بنفسها، وأراد توفير ذلك عليه. سيكون من الأفضل عدم إخباره. لم يكن متأكداً من ردّ فعل داني حول ذلك.

قال له بكل الأحوال. "لقد قطعت آنا. آنا مكديرموت رسعيها. المرأة التي كنت أتحدث إليها هي شقيقتها".

قال داني: "فلوريدا؟" رمى بثقله على كرسيه الذي أصدر صريراً تحته، وبدا مذهولاً. ضغط بيده على بطنه، ثم انحنى للأمام قليلاً، كما لو أن معدته تشنجت. قال داني بصوت عذب: "آه، اللعنة. آه، اللعنة". لم يتفوه بكلمات أقل مجوباً من قبل.

ساد الصمت بعدها. ولاحظ جود، للمرة الأولى، أن المذياع يعمل، ويتمتم برقة. كان **ترينت ريزنور** يغني أنه مستعد للتخلي عن إمبراطوريته من التراب. كان ممتعاً الاستماع إلى **ناين إنش نيلز** على المذياع بعدها مباشرة. التقى جود بفلوريدا في استعراض **ترينت ريزنور**، خلف الكواليس. وصدمته حقيقة موتها، مجددا، كما لو أنه يسمعها للمرة الأولى. *هل ستذهب لصيد السمك في بحيرة بونتشارتريان؟* ثم بدأت الصدمة بالتحول إلى امتعاض شديد. كان ذلك أمرا لا طائل منه، ومن الغباء الاستمرار فيه أو التورط أكثر، كان مستحيلا ألا يكرهها قليلاً، وأراد الحديث معها عبر الهاتف وإمطارها بالشتائم، عدا عن أنه لا يستطيع ذلك لأنها ميتة.

سأل داني: "هل تركت رسالة؟"

"لا أعرف. لم أحصل على الكثير من المعلومات من شقيقتها. لم تكن المكالمة الهاتفية الأفضل في العالم. ربما لاحظت ذلك".

لكن داني لم يكن يستمع، قال: "كنا معتادين على الخروج لتناول المرغريتا أحيانا. كانت فتاة لطيفة حقاً هي وأسئلتها، سألتني مرة إذا كان لدي مكان مفضل ألجأ إليه لمشاهدة هطول الأمطار عندما كنت طفلاً، ما نوع هذا السؤال؟ جعلتني أغلق عينيّ، طوال عشر دقائق، وأصف لها المطر خارج نافذة غرفة نومي عندما

تمطر. لم يكن أحد يعرف ما ستسأل عنه لاحقاً، كنا صديقين في الأوقات المرحة. لا أفهم هذا. أعني، أعرف أنها كانت محبطة. أخبرتني بذلك، لكنها فعلاً لم تكن تريد الوصول إلى تلك الحالة. أما كان يجدر بها الاتصال بأحدنا قبل أن تُقدم على فعل شيء مثل...؟ أما كان يجدر بها أن تمنحنا فرصة الحديث معها حول ذلك؟"

"لا أظن ذلك".

انكمش داني بطريقة ما في الدقائق القليلة الماضية، وتكوّر على نفسه، وقال: "وشقيقتها... شقيقتها تعتقد أنه خطؤك؟ حسناً، ذلك... ذلك محض جنون". لكن صوته كان ضعيفاً، واعتقد جود أنه لا يبدو واثقاً تماماً من نفسه.

"أظن ذلك".

قال داني بثقة أكبر قليلاً: "كان لديها مشاكل عاطفية قبل أن تتعرف إليك".

قال جود: "أعتقد أن ذلك يسري في عائلتها".

انحنى داني للأمام مجدداً. "نعم. نعم. أعني - ماذا بحق...؟ هل شقيقة آنا هي التي باعتك الشبح؟ بذلة الرجل الميت؟ ما الذي يجري هنا؟ ما الذي حدث وجعلك ترغب بالاتصال بها في المقام الأول؟"

لم يكن جود يريد إطلاع داني على ما رآه الليلة الماضية. لم يكن في تلك اللحظة - بعد الصدمة التي تلقاها بحقيقة وفاة فلوريدا المرة - متأكداً تماماً مما رآه الليلة الماضية. لم يكن الرجل العجوز الجالس في الردهة، خارج باب غرفة النوم عند الساعة الثالثة صباحاً، يبدو حقيقياً الآن.

"البذلة التي أرسلتها لي عبارة عن تهديد رمزي بالموت. لقد خدعتنا لنشتريها. لم تكن تستطيع، لسبب ما، إرسالها لي وحسب، وكان عليّ أولاً أن أدفع مقابل الحصول عليها. أعتقد أنك تستطيع القول إن عقلها ليس راجحاً. على كلّ حال، عرفت أن هناك خطباً ما بشأنها منذ وصلت. لقد كانت في تلك العلبة السوداء على شكل قلب - ربما يثير هذا بعض الظن - ولكن كان هناك دبوس مخبأ داخلها لوخز شخص ما".

"كانت هناك إبرة مخبأة داخلها؟ هل وخزتك؟"

"لا. وخزت جورجيا بعمق على ما أعتقد".

"هل هي بخير؟ هل تعتقد أن هناك شيئاً عليها؟"

"تعتـــي مثل الزرنيخ؟ لا. لا أعتقد أن جيسيكا برايس من سيشوفيل، فلوريدا بهذا الغـــباء فعـــلاً. إنهـــا مجنونة تماماً، لكنها ليست غبية. إنها تريد إخافتي، وليس دخول الســـجن. قالت لي إن شبح زوج والدتها جاء مع البذلة، وسينال مني لما فعلته بـــأنا. ربمـــا كـــان الدبوس، لا أعرف، نوعاً من السحر. لقد ترعرعت غير بعيد تماما عن بانهـــاندل. مكـــان مكتظ بسقط الناس والمتاع ومليء بالأفكار الغريبة. تستطيع وضع إكليل من الأشواك في عملك لدى كريسبي – كريم ولن يلاحظ أحد ذلك".

سأل داني: "هل تريد مني استدعاء الشرطة؟" كان يبحث عن مكان يضع فيه قدميه آنذاك. لم يكن صوته متردداً كثيراً، واستعاد بعضاً من ثقته بنفسه.

"لا".

"إنها تهدد حياتك".

"من يقول ذلك؟"

"أنت. أنا، أيضاً. أجلس هنا وأسمع كل شيء".

"ماذا سمعت؟"

حدّق به داني للحظة، ثم خفّض جفنيه، وابتسم بطريقة كئيبة. "ما تقول إنني سمعته".

رسم جود ابتسامة عريضة على وجهه، رغماً عنه. كان داني وقحاً. لم يكن جود، في تلك اللحظة، يتذكر لماذا لا يحبه أحياناً.

قال جود: "الآن، لن أتعامل مع الأمر بتلك الطريقة. لكنك تستطيع القيام بشيء ما لأجلي. لقد بعثت أنا لي ببعض الرسائل بعد ذهابها إلى منـــزلها، لا أعرف ماذا فعلت بها، هل يمكنك البحث عنها؟"

"بالتأكـــيد، سأرى إن كان باستطاعتي إيجادها". كان داني ينظر إليه باضطراب مجددا، فهو إن استعاد روح دعابته، إلا أنه لم يستعد صفاء لونه. "جود... عندما قلت إنـــك لـــن تتعامل مع الأمر بتلك الطريقة... ماذا كنت تعني بذلك؟" عضّ على شفته الســـفلى، وانشغل ذهنه بالأفكار مجدداً. "تلك الأشياء التي قلتها عندما أنهيت المكالمة. كنـــت تتكلم عن إرسال أشخاص لملاحقتها. والذهاب إلى هناك بنفسك. لقد كنت غير مكترث بتاتاً. لم أسمعك تتكلم على هذا المنوال من قبل. هل ينبغي أن أقلق؟"

قال جود: "أنت؟ لا. هي؟ ربما".

9

قفـــز تفكـــيره من شيء سيئ إلى آخر، وتراءت له آنا عارية، عيناها مجوفتان، تطفـــو ميتة على ماء قرمزي في حوض الاستحمام، وجيسيكا برايس على الهاتف – ســـتموت، *وستكون يده الباردة على فمك* – والرجل العجوز جالس في الردهة مرتدياً بذلته من صنع جوني كاش، يرفع رأسه ببطء لينظر إلى جود أثناء مروره به.

كان يحتاج لتهدئة الضوضاء في رأسه، وهذا شيء عادة ما ينجح بإنجازه بإثارة بعض الضجيج بيديه. حمل دوبرو إلى الأستوديو، وعزف عليه ليختبر صوته، ولم يحب النغمة. ذهب جود إلى الخزانة للبحث عن مفتاح لتعديل الأوتار، ووجد علبة رصاصات عوضاً عن ذلك.

كانت في علبة على شكل قلب؛ إحدى العلب الصفراء ذات شكل القلب التي كان والده يقدمها لوالدته، فعند كل ذكرى حب وكل ذكرى أم، وفي الكرسمس وذكرى مولدها. لم يقدم لها مارتن أي شيء آخر – لا أزهار أو خواتم أو قوارير...– وإنما دائماً علبة الشوكولاته الكبيرة نفسها من المتجر نفسه.

لم يتغير ردّ فعلها مثل هديته تماماً. دائماً، كانت تبتسم ابتسامة رقيقة متكلفة، وتبقي شفتيها معلقتين معاً. كانت تخجل من أسنانها، فقد كانت أسنانها العلوية اصطناعية. فالأصلية تساقطت. كانت دائماً، تفتح العلبة، وتعرض على زوجها تناول الشوكولاته منها أولاً، وكان والده يبتسم بفخر، كما لو أن هديته كانت عقدا ماسيا وليست علبة شوكولاته يبلغ ثمنها ثلاثة دولارات، فيهز رأسه نافيا أي رغبة له بالشوكولاته، فتعرضها على جود.

ودائما، كان جود يختار القطعة نفسها التي في الوسط؛ قطعة الشوكولاته المحشوة بالكرز. كان يحب طعمها عندما يقضم منها قضمة، والسائل الحلو المذاق

الذي يخرج من الكرز نفسه، وتخيل أنه يتناول عيناً مغطاة بالشوكولاته. حتى في تلك الأيام، كان جود يجد لذة في تخيل الأسوأ، ويستمتع بالاحتمالات الرهيبة.

وجد جود العلبة على شبكة معقدة من الأسلاك والدوّاسات والوصلات، تحت حقيبة غيتار تستند إلى مؤخرة خزانته في الأستوديو. لم تكن تلك حقيبة غيتار عادية، وإنما التي اصطحبها معه عندما غادر لويزيانا قبل ثلاثين سنة، رغم أنه استخدم جهازاً من طراز ياماها يبلغ ثمنه أربعين دولاراً لوقت طويل جداً. إلا أنه ترك جهاز الياماها خلفه، على مسرح سان فرانسيسكو، حيث افتتح مهرجان زبلن في إحدى ليالي سنة 1975. ترك الكثير من الأشياء خلفه في تلك الأيام: عائلته، لويزيانا، الخنازير، الفقر، الاسم الذي ولد معه. لم يهدر الكثير من الوقت في النظر إلى الوراء.

التقط علبة الحلوى، ثم ألقاها من يده بسرعة، لأن أعصابه لم تكن رابطة الجأش. كان جود يعرف ما هو موجود فيها دون أن يفتحها حتى، لقد عرف ذلك من النظرة الأولى. وإذا كان هناك شك بسيط، فقد تلاشى عندما ارتطمت العلبة بالأرض، وسمع صوت المقذوفات النحاسية بالداخل، دفعته رؤيتها للنكوص على عقبيه مذعوراً، كما لو أنه كان ينقب بين الأسلاك، واكتشف عنكبوتاً كبيراً يغطيه الفرو يزحف على ظاهر يده. لم يكن قد شاهد علبة الذخيرة منذ أكثر من ثلاثة عقود، ويعرف أنه أبقاها معلقة بين فراشه ونابض سرير طفولته، وراءه في مورز-كورنر. لم يجلب العلبة معه من لويزيانا، ولم يكن هناك سبيل لتواجدها هناك خلف حقيبة غيتاره القديم، عدا عن أنها كانت موجودة.

حدّق في العلبة الصفراء على شكل قلب للحظة، ثم أرغم نفسه على التقاطها. رفع الغطاء، وقلب العلبة رأساً على عقب، فسقطت الرصاصات على الأرض.

كان قد جمعها بنفسه، وكانت هذه هوايته مثلما كان جمع بطاقات مباريات كرة القاعدة (البيسبول) هواية لدى بعض الأطفال: مجموعته الأولى. بدأت تلك الهواية عندما كان في الثامنة- وكان اسمه ما يزال **جوستن كاوزنسكي** - قبل سنوات طويلة من تفكيره بأنه سيكون شخصا آخر يوماً ما. كان يمشي يوماً ما عبر الحقل الشرقي وطقطق شيء تحت قدمه، انحنى ليشاهد ما داس عليه، والتقط من الطين مقذوف بندقية فارغاً. ربما، كان لوالده، ولا بد أنه سقط بعد أن أطلق والده النار على أحد ديوك الحبش. شمّ جوستن غلاف المقذوف المحطم. أثارت

رائحة البارود منخريه؛ إحساس ينبغي ألا يكون ساراً، لكنه كان ساحراً بشكل غريب. أتى بالمقذوف معه إلى المنـــزل في جيبه الداخلي، وما لبث المقذوف أن استقر في إحدى علب الحلوى الفارغة الخاصة بوالدته.

سرعان ما لحق به مقذوفان كاملان من عيار 38، واللذان وجدهما في مرآب صديق، وبعض الرصاصات الفضية الفارغة التي وجدها في حقل الرماية، ورصاصة من بندقية هجومية بريطانية، بطول إصبعه الأوسط. قايض تلك الأخيرة، وكلفته الكثير – بنسخة من كريبـــي مع غطاء فرازيتا – لكنه شعر بأنه حصل على شيء ذي قيمة كبيرة. كان ينام في سريره ليلاً وهو ينظر إلى رصاصاته بعناية، ويتفحص الطريقة التي ينعكس بها ضوء القمر على أغلفتها اللامعة، ويشم معدمتها، بالطريقة نفسها التي قد ينشق بها رجل وشاحاً معطراً بشذا الحبيبة؛ مستغرقاً في التفكير، ورأسه مليء بالتخيلات المثيرة.

في المدرسة الثانوية، ربط الرصاصة البريطانية بحبل جلدي، ووضعها حول عنقه حتى صادرها المدير. يستغرب جود أنه لم يجد طريقة لقتل أحد في تلك الأيام. كان يمتلك كل عناصر قاتل المدرسة: الهرمونات، البؤس، والذخيرة. يتساءل الناس كيف يمكن لحادثة كولومباين[1] أن تحدث. أما جود فيتساءل لماذا لا تتكرر كثيراً.

كان كل شيء موجوداً؛ مقذوفات البندقية الفارغة، والفوارغ الفضية، ورصاصة إيه – آر 15 التي يبلغ طولها 5 سنتم، والتي لا يمكن أن تكون في العلبة، لأن المدير لم يرجعها أبداً. كان هناك تحذير، رأى جود رجلاً ميتاً في الليل، وكان زوج والدة آنا، وكانت تلك الطريقة التي عرف بها جود أن العمل لم ينته بعد.

كان التفكير بذلك جنونيا، ينبغي أن يكون هناك عشرات التفسيرات المنطقية لتلك العلبة، والرصاصات. لكن جود لم يكن يهتم بما هو منطقي، فهو لم يكن رجل منطق. بل كان يهتم فقط بما هو حقيقي. لقد شاهد رجلا ميتاً في الليل. ربما، لدقائق قليلة، في مكتب داني الذي تغمره أشعة الشمس، كان قادراً على تناسي الأمر، والتظاهر بأنه لم يحدث، لكنه حدث فعلاً.

---

(1) مذبحة حصلت في مدرسة في كولورادو

كان متزناً الآن، ووجد نفسه يفكّر بالرصاصات بهدوء، خطر له أنها ربما تكون أكثر من مجرد تحذير. لقد كان الرجل الميت - الشبح - يخبره بأن يعمل على تسليح نفسه.

فكّر جود في سلاح عيار 44 ملم، سوبر - بلاكهوك، في الخزنة تحت الطاولة. لكن على ماذا سيطلق النار؟ كان مفهوماً بالنسبة له أن الشبح موجود أولا وقبل كل شيء في رأسه. وأن الأشباح تسكن العقول، وليس الأماكن. وإذا كان يريد إطلاق النار عليه، إذاً ينبغي عليه تصويب ماسورة المسدس على صدغه.

أعاد الرصاصات إلى علبة الشوكولاته الخاصة بوالدته، وأغلق الغطاء عليها، لن تنفعه الرصاصات، لكن هناك أنواع أخرى من الذخيرة.

يمتلك جود مجموعة من الكتب على الرف في أحد أطراف الأستوديو، تتناول الغيبيات والظواهر الخارقة للطبيعة. في الوقت الذي بدأ فيه جود مسيرته الفنية، كانت فرقة **بلاك سابات** تحقق شهرة واسعة، ونصحه مدير أعماله بأن الإشارة إليه وإ... معا لن تكون ضارة على الأقل. كان جود قد تلقى دروساً آنذاك حول علم نفس الجماعة وتنويم الجمهور مغناطيسياً، عملاً بنظرية أنه إذا كان المشجعون جيدين، فإن النجم أفضل. أضاف جود مجلدات من تأليف **أليستر كراولي وتشارلز دكستر ورد** إلى قائمة قراءاته، وشق طريقه عبرها بتركيز شديد دون أي متعة، ووضع خطوطا تحت المفاهيم والحقائق الرئيسية.

لاحقاً، بعد أن أضحى فناناً مشهوراً، أرسل له الـ..... والروحانيون، الذين اعتقدوا من استماعهم إلى موسيقاه بأنه يشاركهم أفكارهم - لم يكن كذلك بالتأكيد؛ وكان الأمر يشبه ارتداء سروال جلدي، فقط لأنه جزء من الزي - المزيد من الكتب (التي يعترف بأنها رائعة): كتيب مبهم، طبعته الكنيسة الكاثوليكية في الثلاثينيات، للتعاويذ؛ ترجمة كتاب يبلغ عمره خمسمئة سنة عن أناشيد دينية فاسدة آثمة كتبها أحد الفرسان (الصليبيين) المجانين؛ وكتاب طهو مخصص لأكلة لحوم البشر.

وضع جود علبة الرصاصات على الرف بين كتبه، وكانت كل الأفكار حول استحضار الإلهام، وعزف بعض المقطوعات قد ذهبت أدراج الرياح. مرّر ظفر إبهامه على أغلفة الكتب، وكان البرد في الأستوديو كافياً لجعل أصابعه متيبسة وثقيلة، وكان صعبا عليه تقليب الصفحات، ولم يكن يعرف ما يبحث عنه.

عاني بادئ الأمر عندما شقّ طريقه عبر المحاضرات الكثيفة عن عادات الحيوانات، تلك المخلوقات التي تتمتع بعاطفة شديدة، وتتعلق بأسيادها حتى النهاية، والتي تستطيع التعامل مع الموت مباشرة. لكنها كانت مكتوبة بإنكليزية القرن الثامن عشر الشائكة، دون أي علامات ترقيم. وكان جود يكدح في قراءة الفقرة الواحدة عشر دقائق، ثم لا يفهم ما قرأه. نحّى جود المحاضرات جانباً.

في كتاب آخر، وقف مطولا أمام فصل حول الاستحواذ، عن طريق استخدام عفريت أو روح شريرة. في إحدى الرسوم التوضيحية، يظهر رجل عجوز ممداً على سريره، بين ملاءات متشابكة، تجحظ عيناه برعب، ويفغر فمه بذهول، فيما يخرج قزم عار يبظر شزرا من بين شفتيه. أو في حالة أسوأ: ربما كان ذلك الشيء يدخل إلى جوفه.

قرأ جود أن أي شخص يفتح بوابة الفناء الذهبي، من أجل إلقاء نظرة خاطفة، يخاطر بخروج شيء منه، وسيكون أولئك المرضى، والمتقدمون في السن والذين يحبون الموت معرضين للخطر على وجه الخصوص. كانت اللغة جازمة ونابعة عن معرفة عميقة، وتشجع جود حتى قرأ أن الاغتسال بالبول أفضل طريقة للوقاية، كان ذهن جود منفتحا عندما يتعلق الأمر بالفسوق، لكنه رسم خطا تحت الرياضات المائية، وعندما انسل الكتاب من بين يديه الباردتين، لم يزعج نفسه بالتقاطه. عوضاً عن ذلك، ركله بعيدا.

قرأ حول أبرشية بورلي، والاتصال مع الأرواح بطريقة لوح ويجا، واستخدامات دماء الطمث في الكيمياء القديمة، وبررت عيناه، وغارتا نتيجة التركيز، ثم أخذ يضع الكتب جانباً، ويحزمها في مجموعات ضمن الأستوديو. كانت كل كلمة هراء. العفاريت، والعادات، والدوائر المسحورة، وفوائد البول السحرية. أثناء وضع أحد المجلدات دفع مصباحاً عن طاولته محطما إياه، فيما ارتطم آخر بأسطوانة بلاتينية الإطار. كذلك قفزت شبكة عنكبوتية من الأسهم المبعثرة عبر الزجاج فوق القرص الفضي. لقد وقع الإطار من الجدار، واصطدم بالأرضية، وانكفأ على وجهه. كان جود قد وجد أن علبة الحلوى المليئة بالرصاصات قد ارتطمت بالجدار، وانتشرت الذخيرة على الأرضية محدثة صوت رنين.

التقط كتابا آخر، فشعر أنه يتنفس بصعوبة، وأن ضغط دمه قد ارتفع، وأنه

يتطلع لإلحاق بعض الأذى بأحدهم دون أن يبالي بالمتضرر، ثم تمالك نفسه، لأنه شعر أن ما يحمله لا يفي بالغرض أبداً. نظر وشاهد شريط فيديو أسود دون لصاقة عوضاً عن ذلك. لم يعرف فوراً ماهيته، وكان عليه التفكير قليلا قبل أن يدرك ما يحدث. كان فيلمه المحروق. كان الفيلم يقبع على الرف مع الكتب، بعيدا عن أشرطة الفيديو الأخرى... لماذا؟ أربع سنوات؟ إنه موجود هناك منذ مدة طويلة جداً لدرجة أنه لم يعد يراه بين الكتب. لقد أصبح جزءا من الفوضى العارمة على الرفوف.

كان جودُ قد دخل الأستوديو في صبيحة أحد الأيام ووجد زوجته، شانون، تشاهده. كان يحزم حقائبه للقيام برحلة إلى نيويورك، ودخل الأستوديو للبحث عن غيتار يأخذه معه. لقد وقف عند المدخل على مرأى منها. وكانت شانون تقف أمام التلفاز، تشاهد رجلاً يخنق مراهقة عارية باستخدام كيس نايلون شفاف، فيما رجال آخرون يشاهدون.

تقطب حاجبا شانون، وتغضن جبينها تركيزا فيما كانت تشاهد الفتاة في الفيلم تموت. لم يبال بمزاجها – الغضب لا يؤثر عليه – لكنه تعلم أن يكون حذراً منها عندما تكون على هذه الشاكلة، هادئة وصامتة ومنكفئة على نفسها.

قالت أخيراً: "هل هذا حقيقي؟"

"نعم".

"إنها تموت فعلاً؟"

نظر إلى التلفاز. كانت الفتاة العارية مرمية دون حراك على أرض الغرفة. "إنها ميتة فعلاً. لقد قتلوا حبيبها، أيضاً، أليس كذلك؟"

"توسل".

"أعطاني إياه شرطي. قال لي إن الشابين كانا مدمني ممنوعات من تكساس، أطلقا النار على محل مشروبات كحولية، وقتلا شخصا ما، ثم هربا إلى تجوانا للاختباء هناك. تتكتم الشرطة على الموضوع".

"لقد توسل من أجلها".

قال جود: "هذا رهيب. لا أعرف لماذا أحتفظ به لغاية الآن".

قالت: "أنا أيضاً لا أعرف". نهضت، وأخرجت الشريط، ثم وقفت تنظر إليه، كما لو أنها لم تر شريط فيديو من قبل وكانت تحاول تخيل الهدف الذي قد يخدمه.

سألها جود: "هل أنت بخير؟"

قالت: "لا أعرف". رفعت عينيها الحائرتين نحوه. "هل أنت بخير؟"

عندما لم يجب، مشت في العرفة وتجاوزته. وتمالكت شانون نفسها عند الباب، وأدركت أنها ما تزال تحمل الشريط، وضعته برفق على الرف قبل أن تخرج. لاحقا، حشرته مدبرة المنـــزل بين الكتب. كانت غلطة لم يزعج جود نفسه أبدا بتصحيحها، وسرعان ما نسي أنه كان موجوداً هناك.

كانت هناك أشياء أخرى تشغل تفكيره بها. وجد المنـــزل خاوياً بعد عودته من نيويورك، وكانت خزانة شانون فارغة. لم تزعج نفسها بترك ملاحظة، أو حتى رسالة تقول إن حبهما كان غلطة أو أنها ستحب نسخة منه ليست موجودة فعلاً، وأن طريقيهما افترقا. كانت في السادسة والأربعين، وكانت قد تزوجت، وحصلت على الطلاق مرة من قبل. لم تؤد دورا مسرحياً عندما كانت في المدرسة الثانوية. عندما كان لديها ما تقوله له، كانت تتصل به، وعندما كانت تحتاج لشيء منه، كان محاميها يتصل.

عندما ينظر إلى الشريط الآن، لا يعرف حقاً لماذا احتفظ به؛ أو لماذا وصل إليه. كان من الأفضل لو أنه لم يحتفظ به، أو لو تخلص منه عندما عاد إلى المنـــزل، ووجد أنها غادرته. لم يكن واثقاً حتى من سبب قبوله له في المقام الأول، عندما تمّ عرض الشريط عليه. بعدها، تأرجح جود على حافة فكرة مزعجة، مؤداها أنه أصبح بمرور الوقت أقل استعداداً لقبول ما يعرضه الآخرون عليه، دون أن يتساءل عن العواقب المحتملة. يا لها من مشكلة سببها ذلك الشريط. لقد عرضت عليه آنا نفسها، وقبلها، وأضحت ميتة الآن. كذلك عرضت جيسيكا مكديرموت برايس بذلة الرجل الميت عليه، وأصبحت له الآن. إنها له الآن.

لم يكن قد فقد رشده حتى يمتلك بذلة رجل ميت، أو شريط فيديو حفلة قتل مكسيكية، أو أيا مما تبقى. عوضا عن ذلك، يبدو أن كل تلك الأشياء انجذبت إليه كما تنجذب برادة الحديد إلى المغناطيس، ولم يعد يستطيع الالتصاق بها والانفصال عنها كما يفعل المغناطيس. لكن هذا يوحي بالضعف، وهو لم يكن ضعيفاً من قبل أبداً. إذا كان سيرمي بشيء على الجدار، إذاً ينبغي أن يكون هذا الشريط.

لكنه وقف يفكر لوقت طويل، لقد أوهن البرد في الأستوديو عريمته، وشعر بالتعب، وبثقل السنين معاً. كان متفاجئاً لعدم رؤية البخار الناتج عن أنفاسه؛ وكانت

تلك هي الطريقة التي يشعر بها بالبرد. لا يستطيع تخيل شيء أكثر سخفا – أو ضعفا – من رجل يبلغ من العمر أربعاً وخمسين سنة ويلقي بكتبه في ثورة غضب. وإذا كان من شيء يحتقره، فهو الضعف. كان يريد إلقاء الشريط، وتحطيمه تحت قدميه، لكنه التفت عوضاً عن ذلك ليضعه على الرف، وشعر بأن الأمر الأكثر إلحاحا آنذاك هو استعادة رباطة جأشه، والتصرف، للحظة واحدة على الأقل، كراشد.

قالت جورجيا من عند الباب: "تخلّص منها".

10

اهتزت كتفاه برد فعل انعكاسي. التفت ونظر، كانت باهتة بشكل طبيعي، لكن وجهها آنذاك كان شاحباً، مثل عظم مصقول، وتشبه مصاص دماء حتى أكثر مما هو معتاد. تساءل فيما إذا كانت تلك خدعة مساحيق تجميل قبل أن يلاحظ أن وجنتيها رطبتان، وخصلات الشعر الأسود الناعمة على صدغها تتصبب عرقا. وقفت مرتدية رداء النوم، تمسك بنفسها، وترتعش من البرد.

سألها: "هل أنت مريضة؟"

قالت: "أنا بخير. في صحة جيدة. تخلص منها".

وضع الفيلم المحروق برفق على الرف. "ممّ أتخلّص؟"

"بذلة الرجل الميت. إن رائحتها سيئة. ألم تلاحظ الرائحة التي تنبعث منها عندما أخرجتها من الخزانة؟"

"هل هي في الخزانة؟"

"لا، ليست في الخزانة. كانت ملقاة على السرير عندما استيقظت. كانت ممدة إلى جانبي. هل نسيت إرجاعها؟ أم نسيت أنك أخرجتها في المقام الأول؟ أقسم أنه يفاجئني أنك تتذكر وضع عضوك أحياناً داخل سروالك بعد أن تقضي حاجتك. آمل أن تكون كل الأشياء التي دخنتها في السبعينيات تستحق ذلك. ما الذي كنت تفعله بها على أي حال؟"

إذا كانت البذلة خارج الخزانة، فلا بد أنها خرجت بنفسها. لم تكن هناك فائدة من إخبار جورجيا بما يجري، لهذا لم ينبس ببنت شفة، وتظاهر أنه مهتم بالتنظيف.

دار جود حول الطاولة، ثم انحنى، وتفحص الأسطوانة المؤطرة التي سقطت

على الأرض. كانت الأسطوانة نفسها مكسورة مثل الزجاج الذي يغطيها. أبعد قطع الإطار ووضعها جانبا. انزلق الزجاج المكسور بصليل موسيقي إلى سلة المهملات قرب طاولته. التقط أجزاء أسطوانته البلاتينية المحطمة – *مجموعة غوغاء صغيرة سعيدة* – ووضعها في سلة المهملات، كانت ست قطع حادة لامعة من المعدن المحطم. ما الذي ينبغي فعله الآن؟ افترض أن رجلاً عاقلا سيذهب ويلقي نظرة أخرى على البذلة. نهض والتفت نحوها.

"تعالي. ينبغي أن تستلقي. تبدين بحالة مزرية. سأبعد البذلة، ثم سأعتني بك".

وضع يده على أعلى ذراعها، لكنها أفلتت نفسها منه. "لا. رائحة السرير مثلها، أيضاً. إنها على كل الملاءات".

قال، ممسكاً بذراعها مجدداً: "إذاً، سنأتي بملاءات جديدة".

أدارها جود، وقادها نحو الردهة. كان الرجل الميت يجلس على مسافة ثلثي الطريق من الممر، على كرسي هزّاز إلى اليسار، ورأسه منحن وكأنه مثقل بالهموم. سقطت أشعة شمس الصباح في المكان الذي ينبغي أن تكون فيه قدماه، واحتفت القدمان في مكان التقائهما بالضوء. منحه ذلك مظهر الجندي المحنّك، وبدا سرواله قصيراً ينتهي في منتصف فخذيه. ظهر حذاؤه الأسود اللامع تحت أشعة الشمس، وقدماه المغروستان في الجوربين الأسودين اللذين يرتديهما، وبين فخذيه وحذائه، لم يكن هناك شيء سوى دعامتي الكرسي، وكان الخشب الأصفر يلمع في الضوء.

حالما رآه جود، أشاح بنظره بعيدا عنه، ولم يرغب برؤيته، ولم يرغب بالتفكير أنه موجود هناك. نظر إلى جورجيا، ليرى إذا كانت قد لاحظت الشبح، ولكنها كانت تحدق في قدميها فيما كانت تتخلص من يد جود التي يضعها على ذراعها، وتلمع عيناها حيوية. كان يريد أن يطلب منها أن تنظر، ويريد أن يعرف ما إذا كانت تستطيع رؤيته أيضاً، لكن الخوف من الرجل الميت عقد لسانه، وخاف أن يسمعه الشبح، ويرفع رأسه.

كان التفكير بأن الرجل الميت لن يلاحظهما يمرّان بجانبه جنونياً، لكن جود شعر، دون سبب ظاهر، أنهما إذا كانا هادئين جداً، يمكن أن ينسلا من بين يديه دون أن يراهما. كانت عينا الرجل الميت مغلقتين، ودقنه تلامس صدره تقريباً، ويشبه رجلاً عجوزاً غفا تحت أشعة شمس أواخر الصباح. أراد جود، أكثر من أي

شيء آخر، أن يبقى على حاله تماماً. ألا يتحرك. ألا يفيق. ألا يفتح **عينيه!** أرجوك، لا تفتح عينيك.

اقتربا، لكن جورجيا لم تنظر نحوه. عوضاً عن ذلك، وضعت رأسها النعس على كتف جود، وأغلقت عينيها. "أردت أن تشرح لي ما حدث في الأستوديو؟ ولماذا كنت تصرخ هناك؟ اعتقدت أنني سمعتك تصرخ، أيضاً".

لم يكن يريد النظر مجدداً، لكنه لم يستطع تمالك نفسه، بقي الشبح كما كان، رأسه مائل إلى الجانب، يرسم ابتسامة باهتة على شفتيه، كما لو أنه يستغرق بفكرة أو حلم جميل. لم يبدُ أن الرجل الميت قد سمعها. وعندها خطرت فكرة لــجود، مبتكرة وصعبة التطبيق، ومع عينيه المغلقتين ورأسه المائل، لم يكن الشبح يبدو نائماً وإنما يصغي *السمع* إلى شيء ما. يصغي السمع *له*، كما اعتقد جود. ربما ينتظر منه الاعتراف بوجوده قبل أن يرغب (أو يستطيع) بالاعتراف بــجود بالمقابل. كان فوق رأسه تقريبا في تلك اللحظة، وعلى وشك تجاوزه، والتصق جود بــجورجيا ليتفادى الاحتكاك به.

"هذا ما أيقظني، الضوضاء، ثم الرائحة...". سعلت برقة، ورفعت رأسها لتلقي نظرة من عينها نصف المغمضة على باب غرفة النوم. لم تلاحظ الشبح حتى ذلك الوقت، رغم أنهما كانا يسيران أمامه آنذاك. انتفض جسدها، وتوقفت عن الحركة. "لن أدخل إلى هناك قبل أن تفعل شيئا بخصوص تلك البذلة".

مرّر يده على ذراعها وصولاً إلى معصمها وضغط عليه، ودفعها للأمام. أطلقت صرخة ألم واحتجاج ضعيفة، وحاولت الهروب من قبضته. "ماذا تفعل؟"

قال: "تابعي السير". وأدرك بعد لحظة واحدة، مع خفقان قلبه في صدره، أنه تكلم.

ألقى نظرة خاطفة للأسفل على الشبح، وفي نفس الوقت رفع الرجل الميت رأسه وفتح عينيه. لكنّ محجريه كانا مليئين بخربشات سوداء فقط. كان الأمر مثل طفل تناول قلماً سحريا - قلم سحري حقيقي، يستطيع رسم أشياء في الهواء - وحاول يائسا الكتابة عليهما. واختلطت السطور السوداء وتشابكت مع بعضها البعض، مثل ديدان محصورة في عقدة خشبية.

ثم تجاوزه جود، ودفع جورجيا نحو الردهة فيما كانت تمتنع وتئن. عندما وصل إلى باب غرفة النوم، نظر للخلف.

نهض الشبح على قدميه، وفيما كان يشد قامته، تحركت قدماه خارج ضوء الشمس، وتبين أنه يرتدي سروالاً أسود طويلاً مع ثنيات حادة فيه. أشار الرجل الميت بذراعه اليمنى إلى الجانب، وتحولت راحة كفه نحو الأرض، وسقط شيء من يده، وكانت قلادة فضية كبيرة، مصقولة مثل مرآة لامعة، ومتصلة بسلسلة ذهبية دقيقة. لا، ليست قلادة وإنما شفرة فضية معقوفة تشبه تلك الموجودة في قصة **إدغار آلان بو**. كانت السلسلة الذهبية متصلة بخاتم حول أحد أصابعه، كان خاتم رواج، وكانت الشفرة موصولة بها. سمح لـجود بالنظر إليها للحظة ثم سحب معصمه، بالطريقة نفسها التي يلعب بها طفل باليو – يو، وقفزت الشفرة الصغيرة المعقوفة إلى يده.

شعر جود بصرخة تحاول شق طريقها عبر صدره. دفع جورجيا عبر الباب، إلى غرفة النوم، وصفق الباب خلفه.

صرخت: "ما الذي تفعله يا جود؟" وحرّرت نفسها من قبضته، وابتعدت عنه. "اخرسي".

ضربته على كتفه بيدها اليسرى، ثم وكزته على ظهره بيمناها، باليد التي أصيب فيها إبهامها. وآلمها ذلك أكثر مما آلمه. أطلقت صرخة ألم، وتركته وشأنه.

كان ما يزال يمسك بقبضة الباب، أصغى السمع لما يدور في الممر، وكان الهدوء يعمّ المكان.

دفع جود الباب برفق للخلف، ونظر عبر الشق الذي يبلغ عرضه سبعة سنتمترات، مستعداً لإغلاقه مجدداً، ومتوقعاً وجود الرجل الميت هناك مع الشفرة المتصلة بالسلسلة.

لم يكن هناك أحد في الردهة.

أغلق عينيه، ثم أغلق الباب، ووضع جبينه عليه، وسحب نفساً عميقا إلى رئتيه، وأبقاه هناك، ثم حرّره ببطء. كان وجهه يتصبب عرقا، ورفع يده ليمسحه. جرح شيء بارد وحاد وقاس وجنته، فتح عينيه، وشاهد شفرة الرجل المعقوفة في يده، الشفرة الفولاذية الزرقاء التي تعكس صورة مقلة عينه الواسعة المذهولة.

صرخ جود، وأفلتها من يده، ثم نظر إلى الأرض، لكنها لم تكن هناك عندها.

11

تراجع عن الباب. كانت الغرفة مليئة بصوت أنفاس مجهدة، خاصة به وبـماري – بث. كانت ماري – بث في تلك اللحظة. فهو لم يتذكر ماذا كان يدعوها عادة.

سألته: "ما الذي تنظر إليه؟" بلكنة أميركية جنوبية، ضعيفة لكنها جنوبية بالتأكيد.

قال: "جورجيا". متذكرا عندها. "لا شيء. لا يمكن أن أكون أكثر اتزانا".

"آه، حقا؟! ماذا تتعاطى؟" واختفت تلك اللكنة الرقيقة التي يستطيع المرء بالكاد تمييزها بالسرعة نفسها التي ظهرت بها. عاشت جورجيا سنتين في مدينة نيويورك، حيث بذلت جهودا كبيرة لتعديل لكنتها، ولم تكن ترغب بأن يعتبرها أحد فتاة ريفية خرقاء.

"لقد تخلصت من كل ذلك قبل سنوات. قلت لك ذلك".

"ماذا حدث في القاعة؟ لقد رأيت شيئاً. ماذا رأيت؟"

حدّق بها محذّراً، ولكنها تجاهلته، وقفت أمامه في رداء النوم، وشبكت ذراعيها تحت صدرها، واختفت يداها عن ناظريه إلى جانبها. تباعدت قدماها قليلا تحسباً، فإذا حاول تجاوزها إلى الطرف الآخر من غرفة النوم، ستسد طريقه؛ طريقة سخيفة تقوم بها فتاة أخف منه وزنا بمئة رطل (37.33 كيلوغرام).

أخيرا، قال: "كان هناك رجل عجوز يجلس في القاعة. على كرسي". كان عليه أن يقول لها شيئا، ولم يكن هناك سبب يدعوه للكذب. لم يكن رأيها حول سلامة عقله يمثل مشكلة بالنسبة له. "لقد مررنا به، لكنك لم تريه. لا أعرف إذا كنت *تستطيعين* رؤيته".

قالت دون أن تقتنع: "ذلك محض هراء".

تحرك نحو السرير، وابتعدت عن طريقه، وأسندت نفسها إلى الجدار.

كانت بذلة الرجل الميت ممدة على جانبه من الفراش. وكانت العلبة العميقة على شكل قلب موضوعة على الأرض، وإلى جانبها الغطاء الأسود، وورقة بيضاء تخرج منها. شم رائحة تنبعث من البذلة عندما كان لا يزال على بعد أربع خطوات منها فأصابه الفزع. لم تكن لها مثل تلك الرائحة عندما خرجت أول مرة من العلبة، فلقد كان سيلاحظ شيئاً مثل ذلك. كان مستحيلاً آنذاك ألا يشم الرائحة. كانت رائحتها نتنة، مثل جيفة متفسخة.

قال جود: "يا الله !"

وقفت جورجيا بعيداً، ووضعت يدها فوق فمها وأنفها. "أعرف. كنت أتساءل فيما إذا كان هناك شيء في أحد الجيوب. شيء نتن. طعام فاسد".

تنفس جود من خلال فمه، وربت على السترة. اعتقد أنه سيكتشف على الأرجح شيئاً في حالة متقدمة من التحلل. لن تكون مفاجأة له إذا وجد أن جيسيكا مكديرموت برايس قد حشرت فأراً ميتاً في البذلة، أي شيء صغير خاص وصله مع البضاعة، دون كلفة إضافية. عوضاً عن ذلك، شعر بشيء صلب مربع الشكل ربما يكون بلاستيكياً في أحد الجيوب. أخرجه لإلقاء نظرة عليه.

كانت صورة، يعرفها جيداً، إنها الصورة المفضلة لدى آنا والتي يظهران فيها معاً. أخذتها معها عندما غادرت، التقطها داني في الشرفة الأمامية بعد ظهيرة أحد الأيام في أواخر آب، حيث كانت أشعة الشمس ضاربة إلى الحمرة، ودافئة، والجو مليء بحشرات اليعسوب وذرات الغبار المتألقة. كان جود يجثم على الدرجات مرتدياً سترة قطنية، ويضع غيتار الدوبرو فوق إحدى ركبتيه. بينما جلست آنا بجانبه، تشاهده يعزف، وتضع يديها بين ساقيها. كان الكلبان ممددين على التراب أمام أقدامهما، يحدّقان بسخرية نحو آلة التصوير.

كان الجوّ لطيفاً في تلك الظهيرة، وربما تكون واحدة من آخر فترات بعد الظهر اللطيفة قبل أن تسوء الأمور، لكن النظر إلى الصورة الآن لم يكن مصدر سعادة. أجرى عليها أحدهم تعديلات. كان الحبر الأسود يملأ عيني جود، وتغطيهما يد غاضبة.

كانت جورجيا تقول شيئاً من حيث تقف على بعد خطوات قليلة، لكن صوتها كان خجولا، ويفتقر للثقة. "كيف كان يبدو؟ الشبح في القاعة؟"

كان جود يدير لها ظهره، ولهذا لم تستطع رؤية الصورة، لحسن الحظ. لم يكن يريدها أن تراها.

كافح لإخراج صوته، كان صعباً التغلب على الصدمة التعيسة لتلك الخربشات السوداء التي تلطخ عينيه في الصورة. أخيرا، استطاع القول: "رجل عجوز. كان يرتدي هذه البذلة".

"كان هناك تلك الخربشات السوداء البشعة اللعينة تطفو أمام عينيه، وتبدو مثل هذه تماماً". تخيّل جود أنّه يقول لها ذلك، ويتحول ليريها الصورة في الوقت نفسه. ولكنه لم يفعل، رغم ذلك.

سألت جورجيا: "كان يجلس هناك وحسب؟ لم يحدث شيء آخر؟"

"نهض وأراني شفرة قصية متصلة بسلسلة. شفرة صغيرة مضحكة".

في اليوم الذي التقط فيه دانى الصورة، كانت آنا ما تزال على حالها، واعتقد جود أنها ستكون سعيدة. كان جود قد أمضى معظم أوقات الظهيرة في الصيف الماضي تحت الموستانغ، وبقيت آنا بالقرب منه، تزحف لتناوله العدّة والقطع الضرورية. في الصورة، هناك بقعة زيت محرك على ذقنها، وأوساخ على يديها وركبتيها؛ سخام ساحر، مكتسب بعرق الجبين، ومن النوع الذي يمكن للمرء أن يفخر به. كان حاجباها معقودين، وكانت هناك عقدة جميلة بينهما، أما فمها فكان مفتوحاً، كما لو أنها تضحك، أو، على الأرجح، على وشك طرح سؤال ما. *أنت تذهب للصيد كثيرا في بحيرة بونتشارتريان؟ ما هو أفضل كلب اقتنيته يوما؟* هي وأسئلتها.

على كلّ حال، لم تسأله آنا لماذا يبعدها عنه عندما انتهى الأمر. لقد انتهى الأمر بعد الليلة التي وجدها فيها تتجول على جانب الطريق العام مرتدية قميصا ولا شيء سواه، والناس يصيحون عليها أثناء مرورهم بها. سحبها إلى السيارة، واستجمع قبضته ليلكمها، لكنه لكم المقود عوضا عن ذلك، واستمر في لكمه حتى سالت الدماء من أصابعه. قال إن ذلك كاف جدا بالنسبة له، وأنه سيحزم أمتعتها، ويرسلها في حال سبيلها. قالت آنا إنها ستموت من دونه. وكان جوابه على ما قالته إنه سيرسل أزهارا إلى جنازتها.

إذاً حافظت آنا على كلمتها على الأقل. إلا أن الأوان فات ليحافظ هو الآخر على كلمته.

قالت جورجيا: "هل تعبث معي يا جود؟" كان صوتها قريباً. وتتقدم نحوه ببطء، رغم نفورها من الرائحة. أعاد الصورة إلى جيب بدلة الرجل الميت قبل أن تستطيع رؤيتها. "لأنه إذا كانت هذه دعابة، فإنها سمجة".

"إنها ليست دعابة. أظن أنني أفقد عقلي، لكنني لا أعتقد ذلك أيضا. المرأة التي باعتني... البذلة... تعرف ما تفعل. كانت شقيقتها معجبة بي، إلاّ أنها انتحرت. هذه المرأة تحملني مسؤولية موت شقيقتها. تحدثت معها عبر الهاتف قبل ساعة مضت، وأخبرتني ذلك بنفسها. هذا جزء كلي ثقة بأنني لا أتخيله. كان داني هناك. سمعني أتكلم معها. تريد الانتقام مني. لهذا أرسلت لي شبحاً. لقد رأيته للتو في القاعة. ورأيته الليلة الماضية، أيضاً".

بدأ يطوي البذلة، بقصد إعادتها إلى علبتها.

قالت جورجيا بلهجة حازمة معاجئة أدهشته: "احرقها. خذ البذلة اللعينة، واحرقها".

شعر جود، للحظة واحدة، بدافع جارف للقيام بذلك وحسب، والبحث عن سائل يمكن رشها به، وإشعاله، وحرقها على الطريق. كان أمرا لم يثق به فوراً. كان حذراً من القيام بعمل لا يمكن التراجع عنه. من يعرف الجسور التي قد تحترق معها؟ شعر باضطراب خفيف تجاه الفكرة، شيء حول بدلة الرائحة الكريهة وكيف أنها قد تكون ذات فائدة، لكن الفكرة تلاشت قبل أن يستطيع التركيز عليها. كان متعباً، لذا كان من الصعب الإمساك بفكرة جيدة.

كانت أسبابه للاحتفاظ بالبذلة غير قانونية، وخرافية، وغير واضحة حتى بالنسبة له، لكن عندما تكلم، كان لديه تفسير منطقي تماما للاحتفاظ بها. "لا نستطيع حرقها. إنها دليل. سيحتاجها محاميّ لاحقا، إذا قرّرنا رفع قضية ضدّها".

ضحكت جورجيا، بضعف وتعاسة. "ماذا؟ قضية مع روح ميتة؟"

"لا. إقلاق راحة، ربما. مطاردة. إنه تهديد بالموت على كلّ حال، حتى إذا كان جنونياً. هناك قوانين حول ذلك".

أنهى طوي البذلة، وأعادها إلى مكانها بين الورق الشفاف داخل العلبة. تنفس من خلال فمه عندما كان يقوم بذلك، وأبعد رأسه عن الرائحة الكريهة.

قالت: "الرائحة ملأت الغرفة بكاملها. أعرف أن هذا بشع، لكنني أشعر كما لو أنني سأتقيأ".

ألقى بنظرة جانبية عليها، كانت شاردة الذهن، وتضع يدها اليمنى على صدرها، وتحدّق بالعلبة السوداء اللامعة التي على شكل قلب بوجه خالٍ من التعبير. كانت تحفي، حتى لحظات قليلة، يدها إلى جانبها. كان الإبهام متورماً، والمكان الذي دخل فيه الدبوس أبيض متقرحا، بحجم ممحاة قلم الرصاص، يلمع من القيح. رأته ينظر إليها، وألقت نظرة على نفسها، ثم رفعت بصرها مجدداً، وابتسمت ببؤس.

"لقد تلوث جرحك".

"أعرف، لقد وضعت مضادا للفطريات عليه".

"ربما ينبغي عليك رؤية أحد ما بخصوص ذلك. إذا أصابك الكزاز، لن يكون مضاد الفطريات كافياً".

أغلقت أصابعها حول الإبهام المجروح، وضغطت عليه برفق. "لقد وخزني ذلك الدبوس المخفي في البدلة. ربما كان مسمما؟"

"أظن أنه إذا كان يحتوي على سيانيد، كنا سنعرف الآن".

"جمرة خبيثة".

"تكلمت مع المرأة. إنها ريفية حمقاء، هذا إذا أغفلنا حاجتها لبعض عقاقير الهلوسة اللعينة، لكنني لا أعتقد أنها سترسل لي أي شيء عليه سم. تعرف أنها ستذهب للسجن إذا فعلت ذلك". لمس معصم جورجيا، وسحب ذراعها نحوه، وتفحص الإبهام. كان الجلد حول منطقة الإصابة رخواً ومتعفنا، كما لو أنه مغمور بالماء منذ مدة طويلة جدا. "لماذا لا تذهبين وتجلسين أمام التلفاز، سأجعل داني يأخذ لك موعدا مع الطبيب".

ترك معصمها، وأومأ برأسه نحو الباب، لكنها لم تتحرك.

سألت: "هل تنتظر وترى إذا كان في القاعة؟"

حدّق للحظة، ثم أومأ برأسه، وسار نحو الباب. فتحه بمقدار نصف قدم، واختلس النظر للخارج. كانت الشمس قد غيرت موقعها أو حجبتها سحابة، وكانت الردهة غارقة في ظل بارد. لم يكن هناك أحد يجلس على الكرسي الهزاز بجانب الجدار. ولم يكن هناك أحد يقف في الزاوية مع شعرة فضية متصلة بسلسلة.

"الطريق خالٍ".

لمست كتفه بيدها السليمة. "رأيت شبحاً مرة، عندما كنت طفلة".

لم يكن متفاجئاً. لم يلتق بعد بإحدى فتيات غوث ليس لديها نوع من العلاقة مع الظواهر الخارقة للطبيعة، واللواتي لا يعتقدن، بإخلاص كامل ومحرج، بالأشكال الطيفية أو التعاويذ.

"كنت أعيش مع جدتي بامي. كان ذلك بعد أن تخلى عني والدي للمرة الأولى. دخلت في ظهيرة أحد الأيام إلى المطبخ، لأسكب لنفسي كأسا من عصير الليمون الذي تعدّه – تعد عصير ليمون رائعا فعلاً – ونظرت عبر النافذة الخلفية، كانت هناك تلك الفتاة في الحديقة. كانت تجمع نبات الهندباء البرية، وتنفخ عليها لتجعلها تطير، كما يفعل الأطفال، وكانت تغني لنفسها بينما تقوم بذلك. هذه الفتاة أصغر مني ببضع سنين، وترتدي فستاناً زهيد الثمن فعلاً. فتحت النافذة، لأصرخ عليها، وأكتشف ماذا تفعل في حديقتنا. عندما سمعت صرير النافذة، رفعت نظرها إليّ، وعرفت في تلك اللحظة أنها ميتة. كانت عيناها غريبتين".

سألها جود: "ماذا تعنين بغريبتين؟" شعر بوخز وانكماش في جلد ساعديه، وسرت القشعريرة في بدنه.

"كانت عيناها سوداوين. لا، لم تكونا تشبهان حتى العينين إطلاقاً. كانتا... كما لو أنهما مغطاتان".

ردّد جود: "مغطاتان".

"نعم. عليهما علامات. سوداء. ثم أدارت رأسها، وبدا أنها تنظر إلى ما وراء السياج. بعد لحظة واحدة، وثبت، ومشت عبر الحديقة. كانت تحرك فمها، كما لو أنها تتكلم مع شخص ما، إلا أنه لم يكن هناك أحد، ولم أستطع سماع أي كلمات تخرج من فمها. كنت أستطيع سماعها عندما كانت تجمع الهندباء البرية وتغني لنفسها، ولكن ليس عندما نهضت وبدا أنها تتكلم إلى شخص آخر. اعتقدت دائما أن ذلك شيء غريب؛ إذ كيف أستطيع سماعها فقط عندما تغني. ثم توقفت، كما لو أن هناك شخصا خفياً يقف أمامها، على الجانب الآخر من سياج بامي، وكانت تمسك بيده.

أصابني الذعر فجأة، مثل البرد، لأنني شعرت أن شيئاً سيئاً سيحدث لها. أردت أن أقول لها أن تترك يده، ومهمن كان الذي تمسك بيده، أردتها أن تتخلص

منه. كنت خائفة جدا، لم أستطع التقاط أنفاسي. نظرت الفتاة الصغيرة إلى الوراء لتراني مرة أخرى، وكانت تبدو حزينة، بعينيها الغريبتين، ثم ارتفعت عن الأرض - أقسم - وطفت فوق السياج. لم تكن تطير فعلا. كان الأمر أشبه بأيدٍ خفية تلتقطها وترفعها. لقد تدلّت قدماها في الهواء، واصطدمت بأوتاد السياج. مرت فوقه، ثم اختفت. عندها تصببت عرقا، وكان عليّ الجلوس على أرضية المطبخ".

رمقت جورجيا وجه جود بنظرة خاطفة، ربما لتكتشف إذا كان يعتقد أنها حمقاء. لكنه أومأ فقط بأن عليها أن تتابع الكلام.

"دخلت بامي، وصرخت وقالت: 'أيتها الفتاة، ما الأمر؟" لكن عندما أخبرتها بما رأيته، انزعجت كثيراً، وبدأت بالبكاء. جلست على الأرض معي، وقالت إنها تصدقني. قالت إنني رأيت شقيقتها التوأم، روث .

كنت أعرف بأمر روث، التي ماتت عندما كانت بامي صغيرة، لكن لغاية ذلك الوقت لم تخبرني بامي بما حدث لها فعلا. اعتقدت دائما أن سيارة دهستها أو شيئاً من هذا القبيل، لكن الأمر لم يكن كذلك. يوماً ما، عندما كانتا في السابعة أو الثامنة - كان ذلك في الخمسينيات - نادت عليهما أمهما لتناول الغداء. ذهبت بامي، لكن روث بقيت في الخارج، لأنها لم تكن تشعر بالجوع، ولأنها كانت متمردة بطبعها. وفيما كانت بامي وباقي العائلة في الداخل، اختطفها أحدهم من الحديقة الخلفية. لم يشاهدها أحد بعد ذلك مجددا. ما عدا بين الفينة والأخرى، يشاهدها الناس في منـــزل بامي تنفخ على الهندباء البرية وتغني لنفسها، ثم يأخذها شخص لا يراه أحد بعيداً. لقد رأت والدتي شبح روث، ورآه زوج بامي مرة، وبعض أصدقاء بامي، وبامي أيضا.

كل من رأى روث كان مثلي تماماً. كانوا يريدون أن يقولوا لها ألا تذهب، وأن تبتعد عمن يكون عند الطرف الآخر من السياج. لكن كل من رآها أصيب بالذعر لدى رؤيتها تتكلم. وقالت بامي إن الأمر لن ينتهي أبدا حتى يجد شخص ما صوته ويتحدث إليها. وأن ذلك شبح روث في نوع من الحلم، الذي يعيد تصوير لحظاتها الأخيرة، وستبقى على تلك الحال حتى يستدعيها أحدهم، ويوقظها من سباتها".

بلعت جورجيا ريقها، وأطبق عليها الصمت. أحنت رأسها، وأخفى شعرها الداكن عينيها.

أخيرا، قالت: "لا أعتقد أن الموتى يريدون أذيتنا. ألا يحتاجون إلى مساعدتنا؟ ألا يحتاجون إلى مساعدتنا دائما؟ إذا رأيته مجددا، ينبغي أن تحاول التكلم معه. ينبغي أن تكتشف ما يريده".

كان جود يعرف أنها ليست مسألة إذا، وإنما متى فقط. وكان يعرف سلفا ما يريده الرجل الميت.

قال جود: "لم يأت ليتحدث معي".

12

لم يكن جود واثقا مما سيفعله لاحقا، لهذا حضّر الشاي، وساهمت الإيماءات الآلية البسيطة لملء الإبريق، ووضع الشاي بالملعقة في المصفاة، والبحث عن كوب، في تصفية ذهنه، وإبطاء الوقت نوعاً ما، وفتح الباب أمام هدوء مفيد. وقف قريباً يستمع إلى صوت الإبريق.

لم يشعر بالذعر، وكان إدراك ذلك سببا في شعوره ببعض الراحة. لم يكن مستعدا للهرب، ويشك بأنه يستطيع كسب أي شيء من الفرار. أيُّ مكان أفضل من هذا يمكنه الذهاب إليه؟ قالت جيسيكا برايس إن الرجل الميت يعود لأجله الآن، وسيلحق به أينما ذهب. خطرت لـجود صورة عن نفسه في مقعد درجة أولى على متن رحلة إلى كاليفورنيا، ثم يدير رأسه فيرى الرجل الميت جالسا بجانبه، مع تلك الخربشات السوداء التي تطفو أمام عينيه. ارتعدت أوصاله، وتخلص من الفكرة. كان البيت مكانا جيدا لاتخاذ موقف مثل أي مكان آخر؛ على الأقل حتى يكتشف شيئا أكثر منطقية. إضافة إلى ذلك، كان يكره وضع الكلبين على متن الطائرة. في الأيام الخوالي، عندما كان يذهب في رحلة، كانا يرافقانه في الحافلة دائما.

لا يهم ما سيقوله لجورجيا، وكان أقل اهتماماً حتى باستدعاء الشرطة أو محاميته. كانت لديه فكرة أن إشراك رجال القانون في الأمر سيكون أسوأ شيء يقوم به. ربما يرفعون دعوى ضد **جيسيكا مكديرموت برايس**، وقد يكون هناك بعض المتعة في ذلك، لكن حتى النيل منها لن يجعل الرجل الميت يختفي. كان يعرف ذلك. لقد شاهد فيما مضى الكثير من أفلام الرعب.

إضافة إلى ذلك، إنّ استدعاء الشرطة لإنقاذه مخالف لميوله الفطرية، مهما كانت المسألة كبيرة. كانت هويته الخاصة في أول سُلم اهتماماته ومركزها، والآلة

التي صنعت كل النجاحات الأخرى، والتي أنتجت كل شيء جدير بالحفاظ عليه ويهتم به في حياته. كان سيحمي ذلك حتى النهاية.

كان جود يستطيع أن يصدق وجود شبح ولكن ليس رجلا مهووسا، وتجسيدا نعيا للشر. كان ينبغي أن يتمتع الرجل الميت بما هو أكثر من العلامات السوداء على عينيه، وشفرة فضية متصلة بسلسلة ذهبية. تساءل، فجأة، عن الأداة التي استعملتها آنا لتجرح رسغيها، وفكّر مجدداً بالبرد الذي حل بالمطبخ، وأنه كان ينحني نحو الإبريق ليحصل على بعض الدفء من الحرارة المنبعثة منه. أضحى جود واثقا فجأة أنها جرحت رسغيها بالشفرة الموجودة في طرف قلادة والدها، والتي استخدمها لتنويم المغفلين اليائسين مغناطيسياً والبحث عن آبار المياه. تساءل ما الذي ينبغي معرفته أيضاً حول كيفية موت آنا، وحول الرجل الذي كان والدها، واكتشف جثتها في حمام بارد، والمياه مشبعة بدمائها.

ربما احتفظ داني برسائل آنا. كان جود يخاف من قراءتها مجدداً، ويعرف في الوقت نفسه أنه مجبر على ذلك. إنه يتذكر تلك الرسائل جيداً، ويعرف الآن أنها كانت تحاول أن تقول له ما ستفعله بنفسها، لكنه تغاضى عن الأمر. لا؛ كان الأمر أشد ترويعا. لم يكن يريد رؤيتها، وتجاهل بإرادته ما كان أمامه مباشرة.

نقلـــت رسائلها الأولى من المنـــزل تفاؤلاً واسعاً، وكانت نصوصها توحي بأنها تســتجمع شتات حياتها، التي أصبح لها معنى، وتتخذ قرارات ناضجة حول مستقبلها. كانـــت رســـائلها تصل في بطاقات بيضاء مترفة، ومكتوبة بحروف رقيقة. وكما كان الحـــال في حديثها، كانت تلك الرسائل مليئة بالأسئلة، رغم أنها لم تكن تتوقع الحصول علـــى أي أجوبـــة عن تلك الأسئلة على الأقل. كانت تكتب أنها أمضت الشهر تبعث بطلـــبات توظيف، ثم تسأل بتكلف فيما إذا كان وضع صباغ شفاه أسود وانتعال حذاء عالـــي الســـاق في مقابلة مع مسؤولي حضانة نهارية بالأمر الخاطئ. ووصفت لـــه زميليـــن، وتساءلت مطولاً عمن سيكون الأفضل لها. لكن ذلك كان كله خداعا، وكان جود يعرف ذلك. لم تحصل على الوظيفة في الحضانة النهارية أبدا، ولم تذكرها مجددا بعـــد تلك الرسالة الأولى. وعندما اقترب فصل الربيع، انتقلت إلى تقديم طلب توظيف في معهد لتدريس فنون التجميل، ونسيت الكلية.

كانت رسائلها الأخيرة صورة حقيقية عن سلامة حالتها العقلية. جاءت على ورق عادي مسطّر، ممزق من دفتر، وكان خطها سيئاً تصعب قراءته. كتبت أنها

غير مرتاحة، وأنها تعيش مع شقيقتها في مسكن جديد، وهناك منــزل يتم بناؤه بجانبه. كتبت أيضا أنها سمعت العمال يطرقون المسامير طوال النهار، وأن الأمر شبيه بالعيش إلى جانب حانوتي بعد وقوع كارثة. وبأنها عندما كانت تحاول النوم في الليل، كانت المطارق تبدأ بالعمل مجدداً؛ تماماً عندما تريد الاستغراق في النوم، وكانت تعرف أنه لا يوجد أحد هناك. لقد يئست من الحصول على بعض النوم، وكانت شقيقتها تحاول وضعها في مركز طبي لمعالجة الأرق. كان هناك أشياء ترغب آنا بالحديث عنها، لكن لم يكن لديها أحد لتتكلم معه، أضف إلى أنها تعبت من الحديث إلى نفسها. كتبت أنها لا تستطيع احتمال ذلك التعب طوال الوقت.

توسلت إليه آنا أن يتصل بها، لكنه لم يفعل. لم تكن تعاستها تهمه. كانت مساعدتها في التغلب على اكتئابها تتطلب عملا شاقاً. وكان هو متعباً، فحتى عندما كانا معاً، لم تنفع أفضل محاولاته في إصلاح الأمور. لقد بذل قصارى جهده، لكنه لم يفلح، وبقيت مع ذلك لا ترغب بتركه وشأنه. لم يكن يعرف لماذا قرأ الرسائل حتى، إذا نحينا جانباً أنه لم يجب على بعضها أحياناً. كان يتمنى لو أن تدفق الرسائل يتوقف. وبالفعل توقفت الرسائل في النهاية.

يستطيع داني إخراج الرسائل، ثم تحديد موعد لجورجيا مع الطبيب. لقد تمّ إعداد الخطة، التي لم تكن بالشيء الكبير، لكنها أفضل مما كان عليه الحال قبل عشر دقائق، والذي كان لا شيء. سكب جود الشاي، وبدأ الوقت يمضي مجدداً.

انتقل مع كوبه إلى المكتب، لكنه لم يجد داني وراء طاولته، وقف جود عند المدخل، يحدّق في الغرفة الخالية، يصغي ويحدّق في السكون المُخيم على المكتب بحثاً عما يدل عليه. لكنه لم يجد شيئاً. ربما كان في الحمام، لكنه لا يعتقد ذلك فالباب كان مفتوحاً بشكلٍ جزئي، كما كان في اليوم السابق، ولا يبدو من خلال النظر عبر الشق أن هناك أحداً موجودا سوى الفراغ. ربما خرج داني لتناول الغداء.

تحرك جود نحو النافذة، ليرى إذا كانت سيارة داني على الطريق، ثم توقف قبل الوصول إلى هناك، وتحول إلى طاولة داني. قلّب بعض كدسات الورق، باحثاً عن رسائل آنا. إذا كان داني قد وجدها، فلا بد أنه وضعها في مكان ما بعيداً عن الأنظار. وعندما لم يجدها جود، جلس على كرسي داني، وشغّل برنامج تصفّح الإنترنت على حاسوبه، إنه ينوي إجراء بحث عن زوج والدة آنا. كان يبدو أن

هناك شيئاً حول الجميع على الإنترنت. وربما كان لدى الرجل الميت موقع شخصي على الإنترنت. عَلَقت ضحكة – ضحكة مختنقة بشعة – في حلق جود.

لم يستطع أن يتذكر اسم الرجل الميت الأول، لهذا أجرى بحثا عن مكديرموت المنوم المغناطيسي الميت. وكان على قمة قائمة نتائج بحث جود وصلة إلى نعوة، والتي ظهرت في صحيفة أنباء بنساكولا عن كرادوك جيمس مكديرموت. كان ذلك ما يبحث عنه: كرادوك.

ضغط جود على وصلة الإنترنت، وولج إلى هناك.

كانت هناك صورة بالأبيض والأسود عبارة عن نسخة أصغر من الرجل الذي رآه جود مرتين حتى الآن في ردهة الطابق الثاني. كان يبدو في الصورة في الستين من العمر، حليق الرأس على الطريقة العسكرية التي تظهر فيها فروة الشعر تقريبا. كان يحمل، بوجهه الطويل الذي يشبه الفرس، وشفتيه العريضتين الرقيقتين، ملامح تشارلتون هستون الراحل. لكنّ أكثر ما أذهل جود في الصورة هو اكتشافه أن عيني كرادوك، عندما كان على قيد الحياة، كانتا مثل عيني أي رجل. كانتا صافيتين وواضحتين وتحدّقان باستمرار بثقة الخطباء المفوهين بأنفسهم وكهنة الكتاب المقدس في كل مكان.

قرأ جود. كان الموقع يشير إلى حياة من التعلم والتعليم، الاستكشاف والمغامرة، انتهت عندما توفي كرادوك جيمس مكديرموت نتيجة انسداد وعاء دماغي في منــزل ابنة زوجته في تيستمنت، فلوريدا، يوم الثلاثاء 10 آب. كان ابن الجنوب البار، والطفل الوحيد لكاهن عاش في السافانا وأطلانطا في جورجيا، ولاحقاً في غلافستون، تكساس.

كان أحد أعضاء فرقة لونغهورنز سنة 1965، واسمه على قوائم الاحتياط العسكري منذ التخرج، لقد كان عضواً في فرقة الحرب النفسية في الجيش. واكتشف هناك دوافعه النفسية بعد أن تعرف إلى أساسيات التنويم المغناطيسي. لقد حاز في فييتنام على وسام القلب الأرجواني والنجمة البرونزية. سرّح من الجيش ونال رتبة الشرف واستقر في فلوريدا. في العام 1980، تزوج من **باولا جوي وليامز**، أمينة مكتبة، وأصبح زوج أم ابنتيها، جيسيكا وآنا، اللتين تبناهما لاحقاً. تبادل كرادوك وباولا حباً مبنياً على الإخلاص الكامل، والثقة العمياء، والفتنة المشتركة بالإمكانيات غير المستكشفة للروح الإنسانية.

تقطب حاجبا جود عندما قرأ ذلك. كانت حملة تثير الفضول: "الفتنة المشتركة بالإمكانيات غير المستكشفة للروح الإنسانية". لم يكن يعرف ما تعنيه تلك الجملة حتى.

استمرت العلاقة حتى توفيت باولا عام 1986. استطاع كرادوك خلال حياته معالجة نحو عشرة آلاف *مريض* – شهق جود من الرقم – باستخدام تقنيات التنويم المغناطيسي المتطورة للتخفيف من معاناة المرضى، ومساعدة أولئك الذين يحتاجون للتغلب على نقاط ضعفهم، وما تزال ابنة زوجته البكر **جيسيكا مكديرموت برايس** تتابع العمل كمستشارة خاصة. شهق جود مجدداً. ربما تكون كتبت النعي بنفسها. كان مندهشا لأنها لم تضع رقم الهاتف لمن يرغب بالحصول على خدماتها. *اذكر أنك سمعت عنا من خلال موقع زوج والدتي وستحصل على تخفيض 10 بالمئة مقابل أول جلسة!!!*

اهتمام كرادوك بتحضير الأرواح وإمكانيات العقل الخفية قادته إلى تجربة *الاستنباء*، الطريقة الريفية القديمة في اكتشاف مصادر المياه الجوفية باستخدام عود أو قلادة. لكنها كانت طريقته في قيادة الكثير من رفاق دربه لاكتشاف مكامن قوتهم وقيمتهم الذاتية الدفينة التي ستتذكره لأجلها ابنته بالتبني التي ما زالت على قيد الحياة وأولئك الذين أحبوه. "ربما يكون صوته اختفى الآن، لكننا لن ننساه أبداً".

لا شيء عن انتحار آنا.

جال جود ببصره على الموقع مجددا، وتوقف عند تراكيب معينة من الكلمات التي لم يهتم بها كثيراً: "عمليات نفسية"، "إمكانيات غير مستكشفة"، "إمكانيات العقل الخفية". نظر مجددا إلى وجه كرادوك، ودقق في الثقة الكبيرة التي تبدو في عينيه الشاحبتين والابتسامة الغاضبة تقريبا التي ارتسمت على شفتيه الرقيقتين الباهتتين. كان وغداً قاسي المظهر.

أصدر الحاسوب صوتاً ليلفت نظر جود إلى وصول بريد إلكتروني. أين هو داني بكل الأحوال؟ نظر جود إلى ساعة الحاسوب، وأدرك أنه يجلس هنا منذ عشرين دقيقة. ضغط على برنامج بريد داني الإلكتروني، الذي ينتهي إليه البريد الإلكتروني لكليهما. كان البريد الإلكتروني الجديد موجها إلى جود.

ألقى نظرة على عنوان المراسل، ثم تململ في الكرسي، وعدّل جلسته، وتوترت العضلات في صدره وبطنه، كما لو أنه يعرأ عن بلية أصابته. كان الأمر

كذلك على نحو ما. كان البريد الإلكتروني من (craddockm@box.closet net).

فتح جود البريد الإلكتروني وبدأ القراءة.

العزيز جود

سننطلق مع حلول الظلام، سننطلق إلى الحفرة. أنا ميت وأنت ستموت، وأي شخص يقترب كثيراً منك سيصاب بعدوى الموت. نحن مصابان معا سنكون في حفرة الموت معاً، وسيسقط علينا تراب القبر هاهاها. الموتى يسحبون الأحياء للأسفل. إذا حاول أحد مساعدتك، سنسحبهم للأسفل، ونطأ عليهم بالأقدام، ولن يستطيع أحد الخروج، لأن الحفرة عميقة للغاية، والتراب يسقط بسرعة كبيرة، وكل من يسمع صوتك سيعرف أنه حكم صائب. أنا ميت وأنت ستموت وستسمع صوتي - صوتنا، وسننطلق معا على طريق الليل إلى المكان النهائي حيث تصرخ الرياح لك ولنا، وسنمشي على حافة الحفرة، وسنسقط فيها ممسكين بعضنا، وسنسقط نغني لأجلنا أغنية قبرنا قبرك هاهاها.

انقطعت أنفاس جود، وتجمد في مكانه يحس بخدر مثل وخز الإبر. *عمليات نفسية*، فكّر جزافاً، ثم أحس بالغضب، بأسوأ أنواع الغضب، ذلك النوع الذي ينبغي أن يبقى مكبوتاً، لأنه لم يكن هناك أحد لتوجيه الشتائم له، ولن يسمح لنفسه بتحطيم أي شيء. كان قد أمضى جزءاً كبيراً من الصباح في رمي الكتب، ولم يجعله ذلك يشعر بتحسن. الآن، رغم ما حدث، ينوي تمالك نفسه.

عاد إلى نافذة البحث، على أمل إلقاء نظرة ثانية على نتائج بحثه، ليرى ما يستطيع إيجاده. نظر دون أي انفعال على نعي بنساكولا للأنباء مرة أخرى، ثم ثبت نظره على الصورة. كانت صورة مختلفة آنذاك، وكان كرادوك مكشّرا وعجوزاً، وكان وجهه مليئا بالتجاعيد وهزيلاً، ويتضور جوعاً تقريباً، وعلى عينيه خربشات تبدو مثل علامات سوداء غاضبة. تورد السطور الأولى من النعي أن حياة من التعلم والتعليم، الاستكشاف والمغامرة، انتهت عندما توفي كرادوك جيمس مكديرموت نتيجة انسداد وعاء دماغي في منـــزل ابنة زوجته وأنه يظهر هاهاها وأنه بارد لقد كان بارداً وسيكون جود بارداً أيضا عندما يجرح نفسه وسيجرح نفسه ويجرح الفتاة وسيكونان في حفرة الموت ويستطيع جود الغناء لهم، الغناء لهم جميعاً...

وقف جود بسرعة كبيرة، ومع مثل تلك القوة المفاجئة، اندفع كرسي داني للخلف وانقلب. ثم أصبحت يداه على الحاسوب، تحت الشاشة، ورفعه، بجهد كبير عن الطاولة، ورماه إلى الأرض. ارتطم محدثاً صريرا عالياً، وصدر عنه صوت مثل صوت تحطم الزجاج، تبعه أزيز ذبذبة تيار كهربائي، ثم سكون. تباطأ عمل المروحة التي تبرد اللوحة الأم حتى توقفت تماماً. لقد قذفه بشكل غريزي، وكانت حركته أسرع من تفكيره. اللعنة عليه. لقد بالغ في تقدير قدرته على تمالك نفسه.

شعر بأن قلبه قد توقف عن الخفقان، وأنه متوعك وأن قدميه ضعيفتان. أين هو داني؟ نظر إلى ساعة الجدار، ورأى أنها الثانية تقريباً، وكان الوقت قد تأخر كثيرا لتناول الغداء. ربما ذهب في مهمة قصيرة. عادة، في مثل تلك الحالات، يتصل بـــجود عبر جهاز الاتصال الداخلي ليعلمه أنه سيخرج.

دار جود حول طاولة المكتب، أخيراً وصل إلى النافذة التي تطل على الطريق. كانت سيارة داني الصغيرة الخضراء من طراز هوندا – هيبرد متوقفة عند المدخل الترابي، وكان داني فيها. جلس داني بهدوء تام في مقعد السائق، وإحدى يديه على المقود، ووجهه شاحب وصارم وخالٍ من التعابير.

هدأ جود عندما شاهد داني يجلس هناك ولا ينظر إلى شيء محدد. راقبه عبر النافذة، لكن داني لم يكن يفعل شيئاً. لم يكن يركن السيارة في تلك البقعة من قبل. ولم ينظر إلى شيء هكذا من قبل. كان داني يبدو – شعر جود برعشة اضطراب في مفاصله لتلك الفكرة – مثل رجل فاقد للوعي. مرّت دقيقة كاملة، ثم أخرى، وكلما طال أمد مراقبته، كلما ازداد شعور جود بعدم الراحة، والاضطراب في جسده. ثم وضع يده على الباب، ووجد نفسه يخرج منه، ليكتشف ما خطب داني.

13

كان الجو قارص البرودة مما جعل عينيه تدمعان. وفي الوقت الذي وصل فيه إلى جانب السيارة، كانت وجنتا جود تلتهبان، وأرنبة أنفه خدرة. ورغم أن الوقت كان في بداية فترة بعد الظهيرة، إلا أن جود كان ما يزال يرتدي رداء النوم، وسروالاً مقلّماً. وعندما تهب نسمة، كان الهواء الشديد البرودة يلفح جلده العاري.

لم يلتفت داني لينظر إليه، بل تابع التحديق بوجه خال من أي تعبير عبر زجاج السيارة الأمامي. كان يبدو أسوأ عن قرب. كان يرتعش نوعاً ما، ولكن بثبات. وسالت نقطة عرق على وجنته.

دقّ جود بمفصل إصبعه على الزجاج. تحرك داني، كما لو أنه استيقظ مدعوراً من غفوة قصيرة، وطرفت عيناه بسرعة، وتحسس بحثاً عن الزر لإنزال الزجاج. لم ينظر، رغم ذلك، بشكل مباشر إلى جود.

سأله جود: "ما الذي تفعله في السيارة يا داني؟"

"أعتقد أنني سأذهب إلى المنـــزل".

"هل رأيته؟"

قال داني: "أعتقد أنني سأذهب إلى المنـــزل الآن".

"هل رأيت الرجل الميت؟ ماذا فعل؟" كان جود صبورا. وعندما يتطلب الأمر ذلك، يكون جود أكثر الرجال صبراً على الأرض.

"أعتقد أنني أعاني من معدتي. هذا كل ما في الأمر".

رفع داني يده اليمنى من حضنه ليمسح وجهه، ورأى جود أنها تقبض على أداة فتح الرسائل.

قال جود: "لا تكذب يا داني. أريد أن أعرف ما رأيته فقط".

"كانت عيناه علامتين سوداوين. نظر إليّ مباشرة. تمنيت لو أنه لم ينظر مباشرة إليّ".

"لا يستطيع إلحاق الأذى بك يا داني".

"لا تعرف ذلك. لا تعرف".

مدّ جود يده عبر النافذة المفتوحة ليربت على كتفه. ارتعش داني من لمسته. وفي الوقت نفسه، أشار بإيماءة سريعة إلى جود بأداة فتح الرسائل. لم تكن تلك تشكل أي خطر عليه، لكنّ جود سحب يده بكل الأحوال.

"داني؟"

قال داني: "عيناك مثل عينيه تماماً". وعشّق علبة سرعة السيارة على وضعية الرجوع.

قفز جود بعيداً عن السيارة قبل أن يدوس داني على قدمه. لكن داني تردد، وقدمه على المكابح.

قال للمقود: "لن أعود".

"حسناً".

"سأساعدك إذا استطعت، لكنني لا أستطيع. لا أستطيع وحسب".

"أفهم".

قاد داني السيارة للخلف بهدوء على الممر الخارجي، وكان صوت الإطارات على الحصى مسموعاً، ثم انعطفت السيارة بزاوية تسعين درجة، ونزلت على التل نحو الطريق. بقي جود يراقب حتى عبر داني البوابات، واستدار يساراً، واختفى عن ناظريه. لم يره جود مجدداً على الإطلاق.

14

كان جود ممتناً لنسمة الهواء التي تلسع وجهه، والطريقة التي يسبب بها كل شهيق وخزاً خفيفاً عبر رئتيه. كان ذلك حقيقياً. منذ رأى الرجل الميت في ذلك الصباح، شعر بأن أفكاراً غير طبيعية تسبب له الكوابيس تراوده بشكل متزايد، وتتسلل إلى الحياة اليومية حيث لا مكان لها. لقد كان بحاجة لعدّة حقائق قاسية يستند إليها، ويتشبث بها لإيقاف الاستنـــزاف.

راقبه الكلبان بحزن فيما كان يحرر قفل حظيرتهما. وانسل للداخل قبل أن يتمكنا من الخروج إليه، وانحنى نحوهما، وسمح لهما بالصعود إليه، وشم وجهه. كان الكلبان حقيقيين، أيضاً. حدّق بهما، وبأعينهما البنية مثل الشوكولاته، وبوجهيهما الطويلين القلقين.

سألهما: "إذا كان بي خطب ما، ستريانه، أليس كذلك؟ وإذا كانت هناك علامات سوداء فوق عينيّ؟"

لعق أنغوس وجهه، مرة، مرتين، وقبّل جود أنفه الرطب. وربت على مؤخرة بون، فيما شمت ساقيه باضطراب.

خرج من الحظيرة. لم يكن مستعداً للعودة إلى الداخل، تلمّس طريقه إلى المخزن عوضاً عن ذلك. اتجه نحو السيارة، وألقى نظرة على نفسه في المرآة المثبتة على باب السائق. لا علامات سوداء. كانت عيناه كما كانتا دائماً: رماديتان باهتتان وحادّتان تحت حاجبين أسودين كثيفين، كما لو أنه ينوي ارتكاب جريمة.

اشترى جود سيارة الموستانغ 65 في حالة يرثى لها من شخص يبيع معدّات الفرق الموسيقية، وكانت من طراز جي تي السريعة. كان في جولة، دون استراحة تقريباً، طوال عشرة شهور، لقد انطلق على الطرقات حالما تركته زوجته، وعندما

عاد، وجد نفسه في منـــزل خالٍ وليس لديه شيء ليقوم به. أمضى كل تموز ومعظم آب في المخزن، يعمل على الموستانغ، ينتزع القطع الصدئة، يعرضها للنار، يصلح مكان الانبعاج، ويعالج أماكن الصدأ، يغمسها بالزيت والأسيد، ويستبدلها: كتلة من طراز هايبو، وكرنك، رؤوس، محور، جهاز تعشيق، نوابض ومقاعد سباق بيضاء أصلية؛ كل شيء أصلي عدا مكبرات الصوت والمسجلة. وضع مضخمات في الصندوق، وقام بلصق هوائي إكس – إم على السطح، ومدّد نظاماً صوتيا رقمياً حديثاً جدا. لطخ نفسه بالزيت، وأتعب مفاصله، وأجهد نفسه بمحور نقل الحركة. كان ذلك نوعاً قاسياً من الشغف، ومناسباً جدا له.

في ذلك الوقت، جاءت آنا للعيش معه. لم يكن يدعوها دائماً بذلك الاسم. كانت بالنسبة له فلوريدا، رغم أنه بطريقة ماء ومنذ أن علم بانتحارها، عاد ليفكر بها مجدداً على أنها آنا.

كانت تجلس على المقعد الخلفي مع الكلبين عندما كان يعمل، وكان حذاؤها يبرز من نافذة لا زجاج لها. كانت تغني الأغاني التي تعرفها، وتتحدث أحاديث الأطفال إلى بون وتلاحق جود بأسئلتها. سألته فيما إذا كان سيصبح أصلع يوماً ما ("لا أعرف")، لأنها ستتركه إذا انتهى به الأمر على ذلك النحو ("لا أستطيع لومك")، وهل سيعتقد أنها مثيرة إذا حلقت كل شعرها ("لا")، وفيما إذا كان سيسمح لها بقيادة الموستانغ بعد الانتهاء منها ("نعم")، وهل دخل يوماً في شجار بالقبضات ("أحاول تفادي ذلك – من الصعب عزف الغيتار بيد مكسورة")، ولماذا لم يتحدث مطلقاً عن والديه (لم يقل شيئاً)، وهل يؤمن بالقدر (قال "لا"، لكنه كان يكذب).

قبل آنا والموستانغ، كان قد سجل قرصاً مضغوطاً جديدا، أسطوانة بمفرده، وسافر إلى نحو أربع وعشرين دولة، وعزف في أكثر من مئة حفلة. لكنه يعمل على السيارة للمرة الأولى منذ أن هجرته شانون، وشعر بأنه يقوم بشيء مهم، بإخلاص شديد؛ لم يكن يعرف لماذا تمنحه إعادة بناء سيارة شعور العمل المخلص عوضاً عن هواية رجل ثري، فيما يبدو تسجيل الأسطوانات والعزف في الحفلات مثل هواية رجل ثري وليست عملاً.

جالت فكرة بأن عليه الذهاب مرة أخرى في ذهنه. فكرة أن يضع المزرعة وراء ظهره وينطلق، ولا يهم إلى أين يتجه.

كانت الفكرة ملحّة جداً، عليه القيام بشيء ما - الصعود إلى السيارة والخروج من هناك - لدرجة أنها استولت عليه. كان يستاء من فكرة دفعه للهروب. إن إلقاء نفسه في السيارة والمغادرة ليس خياراً، وإنما ذعرا. جاءته فكرة أخرى بعد ذلك، مزعجة ولا صحة لها، إلا أنها مقنعة بشكل غريب: الفكرة التي تآلف معها، إن الرجل الميت يريده أن يهرب. إن الرجل الميت يحاول إجباره على الهروب من... ممادا؟ لم يستطع جود أن يتخيل شيئاً. في الخارج، كان الكلبان ينبحان معا على عابر سبيل.

علـــى كلّ حال، لم يكن سيذهب إلى أي مكان قبل أن يتحدث مع جورجيا حول ذلـــك. وإذا قرر أخيراً أن يُشمّع الخيط، ربما سيرعب أن يرتدي ملابسه قبل أي شيء آخـــر. ورغـــم ذلك، وجد نفسه في لحظة أخرى داخل الموستانغ، خلف المقود. كانت مكاناً جيداً للتفكير. لطالما كانت الأفكار الجيدة تأتيه في السيارة، فيما المذياع يعمل.

جلس والنافذة نصف مفتوحة، في المرآب المظلم، في الطابق الأرضي، وشعر بأن هناك شبحاً في الجوار، وكانت آنا، وليست روح زوج والدتها العاضية. كانت قريبة كأنها على المقعد الخلفي. لقد تبادلا الحب هناك، بالطبع. وكان قد دخل إلى المنـــزل لجلب الجعة وعاد، وكانت هي تجلس في مؤخرة الموستانغ تنتعل حذاءها ولا شيء آخر. ألقى علب الجعة المفتوحة، وترك رغوتها تفور على التراب. في تلك اللحظة، لم يكن هناك شيء في العالم يبدو أكثر أهمية من جسد ابنة السادسة والعشرين الممشوق، وتعرق ابنة السادسة والعشرين، وضحكتها، وأسنانها على عنقه.

انحنى للخلف على الجلد الأبيض، محاولاً الهروب من الإرهاق الذي تعرض له طوال اليوم. كانت ذراعاه ثقيلتين، وقدماه العاريتان خدرتين من البرد. كان قد ترك في وقت مضى قطعة قماش جلدية سوداء على المقعد الخلفي، تناولها ووضعها على قدميه. كانت مفاتيح التشغيل في مكانها، لهذا أدارها حتى تعمل المدخرة، وشغّل المذياع.

لم يكن جود واثقا من سبب صعوده إلى السيارة، ولكن بما أنه يجلس فيها الآن، كان صعباً عليه أن يتحرك. كان يستطيع، مما يبدو مسافة بعيدة، سماع الكلبين ينبحان مجدداً، وكانت أصواتهما مرعجة ومباغتة. رفع الصوت ليطغى عليهما.

كان **جون لينون** يغني "أنا فيل البحر". ترك جود رأسه يرتاح على **المقعد**، مسترخياً على المقعد الدافئ تحت سترته. كان صوت **بول مكارتني** يتلاشى بعيداً، ويضيع في صخب هدير محرك الموستانغ، كان ذلك أمراً ممتعاً لأن جود لم يشغّل المحرك، وإنما أدار المفتاح لتشغيل المدخرة فقط. وتبعت أغنية فرقة البيتلز مجموعة من الإعلانات. قال **ليو** من شركة إمبريال للسيارات: "لن تجدوا مثل عروضنا في أي مكان آخر في كل المنطقة. نعقد صفقات لا يمكن مضاهاتها. الموتى يسحبون الأحياء إلى الأسفل. تعالوا إلينا، واجلسوا خلف المقود للقيام برحلتكم التالية، وقودوها في جولة على طريق الليل. سنذهب معاً. سنغني معاً. ستتمنون لو أن الرحلة لا تنتهي. لن تنتهي".

أرعجت الإعلانات جود، واستجمع قواه لينقل إلى محطة أخرى. كانوا يبثون إحدى أغنياته على محطة فوم، كانت أغنيته الأولى وتدعى "أرواح للبيع". وفي العتمة، بدا كما لو أن أشكال أشباح – حفنات ضباب غير واضحة المعالم – بدأت تحوم حول السيارة. أغلق عينيه، وأصغى السمع إلى الصدى البعيد لصوته.

أكثر من الفضة وأكثر من الذهب،

تقول إن روحي تساوي،

حسناً، أرغب بأن تكون مع... مباشرة،

لكنني بحاجة لنقود الحعة أولاً.

أطلق بهدوء زفيراً. لم يكن بيع الأرواح ما أوقعه بالمشاكل، وإنما شراؤها. سيتأكد في المرة القادمة من توافر إمكانية ردّ البضاعة. ضحك، وفتح عينيه قليلاً. كان الرجل الميت، كرادوك، يجلس في المقعد إلى جانبه. كان يبتسم لجود، وكانت أسنانه الملطخة بالصباغ الأصفر ولسانه الأسود باديين. كانت رائحة الموت تنبعث منه، ورائحة عادم السيارة أيضاً. كانت عيناه تختبئان خلف ضربات الفرشاة السوداء الغريبة التي تتحرك باستمرار.

قال جود له: "لا إعادة، لا تبديل". أومأ الرجل الميت برأسه مؤيدا، وأغلق جود عينيه مجددا. كان يستطيع سماع شخص ما، في مكان ما، على بعد أميال، ينادي اسمه.

"... ود! جود! أجبني يا جو... ...".

لم يكن يرغب بأن يزعجه أحد، وكان نعساً، ويريد أن يدعه الآخرون وشأنه. عدّل وضعية المقعد إلى الخلف. وضع يديه فوق بعضهما على معدته، وتنفس بعمق.

كان قد غفا للتو عندما أمسكته جورجيا من ذراعه، وسحبته إلى خارج السيارة، وألقت به على التراب. كان صوتها متقطعاً، يعلو وينخفض على مسامعه.

"... اخرج من هناك يا جود، اخرج...

... لا تكن ميتا، لا تكن...

... جووووووووك، أرجوك...

... افتح عينيك، افتح...".

فتح عينيه، واستقام في جلسته بحركة مفاجئة، بدا الاضطراب عليه. تراجع باب المخزن للخلف، وتدفق ضوء الشمس عبره بأشعة لامعة متوهجة، بديعة المنظر حادة الزوايا. سطع الضوء في عينيه، وفزع منه. أخذ نفساً عميقاً بارداً، وفتح فمه ليقول شيئاً، لتعرف أنه بخير، إلا أن حنجرته كانت مليئة بالريق. زحف على يديه ورجليه وحاول التقيؤ على التراب. كانت جورجيا تمسكه من ذراعه، وانحنت فوقه فيما كان على تلك الحال.

كان جود مصاباً بالدوار. وكانت الأرض تدور تحت قدميه، وعندما حاول النظر إلى الخارج، دار العالم، كما لو أنه لوحة مرسومة على طرف مرهرية، تلف على نفسها. دار المنــزل، الحديقة، الطريق، السماء حوله، واستولى عليه شعور شديد بالدوار، وتقيأ مجدداً.

تمسك بالأرض براحتي يديه، وانتظر حتى يتوقف العالم عن الدوران. لم يكن الدوران الذي يشعر به من ذلك النوع الذي لا يتوقف أبداً. ذلك النوع الذي تختبره عندما تكون ثملاً، أو هائماً، أو شديد الانفعال: إن العالم يدور دائما، والعقل المعافى فقط يستطيع التغاضي عن ذلك الدوران المقزز. بصق، ومسح فمه. كانت عضلات معدته متشنجة، كما لو أنه قام بتنفيذ عشرات تمارين المعدة، وهو أمر كان قريباً جداً من الحقيقة. جلس، وأدار نفسه لينظر إلى الموستانغ. كانت ما تزال تعمل. لم يكن هناك أحد فيها.

كان الكلبان يرقصان حوله. وثب أنغوس إلى حضنه، ودفع بأنفه البارد الرطب في وجهه، ولعق فم جود الكريه الرائحة. كان جود أضعف من أن يدفعه

بعيدا. وألقت بون، الكلبة الخجولة دائما، نظرة جانبية قلقة على جود، ثم أنزلت رأسها إلى حيث تقيأ وبدأت تلعق.

حاول النهوض، ممسكاً بمعصم جورجيا، لكنّ ساقيه لم تكونا قويتين بما فيه الكفاية، وعوضاً عن ذلك سحبها معه إلى الأسفل، وأجبرها على الجثو على ركبتيها. كانت هناك فكرة مشوشة - الموتى يسحبون الأحياء للأسفل - دارت في رأسه للحظة ثم اختفت. ارتعشت جورجيا، وكان وجهها يتصبب عرقاً قرب عنقه.

قالت: "جود، جود، لا أعرف ما يحدث لك".

لدقيقة لم يستطع العثور على صوته، ولم يكن قد سحب أنفاسه بعد. حدّق في الموستانغ السوداء، وارتعدت أوصاله من حالتها.

استمرت جورجيا: "اعتقدتُ أنك ميت. عندما سحبت ذراعك، اعتقدت أنك ميت. لماذا أنت في الخارج هنا والسيارة تعمل، وباب المخزن مغلق؟"

"لا يوجد سبب".

"هل فعلت أنا شيئا؟ هل أفسدت الأمر؟"

"ما الذي تتحدثين عنه؟"

قالت وقد بدأت بالبكاء: "لا أعرف. لا بد من وجود سبب حتى تأتي إلى هنا لتنتحر".

استدار على ركبتيه، ووجد أنه ما زال يمسك بإحدى معصميها الرقيقتين، وأنه أمسك بالأخرى الآن. انتشر شعرها الأسود على وجهها، وغطى عينيها.

"هناك خطب ما، لكنني لم أخرج إلى هنا لأنتحر. لقد جلست في السيارة للاستماع إلى بعض الموسيقى والتفكير لدقيقة، لكنني لم أشغّل المحرك. لقد اشتغل من تلقاء نفسه".

سحبت معصمها بعيداً، "توقف".

"لربما الرجل الميت شغل المحرك".

"توقف. توقف".

"الشبح هنا، لقد رأيته مجددا، كان في السيارة معي. إما أنه أدار الموستانغ أو أنني أدرتها دون أن أدري بما أقوم به، لأنه أراد مني ذلك".

"هل تعرف كم يبدو ذلك جنونياً؟ كم يبدو كل هذا جنونياً؟"

"إذا كنت مجنونا، سيكون داني مجنوناً، أيضاً. لقد رآه داني. لهذا السبب رحل. لم يستطع داني تحمل الأمر. كان عليه الرحيل".

حدّقت جورجيا به، وكانت عيناها مشرقتين ولامعتين ومليئتين بالخوف خلف خصل شعرها الناعمة. هزّت رأسها بإيماءة إنكار آلية.

قالت: "دعنا نخرج من هنا. ساعدني على الوقوف".

دفعت ذراعها تحت إبطه، ودفعت نفسها للنهوض عن الأرض. كانت ركبتاه مثل نابضين ضعيفين، رخوتين لا يمكن الاعتماد عليهما. وحالما وقف على عقبيه، بدأ يفقد توازنه. رفع يديه أمامه ليمنع نفسه من السقوط، وأمسك بغطاء المحرك الساخن.

قال: "أطفئيه. تناولي المفاتيح".

تناولت جورجيا القطعة الجلدية السوداء عن الأرض – التي كانت قد خرجت من الموستانغ معه – ورمت بها على مقعد السائق. سعلت، ولوّحت بيديها لإبعاد ضباب العادم، وصعدت إلى السيارة، وأوقفت المحرك. كان الهدوء مفاجئا ومباغتا.

حشرت بون نفسها بين قدمي جود، باحثة عن الطمأنينة. كانت ركبتاه تنذران بالانهيار؛ بانهياره. دفعها بعيداً بركبته، ثم وضع عقب قدمه على مؤخرتها. نبحت، وقفزت مبتعدة.

قال: "اللعنة عليّ".

سألته جورجيا: "لماذا لم تدعها معك؟ لقد أنقذت وأنغوس حياتك".

"كيف تعرفين ذلك؟"

"ألم تسمعهما؟ كنت آتية لإسكاتهما. كانا في حالة هستيرية".

عندها ندم على ركله بون، ونظر حوله ليرى فيما إذا كانت قريبة منه ليضع يده عليها. لكنها كانت قد انسحبت إلى الحظيرة، كانت تسير في الظلام، تراقبه بعينيها كئيبتين مليئتين بالتهم. تساءل عن أنغوس وجال ببصره في الجوار بحثا عنه. كان أنغوس يقف عند باب الحظيرة، وظهره له، وذيله مرتفع. كان يحدّق بثبات على الطريق.

سألت جورجيا، وكان شيئاً سخيفاً تسأل عنه: "ما الذي يراه؟" لم يكن لدى جود أدنى فكرة. وقف يستجمع قواه بجانب السيارة، بعيدا جداً عن باب الحظيرة المفتوح قليلا لرؤية ما يحدث في الساحة.

دفعت جورجيا بالمفاتيح في جيب جينزها الأسود. كانت قد ارتدت ملابسها

في مكان ما، ولفّت إبهامها الأيمن بضمادة. انسلّت وراء جود، وذهبت لتقف بجانب أنغوس. مرّرت يدها فوق ظهر الكلب، وألقت نظرة خاطفة على الطريق، ثم نظرت إلى جود.

سألها جود: "ما الأمر؟"

قالت: "لا شيء". وضعت يدها اليمنى فوق قفصها الصدري، ورسمت تكشيرة صغيرة على وجهها، كما لو أنه يؤلمها. "هل تحتاج للمساعدة؟"

قال: "أستطيع تدبر الأمر". وانطلق بالموستانغ. كان يشعر بضغط كبير خلف مقلتي عينيه، وألم عميق ينتشر ببطء ويهدد بأن يصبح أسوأ صداع سبق وشعر به على الإطلاق.

عند أبواب المخزن الكبيرة المفتوحة، توقف، وكان أنغوس بينه وبين جورجيا. أمعن النظر بدءاً من ممر الطين المتجمد، إلى أبواب مزرعته المفتوحة. كانت السماء صافية. كان غطاء الغيوم الرمادية الكثيفة ينكشف، والشمس تظهر بين الفينة والأخرى عبر الشقوق.

حدّق الرجل الميت، الذي يعتمر قبعته السوداء، به من حافة طريق الولاية العام. تواجد هناك للحظة واحدة، عندما كانت الشمس خلف إحدى الغيوم، والطريق في الظل. وحالما بزغت أشعة الشمس من أطراف السحابة، فرّ كرادوك مبتعداً. اختفى رأسه ويداه أولاً، وهكذا لم يبق سوى بذلة سوداء جوفاء، تقف خاوية. ثم اختفت البذلة، أيضا. تمتم بأنه سيعود لاحقا عندما تتراجع الشمس خلف الغيوم مرة أخرى.

رفع قبعته لجود، وأحنى رأسه، بإيماءة جنوبية غريبة ساخرة. ظهرت الشمس وغابت، وظهرت مجدداً، وبرز الرجل الميت فجأة مثل شفرة فضية.

سألت جورجيا: "جود؟" أدرك أنه يقف هناك مع أنغوس يحدقان بالسيارة بالطريقة نفسها تماما. "ليس هناك أي شيء هنا، أليس كذلك يا جود؟" لم تر كرادوك.

قال: "لا. لا شيء هناك".

تلاشى الرجل الميت من الوجود بطرفة عين. ثم هبت نسمة هواء رقيقة، في الأعلى، ونشرت الشمس أشعتها مطولاً، على مكان تحولت فيه الغيوم إلى ما يشبه قطع الصوف المتسخة. سطع الضوء بقوة على الطريق، وكان الرجل الميت قد اختفى.

15

قادته جورجيا إلى المكتبة الموسيقية في الطابق الأول. لم يلاحظ أن ذراعها حول خصره، تسنده وترشده، حتى تركته. غاص في الأريكة الخضراء بلون الطحالب، وغرق في النوم حالما وضع نفسه هناك.

عفا قليلاً، ثم استيقظ، وكانت رؤيته مشوشة وغير واضحة، كانت جورجيا تنحني لتضع بطانية عليه. كان وجهها دائرياً شاحباً، خالياً من أي تعبير، عدا الخط القاتم الذي يرسم فمها والحفرتين المظلمتين حيث تسكن عيناها.

أغلق جفنيه. لم يستطع أن يتذكر المرة الأخيرة التي كان بها متعباً بهذا الشكل. تمكن منه النوم، وكان يستولي عليه بثبات، سبب غامر، شعور عامر، لكن فيما كان يستغرق في النوم، طفا وجه جورجيا أمامه، وخطرت له فكرة مباغتة، إن عينيها مفقودتان، وتختبئان خلف خربشات سوداء. كانت ميتة، ومع الأشباح.

كافح لاستعادة وعيه، وكاد ينجح للحظات في ذلك. فتح عينيه قليلاً. كانت جورجيا تقف عند باب المكتبة، تراقبه، وتكورت يداها البيضاوان إلى قبضتين بيضاوين صغيرتين، وكانت عيناها كما هما دائما. شعر بلحظة من الراحة لرؤيتها.

ثم رأى الرجل الميت في الردهة خلفها. كان جلده مشدودا بقوة إلى عقدتي وجنتيه، ويبتسم ابتسامة عريضة تبرز منها أسنانه الصفراء الملطخة بالنيكوتين.

تحرك كرادوك مكديرموت ببطء، كأنه يعرض سلسلة من الصور الثابتة بالحجم الطبيعي. وفي لحظة ما كانت ذراعاه إلى جانبيه. وفي اللحظة التالية، كانت إحدى يديه الهزيلتين على كتف جورجيا. كانت أظفاره صفراء وطويلة وملتفة في نهايتها. قفزت العلامات السوداء، واهتزت أمام عينيه.

قفز الوقت للأمام مجددا. وفجأة، ارتفعت يد كرادوك اليمنى في الهواء، ووضعها عاليا فوق رأس جورجيا. سقطت السلسلة الذهبية منها؛ القلادة في طرفها، والشفرة الفضية المعقوفة ذات الثلاث بوصات، وانهالت ضربة ساطعة أمام عيني جورجيا. تأرجحت الشفرة بشكل منحنٍ أمامها، وحدقت بها مباشرة بعينيها اللتين اتسعتا فجأة وأصابهما الذهول.

حدثـــت حركة أخرى بعد لحظة، وكان كرادوك منحنيا للأمام بوضعية متجمدة، وشـــفتاه على أذنها. لم تكن شفتاه تتحركان، لكن جود كان يستطيع سماع همس صوته فقط، لقد كان صوته يشبه قيام شخص ما بشحذ نصل سكين على قطعة جلدية.

أراد جود مناداتها. أراد تحذيرها، بأن الرجل الميت بجانبها تماماً، وينبغي عليها الهرب، والابتعاد، لا أن تصغي إليه. لكنه شعر بأن فمه معلق بأسلاك، ولم يستطع إصدار أي صوت عدا أنين متقطع. وكانت محاولة إبقاء عينيه مفتوحتين أصعب من أن يستطيع احتمالها، وانغلق جفناه. قاوم النوم، لكنه كان ضعيفاً؛ شعور غير مألوف. غاص للأسفل مرة أخرى، وبقي هناك هذه المرة.

كان كرادوك ينتظره مع الشفرة، حتى أثناء النوم. تدلّت الشفرة المتصلة بالسلسلة الذهبية أمام وجه رجل فييتنامي كان عاريا باستثناء خرقة بيضاء يلفها حول خصره، ويجلس على كرسي ثابت الظهر في غرفة إسمنتية رطبة. كان رأس الفييتنامي حليقاً، وهناك دوائر وردية لامعة على فروة رأسه، والتي تدل على حروق سببتها الأقطاب الكهربائية.

كان الكلبان يقفان مباشرة بجانب زجاج النافذة التي تطل على الحديقة الأمامية حيث ينهمر المطر، وقريبين بما فيه الكفاية لتظهر آثار أنفاسهما عليه نتيجة تكاثف الرطوبة. كانا ينبحان بغضب، لكنهما كانا مثل كلبين على التلفاز، والصوت صامت طوال الوقت، لم يكن جود يسمعهما على الإطلاق.

وقف جود بهدوء في الزاوية، على أمل أن لا يراه أحد. تحركت الشفرة جيئة وذهاباً أمام وجه الفييتنامي المذهول الذي يتصبب عرقا.

قال كرادوك: "كان الحساء مسموماً". كان يتكلم بالفييتنامية، لكن بطريقة الأحلام، وكان جود يفهم ما يقوله بالضبط. "هذا هو الترياق". أشار بيده الخالية إلى حفنة ضخمة داخل علبة سوداء على شكل قلب. كان في العلبة سكين مقوّسة عريضة النصل مع مقبض من التفلون (مادة تمنع التصاق الطعام). "أنقذ نفسك".

تناول العييتامي الحقنة وغرزها، دون تردد، في عنقه. كان طول الإبرة نحو 12 سم. أجفل جود، وأشاح بنظره بعيداً.

انتقلت نظرته طبيعيا إلى النافذة. بقي الكلبان عند الطرف الآخر من الزجاج، يقفزان عليه، دون أن يصل إليه صوتهما، جلست جورجيا خلفهما على أحد طرفي الأرجوحة، وجلست فتاة صغيرة شعرها أبيض ناعم حافية القدمين وترتدي فستانا مزيناً بزهور جميلة على الطرف الآخر. كانت كل من جورجيا والفتاة تضعان عصبة للعينين، ووشاحاً شفافاً أسود مصنوعاً من أحد أنواع النسيج الرقيق. كان شعر الفتاة الأصفر الشاحب مضفّراً. وكان وجهها خالياً من أي تعبير مميز. ورغم أنها بدت مألوفة بشكل ما لجود، إلا أن لحظة طويلة ومملة انقضت قبل أن يدرك، بصدمة قاسية، أنه ينظر إلى آنا، كما كانت في التاسعة أو العاشرة. كانت آنا وجورجيا تصعدان وتهبطان.

كان كرادوك يقول: "سأحاول مساعدتك". متحدثاً إلى حبيبه بالإنكليزية آنذاك. "أنت في ورطة، هل تفهم ذلك؟ لكنني أستطيع مساعدتك، وكل ما عليك فعله هو الإصغاء جيدا. لا تفكّر. استمع وحسب إلى صوتي. حلّ الليل تقريباً. حان الوقت تقريبا. الليل هو الوقت الذي نشغّل به المذياع، ونصغي إلى الصوت القادم منه. ونفعل ما يطلبه منا رجل المذياع. رأسك مذياع، وصوتي هو الإذاعة الوحيدة".

نظر جود إلى الخلف، لكنه لم ير كرادوك بعدها. كان يوجد في مكانه، حيث كان يجلس، مذياع عتيق الطراز، مقدمته مضاءة كلها بالأخضر، ويخرج صوته منه. "فرصتك الوحيدة للنجاة هي بفعل ما أقوله لك تماما. صوتي هو الصوت الوحيد الذي تسمعه".

شعر جود بضيق في صدره، لم يكن يعرف إلى أين سيؤدي ذلك. مشى متثاقلا ووصل في ثلاث خطوات إلى جانب الطاولة. كان يريد التخلص من صوت كرادوك. أمسك جود بسلك المذياع الكهربائي، في المكان الذي يتصل به القابس بالجدار، وانتزعه. كان هناك دفقة من الكهرباء الزرقاء اللون، والتي لسعت يده. تراجع إلى الخلف، وألقى بالسلك على الأرض. كان المذياع ما يزال يصدح بالصوت، تماما كما كان من قبل.

"إنه الليل. إنه الليل أخيرا. حان الوقت الآن. هل ترى السكين في العلبة؟ تستطيع إمساكها. خذها. ذكرى ميلاد سعيد لك".

نظر الرجل الفييتنامي إلى العلبة على شكل قلب ببعض الفضول، وتناول السكين المقوّسة منها. أدارها في كلا الاتجاهين، ولمع النصل تحت الضوء.

تحرك جود لإلقاء نظرة على مقدمة المذياع. كانت يده اليمنى ما تزال ترتجف من الصدمة التي تلقتها، وكانت ثقيلة، ومن الصعب التحكم بحركتها. لم يرَ مفتاحاً للطاقة، لهذا أدار قرص اختيار القنوات، محاولا الهروب من صوت كرادوك. كان هناك صوت ظنّه جود في بادئ الأمر تشويشاً إذاعياً، لكن تبين بعد دقيقة واحدة أنّه عبارة عن آلاف الأصوات لحشد كبير منتظم يتبادل أطراف الحديث معا.

قال رجل يمتلك نبرة معروفة لشخصية إذاعية شهيرة في الخمسينيات: "يقوم **ستوتلماير** بتنويمهم مغناطيسياً اليوم باستخدام أداته المقوّسة النصف دائرية، ويستجيب له **طوني كونيغليارو** ربما سمعتم أنكم لا تستطيعون دفع الناس للقيام بأشياء لا يريدون القيام بها فعلا إذا كانوا تحت تأثير التنويم المغناطيسي. لكنكم تشاهدون هنا أن ذلك غير صحيح، لأنكم تستطيعون القول إن طوني. ك لم يكن يرغب بالتأكيد بالتأرجح على ذلك المنحدر. تستطيعون دفع أي شخص للقيام بأي عمل بشع. ينبغي أن تجعلوهم يسترخون أولاً. دعوني أشرح لكم ما أعنيه مع **جوني يلومان** هنا. جوني. أصابع يدك اليمنى أفاعٍ سامة. لا تجعلها تعضك!"

قذف الرجل الفييتنامي بنفسه إلى الوراء على مقعده نتيجة الصدمة. منخراه يتوهجان، وعيناه تضيقان، بنظرة مفاجئة من التصميم الشديد. استدار جود، وعقبا قدميه يصدران صوت صرير لدى احتكاكهما بالأرض، ليصرخ، ليطلب منه التوقف، لكن قبل أن يستطيع التكلم، ضرب الحبيس الفييتنامي السكين على يده.

سقطت أصابعه من يده، ولم تكن سوى رؤوس أفاعٍ، سوداء، تتلألأ. لم يصرخ الرجل الفييتنامي. وتهلل وجهه المكتئب، البني اللون مثل اللوز، فرحاً بما حققه. رفع يده اليمنى لتظهر بقايا أصابعه بعد البتر، فخورا تقريباً، والدم يتدفق منها، وينســزل على طول ذراعه.

"نقدّم لكم هذا الفعل الغريب في البتر الذاتي برعاية موكسي البرتقالي. إذا لم تتذوقوا موكسي بعد، فلا شك أن الوقت قد حان للتوجه نحو الطبق واكتشاف ما يقول عنه مايكي مانتل إنه ممتاز. ابتعدوا قليلاً حتى...".

استدار جود، والتفت نحو الباب، وشعر بالقيء في مؤخرة حلقه، وشمّ رائحة القيء عندما أطلق شهيقاً. وفي نطاق رؤيته، كان يستطيع رؤية النافذة، والأرجوحة. كانت ما تزال تصعد وتهبط. لم يكن هناك أحد عليها. كما أن الكلبين استلقيا على جانبيهما، نائمين على العشب.

دفع نفسه عبر الباب، ونزل بعنف على درجتي الطابق السفلي نحو الفناء الترابي خلف مزرعة والده. كان والده يجلس وظهره له، على صخرة، يشحذ شفرة مستقيمة باستخدام قطعة جلدية سوداء. كان الصوت مثل صوت الرجل الميت، أو ربما العكس، لأن جود لم يكن متأكداً على وجه الدقة. وإلى جانب مارتن كاوزنسكي، كان هناك حوض ماء فولاذي على العشب، وقبعة سوداء تطفو فيه. كانت تلك القبعة في الماء بشعة. أراد جود أن يصرخ لدى رؤيتها.

كانت أشعة الشمس قوية ومباشرة على وجهه، ووهجها ثابت. ترنّح في الحرارة، وتمايل على عقبيه، ورفع يده ليحمي عينيه من الضوء. مرّر مارتن الشفرة على القطعة الجلدية، وتناثر الدم من الجلد الأسود بنقاط كبيرة. عندما مرر مارتن الشفرة للأمام، همست القطعة الجلدية "موت". وعندما سحب الشفرة للخلف، صدر عنها صوت مخنوق مثل كلمة "حب". لم يخفف جود سرعته ليتحدث إلى والده وتابع السير إلى خلف المنـــزل.

ناداه مارتن: "جوستن". وألقى جود نظرة جانبية خاطفة عليه، ولم يستطع منع نفسه. كان والده يرتدي نظارة شمسية لرجل كفيف، بعدستين سوداوين وإطار فضي، وكانت تلمع عندما تقع عليها أشعة الشمس. "ينبغي أن تعود إلى السرير، أيها الفتى. أنت مرهق. إلى أين تعتقد أنك ستذهب بكامل ملابسك هكذا؟"

ألقى جود نظرة للأسفل وشاهد أنه يرتدي بذلة الرجل الميت. وبدأ – دون أن يتوقف عن المشي – يشد أزرار المعطف، ويفكها أثناء سيره. لكن يده اليمنى كانت متورمة وثقيلة – شعر بأنه الشخص الذي قطع أصابعه للتو – ولم يستطع فك الأزرار. وبعد خطوات قليلة، استسلم. شعر بالإعياء، والإرهاق في شمس لويزيانا، وبأنه يغلي في بذلته السوداء.

قال والده: "يبدو أنك ستشارك في جنازة أحدهم. ينبغي أن تكون حذرا. قد تكون جنازتك".

كان هناك غراب في حوض الماء حيث كانت القبعة، إلا أنه طار، وفتح جناحيه بغضب، ونثر الماء حوله عندما تجاوزه جود في مشيته المتعثرة المترنحة. بعد خطوة أخرى وصل إلى جانب الموستانغ. سقط فيها، وأغلق الباب خلفه بعنف.

ظهر له سراب عبر الزجاج الأمامي مثل صورة منعكسة في الماء، يومض من خلال وهج الحرارة. كان يتصبب عرقا، ويلهث لالتقاط أنفاسه في بذلة الرجل الميت، التي كانت حارة جداً، وسوداء جدا، وتقيد حركته حدا. اشتم رائحة شيء يشيط، ببطء. كانت الحرارة أشد ما تكون في يده اليمنى. ولا يمكن وصف ما يشعر به في يده بأنه ألم، فهو لم يصل الآن لحدّ الألم بعد. بل كان ثقلاً شديد الوطأة، متورما ليس بالدماء وإنما من التراب الذي علق على يده.

كان مذياع الإكس – إم الرقمي الذي وضعه قد اختفى. وحل مكانه مذياع الموستانغ الأصلي، الذي يصنعه المصنع. عندما ضغط عليه بإبهامه، كانت يده اليمنى ساخنة جدا لدرجة أنها طبعت بصمة الإبهام على المفتاح.

جاء الصوت عبر المذياع ملحا، شجياً، جنوبياً دون أدنى شك: "إذا كانت هناك جملة تستطيع تغيير حياتكم يا أصدقائي. إذا كانت هناك جملة واحدة فقط، دعوني أقولها لكم، إنها... باق إلى الأبد".

أراح جود يده على المقود. بدأ البلاستيك الأسود يلين فورا، وذاب ليأخذ شكل أصابعه. راقب جود ما يجري، مذهولاً، مستغرباً. بدأ شكل المقود يتشوه، وينخسف على نفسه.

"نعم، إذا حافظتم على تلك العبارة في قلوبكم، وحملتم تلك الجملة في قلوبكم، واحتضنتموها كما تحتضنون أولادكم، يمكنها إنقاذ حياتكم، وتستطيع ذلك فعلاً. هل ستستمعون إلى صوتي الآن؟ هل ستستمعون إلى صوتي فقط؟ إليكم كلمة أخرى تستطيع قلب عالمكم رأساً على عقب، وأن تفتح عيونكم على إمكانيات لا تنتهي للروح الحية. تلك الكلمة هي **الليل**. دعوني أكررها. **الليل**. **الليل** أخيراً. الموتى يسحبون الأحياء للأسفل. سننطلق على طريق المجد معا، مرحى!"

رفع جود يده عن المقود، ووضعها على المقعد المجاور له، الذي بدأ الدخان يتصاعد منه. رفع يده وهزّها، لكن الدخان كان يأتي آنذاك من ردنه، من داخل سترة الرجل الميت. كانت السيارة على الطريق الإسفلتي الطويل المستقيم، الذي يمرّ عبر غابة جنوبية، وأشجار تختنق بالنباتات المتسلقة، ودغل يسد المسافات

بينها. كان الإسفلت مشوهاً على البعد، عبر موجات الحرارة الملتهبة التي تنبعث من الطريق.

كانت الموجات الإذاعية تقوى وتخفت، واستطاع أحيانا سماع ومضات من شيء آخر، موسيقى تتداخل مع واعظ المذياع، الذي لم يكن واعظاً على الإطلاق وإنما كرادوك يستخدم صوت شخص آخر. بدت الأغنية حزينة وقديمة، مثل شيء مسجل على أسطوانة شعبية، حزين وعذب في الوقت نفسه، وصوت غيتار منفرد يتم العزف عليه باستخدام المفتاح الصغير. فكّر جود، دون وعي منه، *يستطيع الكلام، لكنه لا يستطيع الغناء.*

أصبحت الرائحة في السيارة أسوأ آنذاك، رائحة صوف بدأ يطش ويحترق. كان جود قد بدأ يحترق. بدأ الدخان يخرج من كلا ردنيه آنذاك ومن تحت ياقته. صكّ أسنانه وبدأ يصرخ. كان يعرف دائماً أنه سيخرج بتلك الطريقة: بالنار. كان يعرف دائماً أن الغضب قابل للاشتعال، وأنه يصبح خطيرا عند كتمه تحت الضغط، حيث أبقاه طوال حياته كلها. اندفعت الموستانغ على الطرق الخلفية التي لا تنتهي، وكان الدخان الأسود يتصاعد من تحت غطاء المحرك، وينتشر خارج النوافذ، لهذا لم يستطع رؤية شيء سوى بصعوبة بالغة عبر الضباب الذي يشكله. وخزته عيناه، وامتلأتا بالدموع، وأضحت الرؤية مشوشة. لم يكن ذلك مهماً. لم يكن بحاجة لرؤية المكان الذي يتجه إليه. ضغط بقدمه على دواسة الوقود.

استيقظ جود منهكاً، وشعر بشيء دافئ كريه في وجهه. كان قد انقلب إلى جانبه، مستلقيا على ذراعه اليمنى، وعندما جلس، لم يكن يشعر بيده. وحتى بعد أن استيقظ، كان ما يزال يشم رائحة شيء يحترق، مثل الشعر المحروق. نظر للأسفل، متوقعا تقريبا أن يجد نفسه مرتدياً بدلة الرجل الميت، كما في **حلمه**. لكن لا، كان ما يزال في رداء نومه القديم الرث.

البدلة. كانت البدلة هي المفتاح. كل ما عليه فعله هو بيعها مجددا، البدلة والشبح كلاهما. كان من الواضح تعجبه لماذا مرّ كل هذا الوقت قبل أن تطرأ هذه الفكرة على ذهنه. سيرغب بها شخص ما، وربما سيرغب الكثير من الناس بها. كان قد شاهد معجبين يركلون، ويبصقون، ويعضون ويحدشون بعضهم البعض للحصول على عصي القرع على الطبول التي يتم إلقاؤها إلى الجمهور. فكّر أنهم ربما سيرغبون بشبح، مباشرة من منــزل جودا كوين، وحتى أكثر من ذلك.

سينترع بعض المغفلين سيئي الطالع البذلة من يده، وسيكون الشبح مضطراً للمغادرة. لم يكن ما سيحدث للشاري بعد ذلك يقلق ضمير جود كثيراً. نجاته الشخصية، ونجاة جورجيا، كانتا في صلب اهتماماته، وفوق كل الاعتبارات الأخرى.

وقف، يترنح، وثنى يده اليمنى. كانت الدماء تعود إليها، مصحوبة بالشعور بوخز بارد.

كان الضوء مختلفاً، وقد انتقل إلى الجانب الآخر من الغرفة، شاحباً وضعيفاً كما لو أنه يمر عبر ستائر مزركشة. كان من الصعب تحديد المدة التي قضاها نائماً.

أعوته الرائحة، تلك الرائحة الكريهة لشيء يحترق، باجتياز غرفة الجلوس المعتمة، والمطبخ، وصولا إلى حرارة الطعام. كان الباب المؤدي إلى الحديقة الخلفية مفتوحاً. كانت جورجيا هناك، ترتعش ببؤس، وترتدي سترة قطنية سوداء وقميصاً من صنع **رامونز** يترك بطنها الرقيق الأبيض مكشوفا. كانت تحمل ملقطين في يدها اليسرى، وتبدو آثار أنفاسها واضحة في الهواء البارد.

قال محاولاً إبعاد كل الدخان بيده: "مهما كان ما تطهيه، فلا بد أنك أفسدته".

قالت: "أنا لا أطهو". وابتسمت بفخر وتحدٍّ. كانت، في تلك اللحظة، جميلة جداً بشكل يحلب الألباب؛ بياض عنقها، والتجويف فيه، والخط الرقيق لعظمتي الترقوة اللتين يمكن رؤيتهما بالكاد. "توصلت إلى ما ينبغي فعله. توصلت إلى طريقة لجعل الشبح يذهب بعيداً".

سأل جود: "كيف ذلك؟"

أمسكت بشيء بالملقطين ورفعته بعد ذلك. كانت قطعة محروقة من القماش الأسود.

قالت: "لقد أحرقت البذلة".

16

بعد ساعة حلّ الغسق. جلس جود في المكتب ليشاهد آخر أشعة الضوء تتلاشى من السماء. كان هناك غيتار في حُجره، كان يحتاج للتفكير، وكان الاثنان متلازمين معاً.

كان يجلس على كرسي، يواجه النافذة التي تطل على المخزن، وحظيرة الكلاب، والنباتات في الخلف. كان جود قد أحدث فجوة في النافذة، وكان للهواء الذي يتسلل منها لسعة باردة. لم يكن يمانع في ذلك، إذ لم يكن الجو أكثر دفئاً في المنـــزل، وكان يحتاج للهواء المنعش، وممتناً لنسيم منتصف تشرين الأول المنبعث من التفاح المتعفن والأوراق الساقطة. أراحه ذلك من عبق غازات العادم. وحتى بعد الاستحمام وتغيير الملابس، كان لا يزال يشم تلك الرائحة.

كان جود يدير ظهره للباب، وعندما دخلت جورجيا الغرفة، شاهد خيالها. كانت تحمل كأساً من الشراب الفرنسي الأحمر في كل يد من يديها. أجبرتها الضمادة الملفوفة حول إبهامها على إمساك إحدى الكأسين بصعوبة، وأراقت القليل من الشراب على نفسها عندما جثت على ركبتيها بجانب كرسيه. لعقت الشراب عن جلدها، ثم وضعت كأساً أمامه، على الأرض قرب قدميه.

قالـــت: "لـــن يعود. الرجل الميت. أراهنك. لقد تخلصنا منه بحرق البذلة. خطة عبقرية. إضافة إلى ذلك، ينبغي على ذلك الشيء اللعين أن يرحل. بعيداً. وضعتها في كيسي قمامة قبل أن أنقلها للأسفل، وما زلت أعتقد أنني كنت سأتقيأ من الرائحة النتنة".

كان يحول في خاطره أن يقول لها: *"يريد منك القيام بذلك"*. ولكنه لم يفعل. لن ينفعها سماع ذلك، وكان كل شيء قد انتهى آنذاك.

حدّقت به جورجيا، تتفحص معالم وجهه. يبدو أن شكوكه كانت واضحة على

وجهه، لأنها قالت: "هل تعتقد أنه سيعود؟" وعندما لم يجب جود، مالت نحوه وتحدثت مجددا، بصوت خفيض، وإلحاح. "إذا، لماذا لا نذهب نحن؟ نحجز غرفة في المدينة ونخرج من هنا؟"

فكّر بذلك، وصاغ إجابته ببطء، وتكلم بجهد. أخيرا قال: "لا أعتقد أن ذلك سيجدي نفعاً، أن نفر وحسب. إنه لا يسكن المنـــزل. إنه يسكنني أنا".

كان ذلك جزءا من القصة؛ لكنه جزء صغير فقط. كان من الصعب للغاية تفسير الباقي بالكلام. استمرت الفكرة تراوده بأن وراء كل ما حدث لغاية ذلك الوقت أسباب معينة؛ أسباب الرجل الميت. جالت عبارة "عمليات نفسية" في ذهن جود وجعلته يرتعش. تساءل مجدداً فيما إذا كان الشبح لا يحاول دفعه للهروب، وسبب قيامه بذلك. ربما يكون المنـــزل، أو شيء في المنـــزل، يوفر أفضلية لـــجود، ورغم كل محاولاته استكشاف ذلك إلا أنه لم يستطع.

سألها جود: "هل فكّرت يوماً بأنه ينبغي عليك الرحيل؟"

قالت جورجيا: "كدت تموت اليوم. لم أعرف ما الذي أصابك، لكنني لن أذهب إلى أي مكان. لا أعتقد أنني سأتركك تغيب عن ناظريّ أبداً مجدداً. إضافة إلى ذلك، لم يمسني شبحك بأي ضرر. أراهن بأنه لا يستطيع لمسي".

لكن جود شاهد كرادوك يهمس في أذنها. وشاهد نظرة الذهول على وجه جورجيا عندما كان الرجل الميت يمسك بالشفرة المتصلة بسلسلة أمام عينيها. ولم ينس صوت جيسيكا برايس على الهاتف، وتشدقها البطيء الجاهل بالكلام الذي ينفث السم: *"لن تعيش، ولن يعيش أي شخص يساعدك أو يخفف عنك"*.

يســـتطيع كرادوك الوصول إلى جورجيا، ينبغي أن ترحل. كان جود يرى ذلك بوضوح آنذاك؛ لكن فكرة إبعادها، والاستيقاظ وحيداً في الليل، واكتشاف الرجل الميت هـــناك، يقف فوقه في العتمة، أصابته بالوهن والخوف. شعر جود بأنها إذا تركته فإنها قد تأخذ ما تبقى من أعصابه معها. لم يكن يعرف إذا كان يستطيع تحمل الليل والهدوء دون وجودهـــا؛ كان اعترافه بالحاجة صارخاً جدا وغير متوقع إطلاقاً، وجعله يشعر بلحظة دوار سيئة قصيرة. كان رجلاً يخشى الارتفاعات، ويراقب الأرض تندفع بعيداً تحته، فيما تشده أرجوحة تتحرك دائرياً خائر القوى نحو الأعلى.

قال جود: "ماذا عن داني؟" كان يعتقد أن صوته يبدو مجهداً ولا يشبهه، وتنحنح. "كان داني يعتقد أنه في خطر".

"ماذا فعل هذا الشبح لداني؟ لقد شاهد داني شيئا، خاف منه، وهرب للنجاة بحياته. لم يصبه أي شيء محدد".

"فقط لأن الشبح لم يفعل شيئاً لا يعني أنه لا يستطيع. انظري إلى ما حدث لي بعد ظهيرة اليوم".

أومأت جورجيا برأسها موافقة، وشربت ما تبقى من شرابها دفعة واحدة، ثم التفت النظرات، وكانت عيناها لامعتين وتبحثان عن جواب. "هل تقسم بأنك لم تذهب إلى المخزن لتنتحر؟ هل تقسم يا جود؟ لا تغضب مني لأنني سألتك. ينبغي أن أعرف".

سألها: "هل تعتقدين أن ذلك من طبعي؟"

"إنه طبع الجميع".

"ليس أنا".

"الجميع. أنا شخصياً حاولت القيام بذلك، تناولت حبوباً، ووجدتني نامي مستلقية على أرضية الحمام، كانت شفتاي زرقاوين، وكنت أتنفس بصعوبة. حدث ذلك بعد ثلاثة أيام من إنهائي الدراسة الثانوية. جاء والدي ووالدتي بعد ذلك إلى المستشفى، وقال والدي: إنك حتى لم تستطيعي القيام بذلك بشكل صحيح".

"المغفّل".

"نعم. إنه مغفل جداً".

"لماذا أردتِ الانتحار؟ آمل أنه كان لديك سبب وجيه".

"لأنني كنت على علاقة مع صديق والدي الحميم. منذ كنت في الثالثة عشرة. ذلك الرجل البالغ من العمر أربعين سنة لديه ابنة. اكتشف الناس الأمر، واكتشفت ابنته الأمر، كانت صديقتي، وقالت إنني دمرت حياتها. وقالت إنني غانية". أدارت جورجيا كأسها يمنة ويساراً بيدها اليسرى، تشاهد وميض الضوء يتحرك على حافتها. "كان النقاش معها صعباً، كان يهديني أشياء، وكنت آخذها دائماً. مثلاً، أهداني كنـــرة جديدة مرة مع خمسين دولارا في جيبها. قال إنه منحني المال حتى أستطيع شراء حذاء يتناسب معها. تركته ينام معي مقابل نقود الحذاء".

قال لها جود: "يا للهول. لم يكن ذلك سببا وجيها لتقتلي نفسك. كان ذلك سبباً وجيهاً لتقتليه".

ضحكت.

"ماذا كان اسمه؟"

"**جورج روجر**. إنه الآن يعمل بائعاً للسيارات المستعملة، في بلدتي القديمة. إنه رئيس لجنة الجمهوريين في المقاطعة".

"في المرة القادمة التي سأمر فيها عبر جورجيا، سأتوقف هناك وأقتل ابن الغانية".

ضحكت مجدداً.

قال جود: "أو على الأقل سألقيه أرضا على طين جورجيا". وعزف افتتاحية "نوايا قدرة".

حملت كأس الشراب عن الأرض، ورفعتها تحية له، وشربت منها رشفة.

سألته: "هل تعرف ما هي أفضل خصالك؟"

"لا لا أعلم".

"لا شيء يفاجئك. أعني، لقد أخبرتك بكل ذلك للتو، ولا تعتقد أنني... لا أعرف. فاسدة. حالة ميؤوس منها".

"ربما أعتقد ذلك، ولكنني لا أهتم وحسب".

قالت: "تهتم". وضعت يداً على كاحله. 'ولا شيء يصدمك".

ترك ذلك يمرّ، ولم يقل جود إنه استطاع تخمين محاولتها الانتحار، ووالدها المتحجر القلب، وصديق العائلة الذي تحرش بها، منذ اللحظة الأولى التي رآها فيها، ترتدي طوقا للكلاب، وشعرها منثور بشكل عشوائي، وفمها مطلي بصباغ شفاه أبيض.

قالت: "إذاً، ماذا حدث لك؟ حان دورك".

حرّر كاحله من قبضتها.

"لن أشترك في مسابقة للتجارب السيئة".

ألقى نظرة خاطفة على النافذة. لم يبق شيء من الضوء عدا حمرة برونزية خلف الأشجار العارية من الأوراق. نظر جود إلى انعكاس صورته شبه الشفافة على الزجاج، ووجهه الطويل، المتجعد الهزيل، ولحيته السوداء التي تصل إلى صدره تقريباً. شبح شرس متجهم الوجه.

قالت جورجيا: "أخبرني عن تلك المرأة التي أرسلت لك الشبح".

"جيسيكا برايس. لم ترسله لي حتى. تذكري، لقد خدعتني لأشتريه".

"حسناً. عبر موقع الشراء الإلكتروني أو شيء من هذا القبيل؟"

"لا. موقع مختلف، مستنسخ من الدرجة الثالثة. ويبدو مثل أي مزاد علني عادي على الإنترنت. كانت تنسّق الأمور من خلف الستار لتصمم حصولي عليه". شاهد جود تساؤلاً يتشكل في عيني جورجيا، وأجابها قبل أن تتكلم. "لماذا تكبّدت كل تلك المشقة، لا أملك الجواب الشافي. لدي شعور أنها لم تكن تستطيع إرساله لي بالبريد وحسب. كان ينبغي أن تحصل على موافقتي على امتلاكه. أنا واثق أن هناك رسالة عميقة في ذلك".

قالت جورجيا: "نعم. اعرضه على موقع الشراء. لا تقبل أي استبدال". تذوقت بعض الشراب، لعقت شفتيها، ثم تابعت. "وكل هذا لأن شقيقتها انتحرت؟ لماذا تعتقد أنه خطؤك؟ هل هو بسبب شيء كتبته في إحدى أغنياتك؟ هل الأمر شبيه بما حدث عندما انتحر ذلك الطفل بعد الاستماع إلى أوزي أوربورن؟ هل كتبت شيئاً يحض على الانتحار أو ما شابه؟"

"لا. ولم يفعل أوزي ذلك أيضاً".

"إذاً، لا أرى سبباً لتحاملها عليك. هل تعرفان بعضكما بطريقة ما؟ هل تعرف الفتاة التي انتحرت؟ هل كتبت لك رسائل معجبة مجنونة أو ما شابه؟"

قال: "عاشت معي لفترة. مثلك".

"مثلي؟ آه".

"لديّ ما أقوله لك يا جورجيا. لم أكن بتولا عندما التقيتك". بدا صوته جافاً وغريباً عليه.

"كم عاشت معك هنا؟"

"لا أعرف. ثمانية، تسعة شهور. لقد مكثت مدة طويلة بما فيه الكفاية".

فكّرت بالموضوع. "أعيش معك منذ حوالى تسعة شهور".

"إذاً؟"

"إذاً، هل طالت مدة مكوثي هنا؟ هل تسعة شهور هي الحدّ الأقصى؟ ثم يحين الوقت لامرأة أخرى؟ ماذا، هل كانت شقراء فعلا، وقرّرت أن الوقت قد حان

للحصول على سمراء؟"

رفع يديه عن غيتاره. "كانت معتوهة فعلاً، لهذا رميت بها خارجاً. **أعتقد أنها** لم تتقبل الأمر جيدا".

"ماذا تعني بأنها كانت معتوهة؟"

"أعني متقلبة المزاج. عندما تكون مهووسة، يصبح العيش معها جحيماً. وعندما تكون مكتئبة، ينبغي التعامل معها بحرص شديد".

"كانت تعاني من مشاكل ذهانية، لقد رميتها خارجاً وحسب؟"

"لم أوقع عقدا للاحتفاظ بها بقية حياتها. لم أوقع للاحتفاظ بك أيضاً. سأقول لك شيئاً آخر يا جورجيا. إذا كنت تعتقدين أن قصتنا ستنتهي *وعاشا بسعادة للأبد*، فلا بد أنك تقرئين حكاية خيالية لعينة". أصبح مدركا، أثناء حديثه معها، أنها فرصته لكي يجرحها ويتخلص منها. كان، وفقا لفهمه آنذاك، يقود الحديث نحو تلك اللحظة بعينها. كانت الفكرة أنه إذا استطاع جرحها بما فيه الكفاية ليدفعها إلى الرحيل – حتى إذا كان ذلك مؤقتا، لليلة، أو بضع ساعات فقط – ربما يكون ذلك آخر عمل جيد يقدمه لها.

"ماذا كان اسم الفتاة التي انتحرت؟"

اتسعت حدقتا عينيه ليقول آنا، ثم قال فلوريدا عوضا عن ذلك.

وقفت جورجيا بسرعة، بسرعة كبيرة لدرجة أنها ترنحت، وبدت كما لو أنها ستنهار. كان يستطيع الوصول إليها وإمساكها، لكنه لم يفعل. من الأفضل أن يدعها تتأذى. شحب وجهها، وتراجعت باضطراب نصف خطوة للوراء. حدقت به، مرتبكة ومجروحة؛ ثم اتقدت عيناها، كما لو أنها تركّز نظرها فجأة على وجهه.

"لا". تنفست برقة. "لن تبعدني مثل تلك. قل ما تشاء. أنا باقية يا جود".

وضعت الكأس التي تحملها بحرص على حافة طاولته. ابتعدت عنه، ثم توقفت عند الباب. أدارت رأسها، لكنها لم تبدُ قادرة تماماً على النظر إلى وجهه.

"سأخلد إلى النوم قليلا. تعال ونم أيضا". كانت تأمره، ولا تطلب منه.

فتح جود فمه ليجيب، ووجد أن لا شيء لديه يقوله. عندما غادرت الغرفة، أسند غيتاره برفق على الجدار، ونهض. كان قلبه يخفق بقوة، وقدماه غير ثابتتين، واستغرقه الأمر بعض الوقت حتى يجد التعابير الجسدية الملائمة لذلك الشعور؛ كان غير معتاد على الشعور بالراحة.

17

لم تكن جورجيا موجودة. وكان ذلك أول شيء يعرفه. لم تكن موحودة، وكان الليل يسدل ستاره. أطلق زفيراً، وشكّلت أنفاسه سحابة من الدخان الأبيض في الغرفة. رفع الملاءة الرقيقة عنه، ونهض من السرير، ثم تمطّى.

أصابته فكرة أنها مستيقظة وتجول في المنـــزل بالقلق. كان رأسه ما زال مثقلاً بسبب النعاس، وكانت الحرارة تقترب من درجة التجمد في الغرفة. وكان منطقياً أن يفكر أن جورجيا قد ذهبت لتكتشف ما حدث لنظام التدفئة، لكن جود عرف أن الأمر لم يكن كذلك. لا بد أنها تغط في نوم عميق أيضاً، تتمتم وتهمهم. ربما تكون قد استيقظت وتشاهد التلفاز، لكنه لم يعتقد أن ذلك صحيح أيضاً.

كاد يصرخ باسمها، ثم خطرت له فكرة أفضل. أخافته فكرة أن لا ترد عليه، وأن لا يلقى صوته سوى الصمت ولا شيء سواه. لا. لا صراخ. لا اندفاع. شعر بأنه إذا اندفع خارج غرفة النوم، وهام في المنـــزل المعتم، يناديها، سيصيبه ذلك بالذعر دون أدنى شك. إضافة إلى ذلك، أغرته ظلمة وهدوء غرفة النوم، وعرف أنه خائف من البحث عنها، خائف مما قد ينتظره خلف الباب.

حالما وقف هناك، أثار انتباهه صوت حشرجة، كأنه صوت محرك يأبى الدوران. نظر للخلف، ونظر إلى السقف. كان مضاء بلون أبيض ثلجي، ككشاف خوذة شخص ما، يأتي من الطريق في الأسفل. كان يستطيع سماع نباح الكلبين.

مشى جود إلى النافذة، وأزاح الستارة جانبا.

كانت الشاحنة الصغيرة المتوقفة أمام المنـــزل زرقاء فيما مضى، ومضى على صنعها عشرون سنة على الأقل، ولم يتم طلاؤها منذ ذلك الحين، وبهت لونها ليصبح بلون الدخان. كانت شاحنة تحميل من طراز شيفروليه. لقد أمضى جود

سنتين من حياته يحمل مفتاحاً إنكليزياً في مرآب تصليح سيارات مقابل 1.75 دولار بالساعة، وكان يعرف من هدير المحرك البعيد المختنق أن الشاحنة تحمل شيئاً ثقيلاً تحت غطاء الصندوق. كانت الواجهة الأمامية كمن يهدد بالويل والثبور، مع رفراف فصي عريض مثل فم الملاكم، ومصد حديدي فوق شبك المقدّمة المعدني. ما اعتقده بداية ضوء خوذة كان في الحقيقة زوجاً من الأضواء القوية الموضوعة على الشبك المعدني، وهما كشافان دائريان يسطعان في الليل. جثمت الشاحنة الصغيرة بإطاراتها الأربع قياس 35 على الأرض، وكانت من النوع المخصص للسير على طرق المستنقعات، وعبر الأقنية. كان المحرك يعمل. ولم يكن هناك أحد فيها.

ألقى الكلبان بنفسيهما على جدار الحظيرة المتصل بسلسلة، يصدر عنهما أصوات اصطدام وضجيج مستمرين، وينبحان على الشاحنة الفارغة. ألقى جود نظرة للأسفل على المدخل، في اتجاه الطريق. كانت البوابات مغلقة. وينبغي أن يعرف المرء شيفرة سرية من ستة أرقام ليفتحها.

كانت شاحنة الرجل الميت. عرفها جود منذ اللحظة الأولى التي رآها فيها معرفة يقين كامل. كانت فكرته التالية: *إلى أين سنصل أيها العجوز؟*

رنّ الهاتف بجانب السرير، وكاد جود يقفز من المفاجأة، وأفلت الستارة من يده. استدار وحدّق. كانت الساعة بجانب الهاتف تشير إلى 3:12. رنّ الهاتف مجدداً.

تحرك جود نحوه، ومشى على أطراف أصابعه بسرعة على الأرضية الباردة. حدّق بالهاتف من الأعلى. رنّ الهاتف للمرة الثالثة. لم يكن يريد أن يجيب. كان يعتقد بأنه سيكون الرجل الميت، ولم يكن جود يريد التحدث إليه. لم يكن جود يريد سماع صوت كرادوك.

قال: "اللعنة". وأجاب: "من هذا؟"

"مرحبا يا زعيم. أنا داني".

"داني؟ إنها الثالثة من بعد منتصف الليل".

"آه. لم أكن أعرف أن الوقت متأخر كثيراً. هل كنت نائما؟"

"لا". صمت جود، منتظرا.

"آسف لأنني رحلت بتلك الطريقة".

سأل جود: "هل أنت ثمل؟" نظر إلى النافذة مجدداً، وكان ضوء الكشافين الساطع الصارب إلى الزرقة حول أطراف الستارة. "هل تتصل ثملا لأنك تريد استعادة وظيفتك؟ لأنه إذا كان الأمر كذلك، فقد اخترت توقيتاً سيئا للغاية".

"لا. لا أستطيع... لا أستطيع العودة يا جود. أتصل فقط لأقول إني آسف بشأن كل شيء. آسف لأنني أخبرتك أي شيء حول الشبح المعروض للبيع. كان ينبغي أن لا أتفوه ببنت شفة".

"اذهب إلى النوم".

"لا أستطيع".

"ما خطبك؟"

"خرجت أمشي في الظلام. لا أعرف حتى أين أنا".

شعر جود بوخز ينبض في مؤخرة ذراعه. ففكرة وجود داني في الشوارع في مكان ما، يهيم على وجهه في الظلام، أرعجته أكثر مما ينبغي، أكثر مما هو منطقي.

"كيف وصلت إلى هناك؟"

"خرجت أتمشى وحسب. لا أعرف السبب حتى".

قال جود: "يا الله، أنت ثمل. انظر حولك بحثاً عن إشارة مرورية، واطلب سيارة أجرة". وأغلق السمّاعة.

كان سعيداً بترك الهاتف. لم يكن يحب نبرة صوت داني المشوشة الحزينة.

لم يقل داني أي شيء لا يُصدّق أو غير محتمل. كل ما في الأمر أنه لم يجر محادثة مثل تلك من قبل. لم يتصل به داني في الليل أبداً، ولم يكن يتصل ثملاً أبداً. كان صعبا عليه أن يتخيله يخرج للتنــزه في الثالثة من بعد منتصف الليل، أو يبتعد عن منــزله مشيا حتى يضيع. ومهما كانت عيوبه الأخرى، إلا أن داني كان حلال مشاكل. وكان ذلك هو السبب الذي دعا جود لتركه في وظيفته ثماني سنوات. وحتى إذا كان ضائعاً، فلم يكن داني ليتصل بــجود إذا لم يعرف مكانه أولاً. كان سيسير إلى جادة 7 – أحد عشر ويعرف الاتجاهات. وكان سيطلب سيارة أجرة.

لا. لم يكن ذلك صحيحا. كانت المكالمة الهاتفية وشاحنة الرجل الميت في المدخل جزأين من الشيء نفسه. أدرك جود ذلك. أخبرته الحاسة السادسة بذلك. السرير الفارغ دلّه على ذلك.

ألقى نظرة خاطفة أخرى على الستارة، التي أضاءها الكشافان من الخلف. أضحى الكلبان مجنونين في الخارج.

جورجيا. كل ما يهم الآن هو إيجاد جورجيا، ثم يستطيعان اكتشاف أمر تلك الشاحنة، يستطيعان معاً تولي زمام الأمور.

نظر جود عبر الباب إلى الممر. ثنى أصابعه، وكانت يداه خدرتين من البرد. لم يكن يريد الخروج إلى هناك، ولم يكن يريد فتح الباب ورؤية كرادوك جالساً على ذلك الكرسي وقبعته على ركبته وتلك الشفرة المتصلة بسلسلة تتدلى من إحدى يديه.

لكن فكرة رؤية الرجل الميت مجدداً - مواجهة ما يأتي لاحقاً مهما كان - أعاقته لحظة واحدة فقط. ثم انتفض، وذهب إلى الباب، وفتحه.

قال للردهة قبل أن يتبين حتى إن كان فيها أحد: "لنقم بذلك".

لم يكن هناك أحد.

توقف جود، يصغي بعناية إلى سكون المنـزل متجاهلاً صوت أنفاسه المجهدة. كانت الردهة الطويلة غارقة في الظلال، والكرسي الهزّاز المستند إلى الجدار فارغا. لا. ليس فارغاً. كانت قبعة سوداء ترقد على المقعد.

أصوات - مكتومة وبعيدة - أثارت انتباهه: تمتمة أصوات على التلفاز، لوح تزلج على الأمواج. أبعد ناظريه عن القبعة، ونظر إلى نهاية الردهة. لمع ضوء أزرق، وجرى على أطراف الباب إلى الأستوديو. كانت جورجيا هناك، عندها، تشاهد التلفاز.

تردّد جود عند الباب، وأصغى السمع. سمع صوتاً يصرخ بالإسبانية، صوتاً تلفزيونيا. كان صوت التزلج على الأمواج أعلى. أراد جود عندها أن يناديها باسمها، ماري - بث وليس جورجيا، ماري - بث لكن شيئا حدث عندما حاول ذلك: انحبست أنفاسه. لم يكن يستطيع التلفظ باسمها سوى بصعوبة بالغة.

فتح الباب.

كانت جورجيا في الغرفة على الكرسي الطويل، أمام تلفازه المسطح الشاشة. لم يكن يستطيع رؤية شيء من حيث يقف عدا مؤخرة رأسها، وشعرها الأسود المنكوش الذي تحيط به هالة ضوء زرقاء غير طبيعية. كان رأسها يحجب أيضاً رؤية ما تشاهده على التلفاز، رغم أنه استطاع رؤية أشجار نخيل وسماء زرقاء استوائية. كان الظلام دامساً، والأضواء في الغرفة لا تعمل.

لم تستحب له عندما قال: جورحيا، وأول شيء خطر بباله أنها ميتة. وعندما وصل إليها، كان جفناها منغلقين على محجريهما.

حدّق نحوها، لكنه لم يمش سوى حطوتين عندما رنّ الهاتف على الطاولة.

كان جود يستطيع رؤية ما يكفي من التلفزيون آنداك ليرى رجلاً ممتلئ الجسم يرتدي نظارة شمسية وبذلة خفيفة بنية اللون، يقف إلى جانب طريق ترابي في تلة مليئة بالأحراش في مكان ما. وعرف جود ما كانت تشاهده عندها، رغم أنه لم يشاهده منذ سنوات طويلة. لقد كان الفيلم المحترق.

عندما رنّ الهاتف، بدا كما لو أن رأس جورجيا تحرك قليلا، واعتقد أنه سمع صوت زفير، ونفساً متعباً مجهداً. ليست ميتة، إدا. لكنها لم تتجاوب بخلاف ذلك، ولم تنظر حولها، أو تنهض لتجيب.

تقدم خطوة نحو الطاولة، وأمسك بالهاتف عندما رنّ للمرة الثانية.

سأل جود: "هذا أنت يا داني؟ هل ما زلت ضائعاً؟"

قال داني بضحكة ضعيفة: "نعم. ما زلت ضائعا. أستخدم هاتفاً عموميا في وسط مكان غير معروف. هذا مضحك، لأن المرء لم يعد يجد هواتف عمومية هذه الأيام".

لم يهتز جفن جورجيا عند سماعها صوت حود، ولم ترف عينها عن التلفاز.

قال جود: "آمل أنك لا تتصل لتطلب مني المجيء والعثور عليك. أنا مشغول جدا الآن. إذا كنت سآتي بحثاً عنك، من الأفضل أن تبقى ضائعا".

"لقد اكتشفت الأمر يا زعيم. كيف وصلت إلى هنا. على هذه الطريق في الظلام".

"كيف ذلك؟"

"انتحرت. شنقت نفسي قبل عدّة ساعات. هذا الطريق في الظلام... هذا هو الموت".

وقف شعر رأس جود، وشعر بقشعريرة حليدية تسري في حسده، مؤلمة تقريبا.

قال داني: "شنقت والدتي نفسها بالطريقة داتها تماما. لقد قامت بعمل جيد. كسرت عنقها. ماتت مباشرة. فقدت أعصابي في اللحظة الأخيرة. لم أسقط بسرعة كافية. لقد احتنقت حتى الموت".

جاءت أصوات مكتومة من التلفاز عبر الغرفة، كما لو أن شخصاً ما يختنق حتى الموت.

تابع داني: "استغرق الأمر وقتاً طويلاً يا جود. أتذكر أنني تأرجحت لوقت طويل. أنظر إلى قدميّ. أتذكر الكثير من الأشياء الآن".

"لماذا فعلت ذلك؟"

قال داني: "أرغمني. الرجل الميت، جاء لرؤيتي، كنت سأعود إلى المكتب، وأبحث عن تلك الرسائل لك. كنت أفكّر أنني أستطيع القيام بذلك على الأقل. كنت أفكر أنه ما كان ينبغي عليّ التصرف على ذلك النحو معك. لكن عندما دخلت غرفة نومي لآخذ معطفي، كان ينتظر هناك. لم أكن أعرف كيفية عقد الحبل حتى علّمني. سينال منك بتلك الطريقة. سيجعلك تنتحر".

"لا، لن يفعل".

"من الصعب عدم الإصغاء إلى صوته. لم أستطع مقاومته. إنه يعرف الكثير. يعرف أنني أعطيت شقيقتي المادة التي كانت مدمنة عليها. قال إن ذلك كان السبب وراء انتحار والدتي، لأنها لم تستطع العيش وهي تعرف ما اقترفته يدي. قال إنني كنت الشخص الذي ينبغي أن يُشنق، وليس والدتي. قال إنه إذا كانت عندي كرامة، كان ينبغي أن أقتل نفسي منذ وقت طويل. كان محقاً".

قال جود: "لا يا داني. لا. لم يكن محقاً. ينبغي أن لا...".

بدا أن داني يلهث. "فعلتها. كنت مضطرا. لم يكن هناك مجال للنقاش معه، لا تستطيع الجدال مع صوت مثله".

قال جود: "سنرى".

لم يكن لدى داني جواب لذلك. في الفيلم المحترق، هناك رجلان يتشاجران بالإسبانية. وتتابعت الأصوات الخافتة. كانت جورجيا ما تزال تنظر بالطريقة نفسها. لم تكن تتحرك كثيرا، وكانت كتفاها تهتزان بين الفينة والأخرى بحركات عشوائية متشنجة تقريبا.

"ينبغي أن أذهب يا داني". لم يقل داني شيئا. أصغى جود إلى الصوت الخافت على الخط للحظة، وشعر بأن داني ما زال ينتظر شيئا ما، كلمة أخيرة، وأضاف أخيرا: "تابع المشي أيها الفتى. لا بد أن الطريق يصل إلى مكان ما".

ضحك داني. "لست سيئا كما تعتقد يا جود. هل تعرف ذلك؟"

"نعم. لا داعي لقول ذلك لي".

قال داني: "سرك بأمان. الوداع".

"الوداع يا داني".

انحنى جود للأمام، ووضع الهاتف برفق في مكانه. وفيما كان منحنياً فوق الطاولة، ألقى نظرة تحتها وخلفها، وشاهد أن الخزنة الأرضية مفتوحة. أول فكرة خطرت له أن الشبح فتحها، ولكنه تجاهلها مباشرة تقريباً. إنها جورجيا، على الأرجح، فهي تعرف الرقم السري.

دار حولها، ونظر إلى مؤخرة رأسها، على هالة الضوء الأزرق الساطع، وعلى التلفاز بعدها.

"جورجيا؟ ما الذي تفعلينه يا عزيزتي؟"

لم تجب.

اقترب منها، يتحرك بصمت على السجادة السميكة. ظهرت الصورة على الشاشة المسطحة أمام ناظريه أولاً. كان القتلة يجهزون على الفتى الأبيض النحيل. لاحقاً، سيأخذون صديقته إلى كوخ صغير قرب الشاطئ. كانوا آنذاك على درب مغطّى بالنباتات الكثيفة في الأدغال، في التلال فوق خليج كاليفورنيا. كان الفتى مرمياً على بطنه، ومعصماه مقيدان معاً برباط بلاستيكي أبيض. كان جلده شاحبا مثل سمكة تحت أشعة الشمس الاستوائية. وقف رجل إنكليزي صغير الحجم جاحظ العينين، مع مسحة أفريقية من الشعر الأحمر الأجعد، يضع حذاء رعاة البقر على عنق الفتى. وكانت شاحنة سوداء تقف على الطريق، وأبوابها السوداء مفتوحة. وقف الرجل الممتلئ الجسم إلى جانب المصد الخلفي يرتدي بذلة رياضية، وتعبير احتقار يبدو على وجهه.

قال الرجل الذي يضع النظارة الشمسية: "لقد نجحنا في ذلك. مرحى".

عبس الرجل الجاحظ العينين ذو الشعر الأحمر، وهزّ رأسه، كما لو أنه لا يوافق على ذلك، لكنه وضع بعدها المسدس على رأس الفتى النحيل وسحب الزناد. لمعت الماسورة. اندفع رأس الفتى للأمام، واصطدم بالأرض، وارتد عائدا، وامتلأ الهواء حول رأسه فجأة برذاذ من الدماء.

رفع الإنكليزي حذاءه عن عنق الفتى، وسار مبتعداً مزهواً بفعلته، حريصاً على عدم تلويث حذاء رعاة البقر بالدماء.

كان وجه جورجيا شاحبا، خالياً من أي تعبير، وكانت عيناها مفتوحتين لا تطرفان، وبصرها مثبتاً على التلفاز. كانت ترتدي قميصاً من صنع **رامونز** اشترته في وقت سابق، لكن دون ملابس داخلية، وكانت ساقاها مفتوحتين. في إحدى يديها – اليد المصابة – كانت تحمل مسدس جود، والماسورة محشورة في فمها. كانت يدها الأخرى بين ساقيها، وإبهامها يتحرك صعوداً وهبوطاً.

قال: "جورجيا". وألقت مباشرة نظرة جانبية عليه – نظرة يائسة متوسلة – ثم أعادت بصرها مباشرة إلى التلفاز. أخذت تلعب بالمسدس بيدها المصابة، وتقلبه رأساً على عقب، ثم وضعت الماسورة في سقف حلقها. أطلقت صوت غصة ضعيف نتيجة لذلك.

كان جهاز التحكم عن بعد على مسند الكرسي. ضغط جود على زر الإطفاء، وتوقف التلفاز عن العمل. هزّت كتفيها بحركة عصبية انعكاسية. بقيت يدها اليسرى بين ساقيها. ارتعشت، وأطلقت صوتاً متعباً حزيناً من حنجرتها.

قال جود: "توقفي".

سحبت الزناد للخلف بإبهامها، ففرقع عالياً في سكون الأستوديو.

وصل إليها جود وسحب المسدس برفق من قبضتها. هدأ جسمها كله بشكل غير متوقع. كان هناك صوت صفير لأنفاسها القصيرة السريعة. كان فمها رطباً، ويلمع بشكل باهت، وخطر له عندها أنه أثقل عليها. بدأ يشعر بالإثارة من رائحتها في الجو ورؤية أصابعها على فخذها، وكانت في وضعية ملائمة تماماً. إذا تحرك أمام الكرسي، يمكنها أن تداعبه بينما يصوّب المسدس على رأسها، ويمكنه دفع الماسورة في أذنها أثناء مطارحتها الغرام.

شاهد حركة تنعكس في النافذة المفتوحة جزئيا خلف طاولته، وقفز بصره إلى الصورة على الكأس. استطاع رؤية نفسه هناك والرجل الميت يقف بجانبه، يحني ظهره ويهمس في أذنه. وفي الانعكاس، استطاع جود أن يشاهد ذراعه ترتفع، وكان يصوّب المسدس إلى رأس جورجيا.

خفق قلبه بقوة، واندفعت كل الدماء إليه فجأة، وتدفق الأدرينالين. نظر للأسفل، ورأى أن ذلك حقيقي، وأنه يصوّب المسدس إلى رأسها، وشاهد إصبعه

تضغط على الزناد. حاول منع نفسه، لكن الأوان فات. سحبه، منتظراً برعب أن ينطلق الزناد.

لم ينطلق. لم يتحرك الزناد قيد أنملة. كان مسمار الأمان عالقاً.

همس جود: "اللعنة". وأنزل المسدس، وكان يهتز غضباً آنذاك. استخدم إبهامه لإعادة الزناد إلى مكانه. وعندما ثبّته في مكانه، رمى المسدس بعيدا عنه.

أحدث ضجيجاً عالياً على الطاولة، وذعرت جورجيا من الصوت. وبقيت نظرتها، بكل الأحوال، ثابتة على النقطة الافتراضية نفسها في الظلام أمامها.

استدار جود، يبحث عن شبح كرادوك. لم يكن هناك أحد يقف بجانبه. كانت الغرفة خالية، ما عداه وجورجيا. استدار نحوها وشدّ معصمها الأبيض النحيل.

قال: "انهضي. هيا بنا. سنذهب. حالاً. لا أعرف أين سنذهب، لكننا سنخرج من هنا. سنذهب إلى مكان يوجد فيه الكثير من الناس والأضواء الساطعة، وسنحاول اكتشاف ماهية هذا الأمر. هل تسمعينني؟" لن يكون منطقياً أن نبقى هنا بعد الآن. كان المنطق خارج النافذة.

قالت: "لم ينتهِ منا بعد". وكانت تتكلم بصوت خافت مضطرب.

سحبها، لكنها لم تنهض، وكان جسدها ملتصقاً بالكرسي، ولم تتعاون معه. لم تكن تنظر إليه حتى تلك اللحظة، ولم تنظر إلى أي شيء سوى ما يوجد أمامها مباشرة.

قال: "هيا بنا. فما يزال لدينا وقت".

قالت: "ليس هناك وقت".

عمل التلفاز مجدداً.

18

كانت أخبار المساء. وجلس **بيل بيوتل**، الذي بدأ مسيرته الصحفية عندما كان اغتيال الأرشيدوق (أمير في الإمبراطورية النمساوية السابقة) فيرديناند الخبر العاجل لذلك اليوم، وراء الطاولة التي تتلى من ورائها الأخبار. كان وجهه شبكة من التجاعيد الشبيهة بخيوط العنكبوت، والتي تخرج من حول عينيه وزوايا فمه. كانت معالم وجهه تعبّر عن الأسى، ونظرته توحي بأن هناك المزيد من الأنباء السيئة من الشرق الأوسط، أو أن حافلة مدرسية خرجت عن الطريق وانقلبت، ولقي كل ركابها حتفهم، أو أن إعصارا في الجنوب اجتاح موقفا للعربات المقطورة، وخلّف فوضى عارمة من الألواح الحديدية، والحطام الممزق، والأجساد البشرية.

قال "بيوتل: "... لن يكون هناك ناجون. سنطلعكم على المزيد حالما ينكشف الموقف". أدار رأسه قليلاً، وانعكست الشاشة الزرقاء للملقّن الآلي على عدسات نظاراته للحظة. "أكّد مكتب شريف مقاطعة دنتشر لاحقاً هذا المساء أن جودا كوين، المعني الشهير، أطلق النار وأردى صديقته ماري - بث ستيسي كمبل، قبل أن يحول السلاح نحوه وينتحر".

توقف البرنامج لعرض منـــزل جود الريفي أمام سماء بيضاء باهتة حالية المعالم. توقفت سيارات الشرطة كيفما اتفق في المدخل، ووقفت سيارة إسعاف أمام مكتب داني مباشرة.

استمر بيوتل في الكلام بصوت جهور: "كانت الشرطة قد بدأت في تجميع أجزاء صورة أيام كوين الأخيرة. لكن صدرت بيانات من أولئك الذين عرفوه تقول إنه كان مصدوماً وقلقاً حول سلامة ملكاته العقلية".

قفز العرض إلى مشهد للكلبين في حظيرتهما. كانا مستلقيين على جانبهما على العشب القصير المقصوص، ولم يكن أي منهما يتحرك، وتبتعد قوائمهما عن جسديهما. كانا ميتين. توتر جود لرؤيتهما. كان ذلك منظراً سيئاً. أراد أن يشيح بناظريه بعيداً لكنه لم يستطع فعل ذلك بحريّة.

"يعتقد المحققون أيضاً أن كوين لعب دوراً ما في موت مساعده الشخصي داني وتن، الذي يبلغ الثلاثين من عمره، والذي تمّ إيجاد جثته في منـــزله في وقت باكر من هذا الصباح، والذي يبدو أنه انتحر أيضاً".

ينـــتقل العرض إلى مساعدين طبيين، يقف كل منهما عند أحد طرفي كيس جثث مصـــنوع من النايلون أزرق. أطلقت جورجيا صوتا ناعماً حزيناً من حنجرتها عندما شاهدت أحد المساعدين يصعد إلى سيارة الإسعاف، ويرفع طرف الكيس من جانبه.

بدأ بيوتل الكلام حول مسيرة جود المهنية، وانتقلت المحطة لتعرض مشاهد من حفلة جود في هيوستن، التي أقامها قبل ست سنوات. كان جود يرتدي جينـــزاً أسود وينتعل حذاءً أسود له مقدمة فولاذية، لكنه عاري الصدر، وكان جذعه يلمع من العرق، والشعر الكثيف يلتصق على صدره، ومعدته منتفخة. تدفق بحر من مئة ألف شخص نصف عارٍ تحته، واندفع طوفان من القبضات المرتفعة، وتدافعت أعداد كبيرة من الجمهور بهذا الاتجاه وذاك ضمن ذلك الحشد البشري.

كان ديزي يحتضر في ذلك الوقت، رغم أن ذلك لم يكن معروفا لأحد آنذاك عدا جود. ديزي بإدمانه على الممنوعات وإصابته بالإيدز. عزفا ظهراً لظهر، وكان شعر ديزي الأشقر في وجهه، وتدفعه الرياح عبر فمه. كانت تلك السنة الأخيرة لأفراد الفرقة معاً. توفي ديزي وجيروم، ثم انتهى الأمر.

في تسجيل من الأرشيف، كانوا يعزفون الأغنية الرئيسية في ألبومهم الأخير كفرقة، "سأضعك في مكانك الصحيح"؛ آخر أغانيهم الناجحة، آخر أغنية جيدة فعلاً كتبها جود، وعلى صوت قرع تلك الطبول – القصف المدفعي المتواصل – تحرر مما كان يبدو تأثير التلفاز عليه. كان ذلك حقيقياً. الحفلة في هيوستن حدثت فعلاً، في ذلك اليوم بالذات. الاندفاع الجنوني الغامر للجمهور تحت المنصة، والاندفاع الجنوني الغامر للموسيقى حوله. كان ذلك حقيقياً، وحدث فعلاً، وكل ما تبقى كان...

قال جود: "هراء". وضغط بإبهامه على زر الإطفاء، فتوقف التلفاز عن العمل.

قالت جورجيا: "هذا ليس صحيحا". ولم يكن صوتها أكثر من همسة خافتة. "هذا ليس صحيحاً، أليس كذلك؟ هل نحن... هل أنت... هل سيحدث ذلك لنا؟"

قال جود: "لا".

عاد التلفاز للعمل مجدداً. جلس **بيل بيوتل** خلف الطاولة مجدداً، يقبض على حزمة من الأوراق بين يديه، وكتفاه مائلتان نحو آلة التصوير.

قال بيل: "نعم. كلاكما سيموت. الموتى يسحبون الأحياء للأسفل. ستمسك بالمسدس، وستحاول الهروب، لكنك ستلحق بها، وسوف...".

ضغط جود على زر الإطفاء مجدداً، ثم رمى جهاز التحكم عن بعد على شاشة التلفاز. لحق به، ووضع قدمه على الشاشة وضغط عليها، ودفع التلفاز عبر مؤخرة الخزانة المفتوحة. ضرب الحائط، واشتعل شيء ما، وخرج ضوء أبيض مثل مصباح متوهج. وقعت الشاشة المسطحة خارج مرمى النظر بين الخزانة والجدار، وصدر عنها صوت تحطم وصوت أزيز إلكتروني قصير لم يدم سوى لحظة واحدة قبل أن يختفي. يوم آخر مثل هذا ولن يبقى شيء في المنـــزل.

استدار، وكان الرجل الميت يقف خلف كرسي جورجيا. دار شبح كرادوك خلفها ليضم رأسها بين يديه. تراقصت وومضت خطوط سوداء أمام محجري عيني الرجل العجوز.

لـــم تحـــاول جورجيا التحرك أو النظر حولها، وكانت جامدة مثل شخص يواجه أفعى سامة، ولا يقوى على القيام بأي حركة - حتى أن تتنفس - خوفاً من أن تلدغه.

قال جود: "لم تأتِ من أجلها". وبينما كان يتكلم، تحرك إلى اليسار، ومشى على طول أحد جانبي الغرفة نحو الردهة المؤدية إلى القاعة. "لا تريدها هي".

في لحظة واحدة، كانت يدا كرادوك تطبقان برقة على رأس جورجيا. وفي اللحظة التالية، ارتفعت ذراعه اليمنى ليشير بها بعيداً عن جسده: "أنت محاصر". كان الزمن يتخلخل بحضور الرجل الميت، مثل قرص دي - في - دي مخدوش تتنقل فيه الصورة من مشهد إلى آخر دون أي اتصال بينهما. هبطت السلسلة الذهبية من يده اليمنى المرفوعة. وسطعت الشفرة، ذات شكل الهلال، في نهايتها. كان حدّ النصل يومض بألوان باهتة، مثل قوس قزح يظهر على الماء.

حان وقت الرحيل يا جود.

قال جود: "ابتعد عني".

"إذا أردت مني الابتعاد، ينبغي أن تصغي إلى صوتي. ينبغي أن تصغي جيداً. ينبغي أن تكون مثل مذياع، وصوتي الإذاعة. يكون الاستماع إلى المذياع أمراً لطيفاً بعد حلول الظلام. إذا أردت إنهاء هذا، ينبغي أن تصغي بكل جوارحك. ينبغي أن ترغب بانتهاء الأمر من صميم قلبك. هل تريد انتهاء الأمر؟"

شدّ جود على فكه، وضغط على أسنانه. لم يكن سيجيب، وشعر أن أي رد سيكون خطأ بطريقة ما، ثم فزع عندما وجد نفسه يومئ برأسه ببطء.

"ألا تريد الإصغاء جيداً؟ أعرف أنك تريد ذلك. أعرف. اسمع. يمكنك تجاهل العالم بأسره، والإصغاء إلى صوتي فقط. لأنك تصغي بكل جوارحك".

بقي جود يومئ برأسه، ويهزّ رأسه صعوداً وهبوطاً، فيما تلاشت كل الأصوات الأخرى في الغرفة من حوله. لم يكن جود ينتبه حتى لتلك الأصوات الأخرى حتى تختفي: الهدير البعيد للشاحنة المتوقفة في الخارج، صوت أنفاس جورجيا الحافتة، مقارنة بلهاث جود الأجش. رنّت أذناه بغياب الصوت المفاجئ المطلق، كما لو أن طبلتي أذنيه فقدتا الحس نتيجة انفجار مروّع.

تمايلت الشفرة وهي ترسم أقواساً صغيرة في الهواء، ذهاباً وإياباً، ذهاباً وإياباً. خاف جود من رؤيتها، وأجبر نفسه على النظر بعيداً.

قال له كرادوك: *لا تريد النظر إليه. أنا ميت. لا أحتاج إلى قلادة للدخول إلى ذهنك. أنا هناك سلفاً.*

وجد جود نفسه يتلفت في كل الإتجاهات، ولم يستطع منع نفسه.

قال جود: "جورجيا". أو حاول قول ذلك. شعر بالكلمة بين شفتيه، وفي فمه، ومع أنفاسه، لكنه لم يسمع صوته، لم يسمع أي شيء في ذلك الصمت المريع. لم يسبق له أن سمع صوتاً عالياً مثل ذلك الصمت على وجه التحديد.

قال الرجل الميت: *لن أقتلك. لا يا سيدي.* لم تتغير نبرة صوته أبداً، وكان صبوراً، متفهماً، خفيضاً ورناناً يستحضر في الأذهان صوت النحل في الخلية. *أنت تصغي. ستفعل. تريد ذلك".*

فتح جود فمه ليقول له كم هو مخطئ، وقال عوضاً عن ذلك: "نعم". أو افترض أنه قالها. كان الأمر يبدو مثل التفكير بصوت عالٍ.

قال كرادوك: *"إلى اللقاء"*.

كانت جورجيا قد بدأت بالبكاء، رغم أنها كانت تبذل جهداً ملحوظاً لتتماسك، وكي لا ترتعش. لم يستطع جود سماعها. كانت شعرة كرادوك تشق الهواء ذهاباً وإياباً، وتصرب عبر الجو.

فكّر جود: *لا أريد إيذاءها، لا تجعلني أؤذيها.*

لن يتم الأمر بالطريقة التي تريدها. أمسك المسدس، هل تسمع؟ افعل ذلك الآن.

بدأ جود يتحرك. شعر بأنه ينفصل بشكل رقيق عن جسده، وأنه مشاهد، وليس مشاركاً في المشهد الذي يخصه. كان مغفلاً للغاية حتى يجرؤ على فعل ما يوشك على القيام به. كان يعرف فقط أنه ينبغي عليه القيام بذلك إذا أراد الاستيقاظ.

لكن قبل أن يصل إلى المسدس، نهضت جورجيا عن الكرسي، واندفعت نحو الباب. لم تكن لديه أدنى فكرة أنها تستطيع التحرك، واعتقد أن كرادوك يكبّلها بطريقة ما، لكن الخوف هو الذي كان يكبّلها، وكانت قد وصلت قربه تقريباً.

أوقفها، قال الصوت الوحيد الباقي في العالم، وعندما تخطته، رأى جود نفسه يمسك شعرها بإحدى قبضتيه، ويشدها بعنف للخلف. تعثرت على قدميها. استدار جود ورماها أرضاً. قفز الأثاث من مكانه عندما اصطدمت بالأرض. سقطت مجموعة من الأقراص المضغوطة كانت على طاولة جانبية، وتحطمت دون أي صوت. وضع جود قدمه على بطنها، وضربها بقوة، وتكوّرت على نفسها في الوضعية الجنينية. في اللحظة التي تلت قيامه بذلك، لم يكن يعرف سبب فعلته تلك.

قال الرجل الميت: *"هكذا تسير الأمور"*.

أربك ذلك جود، الطريقة التي خرج بها صوت الرجل الميت من الصمت، كلمات لها وجود حسي تقريباً، نحل يطنّ، ويطارد بعضه بعضاً حول وداخل رأسه. كان رأسه خلية النحل التي تطير منها وإليها، ودونها لا وجود سوى لأقراص عسل شمعية فارغة. كان رأسه خفيفاً جداً وخاوياً جداً، وكان سيصاب بالجنون إذا لم يستعد أفكاره الخاصة، وصوته الخاص به. كان الرجل الميت يقول آنذاك: *"ينبغي أن تنال من تلك المرأة. إذا لم تمانع قولي ذلك. أمسك المسدس الآن. أسرع"*.

استدار جود ليحصل على المسدس، وكان يتحرك بسرعة آنذاك. مشى عبر الغرفة، إلى الطاولة، وأصبح المسدس بين قدميه، وجثا على ركبة واحدة، والتقطه.

لم يسمع جود الكلبين حتى بدأ البحث عن المسدس. نباح عصبي المزاج، تلاه آخر. لفت انتباهه ذلك الصوت مثل ردن فضفاض يحتك بظفر طويل. أصابه ذلك بالصدمة، أن يسمع أي شيء آخر في ذلك الصمت الأجوف إلى جانب صوت كرادوك. كانت النافذة خلف الطاولة ما تزال مفتوحة قليلاً، كما تركها. نباح آخر حاد غاضب، يتبعه ثانٍ. أنغوس. ثم بون.

هيا بنا يا بني. هيا افعل بذلك.

انتقل نظر جود إلى سلة المهملات بجانب الطاولة وقطع الأسطوانة البلاتينية المتناثرة بجانبها. وعلقت شبكة من نصل سكاكين الكروم في الهواء. كان كلا الكلبين ينبحان بتناغم آنذاك، ويمزقان نسيج السكون، وكان صوتاهما يقتحمان المكان، دون دعوة، ورائحتهما، ورائحة فرو الكلاب الرطب، وعبق أنفاسهما الساخنة تملأ المكان. كان جود يستطيع رؤية انعكاس وجهه على إحدى شظايا الأسطوانة الفضية، وأصابه ذلك بصدمة: نظرة الرعب اليائسة الجامدة. وفي اللحظة التالية، امتزج ذلك بالنباح المستمر للكلبين، ولاح له خاطر من بنات أفكاره، وبصوته. *القوة الوحيدة التي يتمتع بها، على أي منكم، هي القوة التي تمنحونها له.*

في اللحظة التالية، وصل جود إلى المسدس، ووضع يده على سلة المهملات. وضع راحة يده اليسرى على أطول الشظايا وأكثرها حدّة، وغرزها للداخل مرخياً بثقله كله عليها. انغرز النصل في اللحم، وتسبب باندفاع ألم مبرّح عبر يده وصولاً إلى معصمه. صرخ جود، وتشوشت رؤيته، وامتلأت عيناه بالدموع. سحب راحة كفه مباشرة من الشظية، ثم أمسك بيده اليمنى واليسرى معاً. تدفقت الدماء بينهما.

سأله شبح كرادوك: *ما الذي تفعله بنفسك أيها الفتى؟* لكن جود لم يكن يصغي آنذاك. لم يكن ينتبه لشيء سوى للألم في يده، والشعور بأنه طعن نفسه عميقاً، إلى العظم تقريباً.

قال كرادوك: *لم أنتهِ منك بعد*. لكنه انتهى فعلاً، ولم يكن يعرف ذلك وحسب. بحث ذهن جود عن نباح الكلبين مثل غريق يتعلق بطوق نجاة، كان قد وجده وتشبث به، وقف على قدميه، وبدأ يتحرك.

اذهب إلى الكلبين. حياته – وحياة جورجيا – تعتمد عليهما. كانت فكرة غير منطقية، لكن جود لم يكن يهتم بالمنطق، بل فقط بما هو حقيقي.

كان الألم شريطاً أحمر يحمله بين يديه، ويتبعه بعيداً عن صوت الرجل الميت عائداً إلى أفكاره الخاصة. كانت قدرته على احتمال الألم كبيرة، ولطالما كانت كذلك، وقد التمسه برغبته حتى في أوقات أخرى من حياته. كان هناك وجع في معصمه، في مفاصله، علامة على مدى عمق جرحه، وكان جزء منه يقدّر ذلك الوجع، ويعجب به. لفت انتباهه انعكاس صورته على النافذة عندما وقف. كانت التكشيرة بادية بين ثنايا لحيته، رؤية أسوأ حتى من تعبير الرعب الذي شاهده على وجهه قبل لحظة واحدة.

قال كرادوك: عد *إلى هنا*، تباطأ جود للحظة، ثم اكتشف خطواته، وتابع السير.

ألقى نظرة على جورجيا عندما مرّ بجانبها – لم يخاطر بالنظر إلى الخلف ورؤية ما يفعله كرادوك – وكانت ما تزال متكورة على الأرض، وذراعاها على بطنها وشعرها يغطي وجهها. ألقت عليه نظرة بالمقابل من تحت شعرها. كان خدّاها مليئين بالعرق، وجفناها يرتعشان، كانت عيناها تحتهما تلتمسان، تتساءلان وتنضحان ألما.

تمنّى لو أن لديه وقتاً ليقول إنه لم يقصد أذيتها. أراد أن يخبرها أنه لن يهرب، ولن يتركها، وأنه يقود الرجل الميت بعيدا، لكن الألم في يده كان شديداً للغاية. لم يكن يستطيع التفكير بترتيب الكلمات في جمل واضحة. وإضافة إلى ذلك، لم يكن يعرف إلى متى يستطيع التفكير بنفسه، قبل أن يتمكن كرادوك من الاستحواذ عليه مجدداً. كان عليه السيطرة على ما سيحدث لاحقاً، ويجب أن يتم ذلك بسرعة. كان ذلك رائعاً. كانت الأمور أفضل بتلك الطريقة. لطالما كان في أفضل حالاته في ذلك الوقت.

دفع نفسه عبر القاعة، وصل السلالم ونزلها بسرعة، بسرعة كبيرة تقريباً، كل أربع درجات سوية، لهذا كان الأمر مثل السقوط. انهار عند آخر أربع درجات نحو قرميد المطبخ الطيني الأحمر. التوى أحد كاحليه تحته. تعثّر بقطعة الخشب المعدّة للتقطيع، بقواعدها الرفيعة وسطحها الذي ما زالت آثار الدماء القديمة عليه. كان هناك ساطور في قطعة الخشب على أحد جوانبها، وتلألأ النصل العريض

المسطح مثل زئبق سائل في الظلام. رأى السلالم حلقه منعكسة عليه، وكرادوك يقف عليها، معالمه مشوشة، ويداه ترتفعان فوق رأسه، وراحتا كفيه مفتوحتان، مثل كاهن يعظ الناس.

قال كرادوك: *ابقَ. أمسك بالسكين.* لكن جود كان يركّز على النبض في راحة يده. كان يشعر بألم مبرّح ناتج عن عضلة مطعونة، ويحاول جاهدا تصفية ذهنه والتركيز عليها. لا يستطيع الرجل الميت دفع جود لفعل ما يريده إذا كان الألم الذي يشعر به جود يمنعه من سماعه. دفع نفسه بعيداً عن خشبة التقطيع، وأبعده زخم الحركة عنها إلى طرف المطبخ.

ضرب الباب المؤدي إلى مكتب داني، واندفع عبره، نحو الظلام.

19

ثلاث خطوات عبر الباب، شدّ من أزره، وتردد للحظة ليعدّل قامته. كانت الظلال قد اختفت. لم تكن هناك أضواء. لم يستطع رؤية طريقه في كل تلك العتمة، وكان عليه الـتحرك للأمام ببطء شديد، يجرّ قدميه، ويداه ممدودتان أمامه، يتحسس الأشياء التي ربما يصادفها في طريقه. لم يكن الباب بعيداً، وعندما يصل سيتمكن من الخروج.

عندما كان يتقدم للأمام، شعر بضيق مثير للقلق في صدره. كان يتنفس بصعوبة. شعر بأن يده ستستقر في أي لحظة على وجه كرادوك الميت البارد في الظلام. ووجد نفسه يكافح حتى لا يُصاب بالذعر من تلك الفكرة. ارتطم مرفقه بمصباح غير مضاء، فحطمه، وخفق قلبه بشدة. تابع المشي على قدميه بخطوات صغيرة عرجاء، لكنه لم يشعر أبداً بأنه يقترب من المكان الذي يقصده.

فُتحت عين حمراء، عين قطة، ببطء في الظلام، وصدر عن مكبرات الصوت التي تحيط بخزانة المسجل صوت عميق ودندنة خفيضة جوفاء. كان جود يحس بانقباض حول قلبه، وكأنه انقباض مرضي. قال لنفسه: *تابع التنفس، تابع التنفس. سيحاول إيقافك كي لا تخرج.* نبح الكلبان ونبحا، بأصوات حادة، متعبة، غير بعيدة آنذاك.

كان المسجل يعمل، وينبغي أن يكون هناك مذياع، لكن ما من مذياع. لم يكن هناك صوت على الإطلاق. لامست أصابع جود الجدار، إطار الباب، ثم أمسك المقبض بيده اليسرى الثقيلة. انغرزت إبرة خياطة خيالية في الجرح، وتسببت بلهب بارد من الألم.

أدار جود المقبض، وسحب الباب للخلف، ظهر ضوء في الظلام، وتبين أنه ينظر إلى وهج الكشافين على مقدمة شاحنة الرجل الميت.

قال والد جود من الطرف البعيد للمكتب: "هل تعتقد أنك مميز لأنك تعلمت كيفية العزف على الغيتار؟" كان يتكلم عبر المسجل، بصوتٍ عالٍ وأجوف.

في اللحظة التالية، انتبه جود لأصوات أخرى تأتي من المكبرات - أنفاس ثقيلة، أحذية لأقدام تجر نفسها، صوت شيء يرتطم بطاولة - ضوضاء توحي بمباراة مصارعة يائسة ساكنة، ورجلان يتعاركان مع بعضهما البعض. كان هناك مسرحية إذاعية صغيرة تذاع. كانت مسرحية يعرفها جود جيداً، فقد كان أحد الممثلين الذين اشتركوا في المسرحية الأصلية.

توقف جود عند الباب المفتوح جزئياً، غير قادر على المعادرة إلى الخارج نحو الليل، تسمّر في مكانه من الأصوات القادمة من مسجل المكتب.

قال مارتن كاوزنسكي، بنبرة مسلية تبغض كل شيء في الوقت نفسه: "هل تعتقد أن معرفة كيفية القيام بذلك تجعلك أفضل مني؟ تعال إلى هنا".

ثم جاء صوت جود الخاص. لا، لم يكن صوت جود؛ فهو لم يكن قد أصبح جود في ذلك الوقت. كان جوستن، بصوته الأعلى من النغمة الثامنة على السلم الموسيقي، والأجش أحياناً الذي يفتقر للرنين الذي يأتي مع تطور الحبال الصوتية للبالغين. "ماما! ماما، ساعديني!"

لم تقل الأم أي شيء، ولم تتفوه ببنت شفة، لكن جود يتذكر ما فعلته. لقد نهضت من جانب طاولة المطبخ، ومشت إلى الغرفة التي تحيك بها، وأغلقت الباب برفق خلفها، دون أن تجرؤ على النظر إلى أي منهما. لم يساعد جود وأمه أحدهما الآخر مطلقاً، وعندما كان أحدهما يحتاج للمساعدة بشدة، لم يكن الآخر يجرؤ على تقديمها له.

قال له مارتن: "طلبت منك المجيء إلى هنا".

صوت شخص يرتطم بكرسي، وصوت كرسي يرتطم بالأرض. عندما بكى جوستن مجدداً، اهتزّ صوته بشكل يدعو للقلق.

"ليس يدي! لا يا أبي، ليس يدي!"

قال والده: "سألقّنك درساً".

جاء صوت دوي عالٍ، مثل باب يُغلق بعنف، وصرخ جوستن الفتى في المذياع وصرخ مجدداً، وعلى وقع صوته، دفع جود نفسه نحو نسيم الليل.

زلت قدمه، تعثّر، وكبا على ركبتيه في الطين المتجمد عند المدخل. **نهض،** وخطا خطوتين، ليتعثر مجدداً، وقع جود على يديه وقدميه أمام شاحنة **الرجل** الميت.

إن مقدمة منـــزلٍ أو سيارةٍ أو شاحنةٍ قد تبدو أحياناً مثل وجه، وهكذا هو الحال مع شيفروليه كرادوك. كان الكشافان عارة عن عيني المخبول اللامعتين، الضريرتين الجاحظتين. كان قضيب الكروم على المصد الأمامي فماً فضيا مكشراً. توقع جود أن تندفع نحوه، وأن تجعل إطاراتها الحصى يتطاير من حولها، لكنها لم تفعل.

وثب أنغوس وبون على جدار حظيرتهما المغلقة بسلسلة، ينبحان دون هوادة؛ نباح رعب وغضب عميق صادر من الحلق، بلغة الكلاب الأبدية البدائية: *هل تشاهدون أنيابي، ابتعدوا وإلا ستذوقون طعمها، ابتعدوا، أنا أسوأ منكم.* فكّر للحظة أنهما ينبحان على الشاحنة، لكن أنغوس كان ينظر إلى ما يوجد خلفه. نظر جود إلى الخلف ليرى إلى ماذا ينظر أنغوس. كان الرجل الميت يقف عند باب مكتب داني. رفع شبح كرادوك قبعته السوداء، ووضعها بحرص على رأسه.

قال الرجل الميت: *بني. لقد عدت إلى هنا يا بني*، لكن جود كان يحاول الامتناع عن الإصغاء إليه، وينكب على التركيز على صوت الكلبين. فمنذ أن عطّل نباحهما التعويذة التي كانت تسحره، في الأستوديو، بدا أن الوصول إليهما أهم شيء في العالم، رغم أنه لم يكن يستطيع شرح السبب لأي شخص، بمن فيهم هو نفسه. وتذكّر صوته فقط عندما سمع صوتيهما.

نهض جود عن الحصى، ركض، ووقع، ثم نهض، وركض مجدداً، تعثّر عند حافة المدخل، ووقع على ركبتيه مرة أخرى. زحف على العشب، ولم تكن ساقاه قويتين ليقف على قدميه من جديد. لسع الهواء البارد يده المجروحة.

نظر للخلف، كان كرادوك قادماً، وكانت السلسلة الذهبية تتدلى من يده اليمنى. بدأت الشفرة في نهايتها بالتأرجح، ضربة فضية، وأخرى متلألئة في الليل. كان الوميض والوهج يفتنان جود، شعر بأن نظره معلق بهما، وشعر بأن الأفكار تهرب منه؛ في اللحظة التالية، زحف نحو السياج مباشرة، وكان شيء ما يسعط إلى جانبه، وانقلب على ظهره.

نهض مستنداً إلى الباب الدوّار الذي يغلق الحظيرة، طرق أنغوس على الباب من الجهة الأخرى، وارتفعت عيناه للأعلى. وقفت بون بصلابة خلفه، تنبح

بإصرار حاد مستمر. إلا أن الرجل الميت مشى نحوهم.

قال الشبح: *دعنا نذهب يا جود. لنذهب في جولة على الطريق الليلي.*

شعر جود بالخواء، وبأنه يستسلم لذلك الصوت محددا، ولرؤية تلك الشعرة الفضية تتأرجح ذهاباً وإياباً عبر الظلام.

ضرب أنغوس السياج المغلق بسلسلة، ثم وثب فوقه، وسقط على جانبه. أُصيب جود بالذهول مجدداً نتيجة لذلك.

أنغوس..

تمنى أنغوس الخروج من الحظيرة. عندها وقف على قوائمه، ينبح على الرجل الميت، وينشب مخالبه في السلسلة.

عندها خطرت لــجود فكرة جامحة، إلا أنها لم تكن قد نضجت بعد، وتذكّر شيئاً قرأه صباح الأمس، في إحدى كتبه عن التنجيم. شيء حول فصائل الحيوان. شيء حول كيفية تعامل الحيوانات مع الموت بشكل مباشر.

وقف الرجل الميت عند قدمي جود، كان وجه كرادوك الهزيل الأبيض جامداً، وكان الحقد بادياً عليه، وتراقصت العلامات السوداء أمام عينيه.

أنت تصغي الآن. تصغي إلى صوتي.

قال جود: "سمعت بما فيه الكفاية".

نهض جود، ووجد خلفه مزلاج باب الحظيرة، ففتحه. بعد لحظة صرب أنغوس الباب ففتحه، ووثب أنغوس على الرجل الميت، وأطلق صوتاً لم يسبق لــجود أن سمعه من كلب أبداً، وكأن زمجرة مخنوقة خرجت من صميم صدره. بعد لحظة انطلقت بون، وتراجعت شفتاها السوداوان إلى الوراء لتكشف عن أنيابها ولسانها الذي يتدلى خارج فمها.

تراجع الرجل الميت خطوة للوراء، وارتبك وجهه. في اللحظات التي تلت ذلك، اكتشف جود أنه من الصعب عليه إدراك ما يحصل. وثب أنغوس على الرجل الميت؛ في تلك اللحظة فقط بدا أن أنغوس ليس كلباً واحداً وإنما كان اثنين. كان الأول كلب الرعي الألماني القوي البنية كما كان سالفاً، إلا أن كلب الرعي هذا كان متنوعاً بظلام دامس على شكل كلب آخر، كان أجوف وخاليا من المعالم، إلا أنه شبح حي صلب نوعاً ما.

تحطّى جسد أنغوس المادي شكل الشبح الحي هذا، لكن ليس بشكل كامل. كان الكلب الشبح يظهر حول الزوايا، خصوصاً في منطقة حطم أنغوس - وفمه الفاغر. ضرب هذا الثاني - الشبح الحي لأنغوس - الرجل الميت قبل أنغوس الحقيقي بجزء من الثانية، وباغته من جانبه الأيسر، بعيدا عن اليد التي تحمل السلسلة الذهبية والشفرة الفضية المتأرجحة. صرخ الرجل الميت - صرخة مكتومة غاضبة - *ودار حول نفسه*، وترنّح للخلف. دفع الرجل الميت أنغوس بعيدا عنه، ووكزه على خطمه بمرفقه. لم يكن يدفع أنغوس بعيدا عنه، وإنما الكلب الأسود الآخر الذي تأرجح وتمايل مثل ظل لهيب شمعة.

شنت بون هجوما على جانب كرادوك الآخر. وكانت بون كلبتين أيضاً، ولديها ظلها التوأم الخاص بها أيضا. عندما وثبت، ضربها الرجل العجوز بالسلسلة الذهبية، وفرقعت الشفرة الذهبية الهلالية الشكل في الهواء. مرّت أمام قائمة بون الأمامية اليمنى، وارتفعت وصولاً إلى الكتف، دون أن تترك علامة. لكنها انغرزت بعد ذلك في الكلبة السوداء المتصلة بها، وبترت قائمتها. تكوّرت بون الشبح على نفسها، للحظة واحدة، وتغير شكلها ليصبح شيئاً ليس كلباً تماماً، ليس... أي شيء تماماً. طارت الشفرة بشكل حر، وعادت إلى يد الرجل الميت. عوت بون، بصرخة ألم مبرّح. لم يعرف جود أي نسخة من بون عوت، كلبة الرعي أم شبحها.

ألقـــى أنغـــوس نفســـه على الرجل الميت مرة أخرى، فاغرا فمه، ووصل إلى حــنجرته، ووجهــه. لـــم يســتطع كرادوك الاستدارة بسرعة كافية للنيل منه بشفرته المـــتأرجحة. غـــرز أنغـــوس الشبح مخالبه الأمامية في صدر كرادوك ودفعه، فوقع كـــرادوك علـــى الأرض عـــند المدخل. عندما اندفع الكلب الأسود بقوة للأمام، كان يســتطيع مدّ نفسه مسافة ياردة (40 سنتمترا) كاملة عن كلب الرعي الألماني الملحق به، وتطاول وأصبح نحيلا مثل ظل في نهاية النهار. انغرست مخالبه السوداء على بعد بوصـــات مـــن وجـــه كرادوك. طارت قبعة كرادوك. ووثب أنغوس - كلاً من كلبي الراعي الألماني والكلب الأسود الحالك الملحق به - إلى رأسه، وهاجمه بمخالبه.

قفز الزمن.

كان كرادوك واقفاً على قدميه مجددا، يسند ظهره على الشاحنة. قفز أنغوس عبر الزمن معه، وكان منفعلاً ومهتاجاً. انغرز ناب داكن اللون في ساق كرادوك، وانبثق ظل سائل من تجاعيد وجه كرادوك. وعندما سقطت القطرات على الأرض،

هسّت وأطلقت دخاناً، مثل زبدة تسقط على مقلاة ساخنة. ركل كرادوك أنغوس، بشكل متواصل، إلا أن أنغوس استدار ليستقر عند قدميه.

جثم أنغوس، وبقيت تلك الزمجرة تغلي داخله، ونظرته ثابتة على كرادوك وسلسلته الذهبية مع الشفرة الهلالية الشكل في طرفها. وظل ينتظر فرصة. ظهرت العضلات على ظهر الكلب الكبير تحت فروه القصير اللامع، وتكوّر استعداداً للانقضاض. قفز ذلك الكلب الأسود الملحق بأنغوس أولاً، قبل جزء من الثانية فقط، فاغراً فمه، وغرس أنيابه في منفرج كرادوك، بقصد النيل منه. عندها زعق كرادوك.

قفز الزمن.

حمل الهواء صوت إغلاق باب بعنف. كان كرادوك داخل سيارته الشيفروليه. كانت قبعته على قارعة الطريق، مهروسة على نفسها.

ضرب أنغوس جانب الشاحنة، فاهتزت على نوابضها. ثم ضربت بون الجانب الآخر، وأنشبت مخالبها بقوة على الفولاذ. بدت آثار أنفاسها على النافذة، ولطخ لعابها الزجاج، كما لو أنها شاحنة حقيقية. لم يعرف جود كيف قطعت بون كل تلك المسافة لتصل إلى هناك. فقد كانت تجثم منذ لحظة إلى جانبه.

تراجعت بون، واستدارت، وألقت بنفسها على الشاحنة الصغيرة مرة أخرى. في الوقت نفسه قفز أنغوس على الجانب الآخر من الشاحنة. في اللحظة التالية، غادرت الشيفروليه المكان، ووثب الكلبان على بعضهما البعض. كان صوت ارتطام رأسيهما مسموعاً، وتسابقا نحو الوحل المتجمد حيث كانت الشاحنة تقف قبل لحظة فقط.

إلا أنها كانت قد رحلت؛ لم ترحل شاحنة الشيفرولية بشكل كامل، فقد بقي الكشافان، يبثان دائرتين من الضوء الذي يسطع في الجو. وثب الكلبان، وتدحرجا نحو الضوء، ثم بدأا النباح عليها بغضب. كان ظهر بون مقوساً، ووبرها منتصباً، وركضت مبتعدة عن الأضواء الساطعة الملقاة على الأرض فيما كانت تنبح. لم يكن أنغوس يقوى على النباح، وكانت كل نبحة أخشن وأشد حدة من التي سبقتها. لاحظ جود أن توأميهما الشبحين تلاشيا، واختفيا مع الشاحنة، أو عادا إلى داخل جسديهما الماديين، حيث ربما كانا يختبئان دائماً، افترض جود – بدت الفكرة معقولة تماماً – أن هذين الكلبين الأسودين الملحقين ببون وأنغوس كانا روحيهما.

بدأت دوائر ضوء الكشافين بالتلاشي، وأصبحت أضعف، ثم صارت زرقاء اللون، وتقلص حجمها. ثم انطفأت، ولم تترك شيئاً خلفها سوى خيالات باهتة مطبوعة على خلفية شبكية جود، وأقراص شاحبة بلون القمر ظهرت أمامه لعدّة لحظات فقط قبل أن تتلاشى.

الرحلة

20

لم يكن جود جاهزاً حتى بدأت السماء في الشرق تتلون بأول أشعة الفجر. عندها ترك جون في السيارة، واصطحب أنغوس للداخل معه. صعد السلالم هرولة، ودخل الأستوديو. كانت جورجيا حيث تركها، نائمة على الأريكة، تحت ملاءة قطنية بيضاء كان يضعها فوق السرير في غرفة الضيوف.

قال: "استيقظي يا عزيزتي". ووضع يده على كتفها.

استدارت جورجيا نحوه عندما أحست بلمسته. كانت خصلة طويلة من الشعر الأسود ملتصقة بوجنتها المتعرقة، وكان لونها شاحباً؛ كانت الوجنتان مخضبتين بحمرة بشعة، فيما بقية جلدها بيضاء مثل الثلج. وضع ظاهر يده على جبينها. وكانت جبهتها محمومة ورطبة.

لعقت شفتيها. "كم الوقت الآن؟"

"الخامسة".

نظرت حولها، وجلست مستعينة بمرفقيها. "ماذا أفعل هنا؟"

"ألا تعرفين؟"

نظرت إليه من أسفل عينيها. بدأ ذقنها يرتجف، ثم كان عليها أن تشيح نظرها بعيداً. غطّت عينيها بيد واحدة.

قالت: "يا الله ".

انحنى أنغوس من وراء جود، ودس خطمه في عنقها، تحت فكها، ودفعها، كما لو أنه يطلب منها أن تشد أزرها. بدت عيناه الكبيرتان الجاحظتان قلقتين.

قفزت عندما لامس أنفه الرطب جلدها، واستقامت في جلستها. ألقت نظرة فزعة مرتبكة على أنغوس، ووضعت يدها على رأسه، بين أذنيه.

"ما الذي يفعله بالداخل؟" ألقت نظرة على جود، ورأت أنه بكامل ملابسه، وينتعل حذاء دوك مارتنــــر أسود. وفي الوقت نفسه تقريباً، بدا أنها تعرفت على هدير محرك الموستانغ في الممر. كانت السيارة جاهزة آنذاك. "إلى أين ستذهب؟"

قال: "سنذهب نحو الجنوب".

21

بدأ ضوء النهار يتلاشى عندما أصبحا شمال فريدريكسبورغ، وشاهد جود هناك شاحنة الرجل الميت خلفهما، تتبعهما على بعد نحو ربع ميل.

كان كرادوك مكديرموت خلف المقود، رغم أنه كان من الصعب تمييزه بوضوح في الضوء الخافت، تحت ضياء السماء الصفراء، حيث تتوهج الغيوم مثل جمرات متقدة. كان جود يستطيع أن يرى أنه يعتمر قبعته محدداً، ويقود منكباً على المقود، وكتفاه مرتفعتان إلى مستوى أذنيه. كان قد وضع أيضاً نظارة دائرية الشكل. لمعت عدستاها بضوء برتقالي غريب، تحت ضوء مصابيح الصوديوم، التي ترسل أشعة من الضوء المتوهج - مثيل بصري للكشافين على المسند.

سلك جود المخرج التالي. سألته جورجيا عن السبب، فقال لها إنه متعب. لم تكن قد رأت الشبح.

قالت: "أستطيع القيادة".

كانت قد نامت معظم فترة بعد الظهر، وهي الآن تجلس على مقعد الراكب وقدماها متشابكتان تحتها ورأسها مرتاح على كتفها.

عندما لم يجب، ألقت نظرة متفحصة على وجهه وقالت: "هل كل شيء على ما يرام؟"

دست بون رأسها في الفراغ بين المقعدين الأماميين لتستمع إليهما يتحدثان. كانت تحب الاشتراك في محادثتهما. عندئذ داعبت جورجيا رأسها، فيما حدقت عينا بون السيتان كالشوكولاته بجود بنظرة ريبة فيها الكثير من العصبية.

وجدا نزل الأيام بعد أقل من نصف ميل عن الطريق الرئيسية. أرسل جود جورجيا لتسأل عن غرفة، فيما جلس في الموستانغ مع الكلبين. لم يكن يريد أن

يكشف عن هويته، فمراجه لم يكن جيداً، في الحقيقة لم يكن مراجه جيداً منذ نحو خمسة عشر عاماً.

حالما خرجت جورجيا من السيارة، زحفت بون إلى مقعدها الفارغ، وتكوّرت في البقعة الدافئة التي تركتها مؤخرة جورجيا على الجلد. حالما وضعت بون فكها على مخالبها الأمامية، نظرت إلى جود نظرة مذنب، وانتظرت أن يصرخ عليها، ويطلب منها العودة إلى الخلف مع أنغوس. لم يصرخ. يستطيع الكلبان فعل ما يريدانه.

لم يكن قد مضى وقت طويل على خروجهما إلى الطريق حتى أخبر جود جورجيا عمّا حدث بين الكلبين وكرادوك. "لست واثقاً حتى أن كرادوك كان يعرف أن أنغوس وبون يستطيعان النيل منه بتلك الطريقة. لكنني أعتقد أن كرادوك عرف أنهما يمثلان خطراً ما، وأعتقد أنه كان سيكون مسروراً لو تمكن من إخافتنا لدرجة أن نخرج من المنـزل ونبتعد عنهما، قبل أن نكتشف كيفية استخدام الكلبين ضده".

عند ذلك، استدارت جورجيا في مقعدها، ومدّت نفسها إلى الخلف لتربت خلف أذني أنغوس، ومالت نحو المقعد الخلفي بما يكفي لتحك أنفها بخطم بون. "من هما كلباي البطلان الصغيران؟ من هما؟ نعم، أنتما، ذلك صحيح". وهكذا... حتى بدأ جود يشعر بالضيق من سماع ذلك.

خرجت جورجيا من المكتب، تحمل مفتاحاً، وهزّته بيدها قبل أن تستدير وتمشي حول زاوية البناء. تبعها بالسيارة، وركنها في فسحة خالية، أمام أحد الأبواب العديدة ذات اللون البيج خلف النـزل.

دخلت مع أنغوس فيما مشى جود مع بون على طول سياج من الشجيرات عند سور موقف السيارات. ثم عاد، وترك بون مع جورجيا، وأخذ أنغوس للقيام بنـزهة. كان مهماً لكليهما عدم الابتعاد عن الكلبين.

كانت تلك الشجيرات، خلف نزل الأيام، مختلفة عن الغابة حول منـزله الريفي في بايكليف، نيويورك. كانت الشجيرات دون أدنى شك شجيرات جنوبية، تفوح منها رائحة تفسخ النباتات، وطحالب رطبة وطين أحمر، ورائحة الكبريت والمجاري، ورائحة الأوركيد وزيت المحركات. كان الجو نفسه مختلفاً، والهواء أكثف، وأكثر دفئاً، ودبقاً مع رطوبة. مثل إبط. كما كانت الحال في مورز - كورنر، حيث ترعرع جود. لاحق أنغوس يراعات، تطير هنا وهناك على السراخس، في الضوء الأخضر الأثيري.

عاد جود إلى الغرفة. خلال الدقائق العشرة التي استغرقها لعبور ديلاور، كان قد توقف في سونوكو للتزود بالوقود، واشترى نصف دزينة أنبو من بقالية تفتح ليلاً. لم يخطر له، على كل حال، شراء أطباق ورقية. وفيما كانت جورجيا تستخدم الحمام، سحب جود أحد الأدراج من خزانة الملابس، وفتح علبتين معدنيتين، وسكبهما في الدرج، ثم وضعه على الأرض من أجل الكلبين. سارعا إليه، وملأ صوت التقطع والبلع، والنخير العالي واللهاث الغرفة.

خرجت جورجيا من الحمام، ووقفت عند الباب ترتدي سروالاً داخلياً أبيض شفافاً وصديرة تركتها نصف عارية، واختفى كل دليل آخر عنها، عدا أظفارها اللامعة المطلية باللون الأسود. كانت يدها اليمنى ملفوفة بضمادة جديدة. نظرت إلى الكلبين، وتغضّن أنفها تعبيراً عن اشمئزاز مضحك.

'يا الله، هل أنت مغفل إلى هذا الحد؟ إذا اكتشف المشرف أننا نضع طعام كلبينا في درج الخزانة، لن يسمح لنا بالإقامة مجدداً في نزل **الأيام** في فريدريكسبورغ". كانت تتكلم بتعثّر، وبطريقة غريبة حيّرته. كانت تُسقط حروفاً، وتشدّد على حروف العلة طوال فترة بعد الظهر، كانت تفعل ذلك أحياناً للضحك، وأحياناً كان جود يعتقد أن ذلك يحدث دون انتباه منها. كما لو أنها عندما تبتعد عن نيويورك، فإنها تبتعد أيضاً عن شخصيتها هناك، وتنسل دون وعي منها عائدة إلى تصرفاتها وصوتها اللذين كانا لديها من قبل: الطفلة جورجيا الهزيلة التي كانت تعتقد أن التلامس مع الفتيان أمر مضحك.

قال: رأيت أشخاصاً يستعملون غرفة فندق بشكل أكثر سوءاً من هذا. أقول لك أكثر سوءاً عوضاً عن القول أسوأ'. كانت لهجته الخاصة، التي أهملها كثيراً بمرور السنين، تزداد خشونة أيضاً. وإن لم يبذل الكثير من الحرص، فسيتكلم مثل ممثل كومبارس مرتبك في الوقت الذي يصلان فيه إلى كارولينا الجنوبية. كان الاقتراب من مكان النشأة الأولى صعباً دون العودة إلى صفات الشخص الذي كان عليه هناك. 'لقد قضى رميلي ديزي حاجته في درج خزانة ذات مرة، عندما لم أخرج من المرحاض بالوقت المناسب'.

ضحكت جورجيا، رغم أنه رآها ترقبه بشيء من القلق؛ تتساءل، ربما، عمّا يدور في خلده. كان ديزي قد مات بالإيدز. وكان جيروم، الذي عزف الغيتار الإيقاعي وكل شيء آخر تقريباً، ميتاً، أيضاً، بعد أن انحرفت سيارته خارج

الطريق بسرعة 140 ميلاً بالساعة، واصطدم بشجرة، وحطّم البورش مثل علبة جعة. فقط حفنة من الناس عرفوا بأنه لم يكن حادثاً بسبب القيادة تحت تأثير الكحول، وبأنه قام بذلك بأعصاب باردة، عامداً متعمداً.

لم يمر وقت طويل على وفاة جيروم حتى قال كيني إن الوقت قد حان للتوقف عن العمل، وإنه يريد قضاء بعض الوقت مع أولاده. كان كين متعباً من الحفلات الموسيقية المتواصلة، والسراويل الجلدية السوداء، والألعاب النارية، وغرف الفنادق. لقد سئم كل ذلك منذ وقت طويل. كان ذلك هو حال الفرقة. ومنذ ذلك الحين أصبح جود معنياً وحيداً.

ربما لم يعد كذلك بعد الآن. كان هناك صندوق لإبداعاته في أستوديو منزله، وفيه نحو ثلاثين أغنية جديدة. لكنها كانت مجموعة خاصة. ولم يزعج نفسه بعزفها لأي كان. كانت كلها متشابهة تقريباً. ماذا قال كورت كوبيان؟ الشعر يباعي الشعر. مراراً وتكراراً. لم يعد جود يهتم إطلاقاً. حصد الإيدز ديزي، ونال الطريق من جيروم. لم يعد جود يهتم بالمزيد من الموسيقى.

لم تكن الطريقة التي تسير بها الأمور منطقية بالنسبة له. لطالما كان النجم، إذ كانت الفرقة تسمّى مطرقة جود، كان يُفترض أن يموت يافعاً بطريقة مأساوية. كان المفترض أن يعيش ديزي وجيروم فترة أطول، وهكذا يستطيعان قص الحكايا عنه بعد سنوات طويلة، على موجة في - إتش تهتم بالأحداث الغابرة؛ كان كل منهما أصلع وبديناً، ويعتني بأطفاره، ويعيش بسلام مع ثروته وماضيه الفظ الصاخب. لكن جود لم يكن يحس الالتزام بالنص أبداً.

تناول جود وجورجيا الشطائر التي انتقياها من محطة وقود تيلاور نفسها التي اشترى جود منها علب ألبو. كان طعمها مثل غلاف ساران الملفوفة به.

كانت فرقة كميكال روماس في كونان. كان أفرادها يضعون حواتم في ألسنتهم وحواجبهم. وكان شعرهم مدبباً مثل المسامير. ولكن تحت التبرج الكثيف وطلاء الشفاه الأسود يبدون مثل مجموعة من الأطفال البدينين الذين ربما كانوا يشاركون في فرق المدرسة الثانوية قبل بضع سنوات. كانوا يقفزون، ويسقطون على بعضهم البعض، كما لو أن المنصة تحتهم صفيحة مكهربة. كانوا يعزفون بعنف، ويقصون حاجتهم بحوف. أحبهم جود. وتساءل من منهم سيموت أولاً.

بعد ذلك، أطفأت جورجيا المصباح قرب السرير، واستلقيا معاً في الظلام، وتكوّر الكلبان على الأرض.

قالت: "أعتقد أن حرق بذلته لم يخلصنا". لم تكن هناك لهجة دايري ديوك في صوتها آنذاك.

"كانت تلك فكرة جيدة، رغم كل شيء".

"لا لم تكن كذلك". ثم تابعت: "أرغمني على حرقها، أليس كذلك؟

لم يجب جود.

سألت: "ماذا إن لم نعرف كيف نجعله يرحل؟"

"سنتعود على شم رائحة طعام الكلاب".

ضحكت، ودغدغت أنفاسها عنقه.

قالت: "ماذا سنفعل عندما نصل إلى المكان الذي نقصده؟"

"سنتحدث مع المرأة التي أرسلت لي البذلة. سنكتشف ما إذا كانت تعرف كيفية التخلص منه".

دارت سيارات عن بعد. وسمع صوت صراصير.

"هل ستؤذيها؟"

"لا أعرف. ربما أفعل. كيف أصبحت يدك؟"

قالت: "أفضل. كيف يدك؟"

قال: "أفضل".

كان مستلقياً، ومتأكداً تماماً أنها مستلقية، أيضاً. كانت قد دخلت الحمام لتغير رباط يدها عندما دخلا الغرفة أول مرة. ثم دخل بعدها، ليغير رباط يده، ووجد ضمادتها القديمة في القمامة. سحب ربطة الشاش من سلة النفايات ليفحصها، وكانت تنبعث منها رائحة تلوث كريهة ومطهر للجروح، وكانت ملطخة بدماء جافة وشيئ آخر، قشرة صفراء ينبغي أن تكون قيحاً.

فيما يخص يده، ربما كان الجرح الذي تسبب به يحتاج إلى غرزة. قبل مغادرة المنزل ذلك الصباح، سحب علبة إسعافات أولية من الخزانة العليا في المطبخ، واستخدم بعضاً من الشريط اللاصق لإغلاق الجرح، ثم لفه بضمادة بيضاء. لكن نزيف الجرح استمر، وفي الوقت الذي أزال فيه الضمادة عنه، كان الدم قد بدأ يبعد منه. وتحول الثقب في يده اليسرى بين الشريط اللاصق إلى عين

حمراء تسيل منها الدماء.

بدأت جورجيا: 'الفتاة التي انتحرت. الفتاة التي يدور كل هذا الأمر حولها...'.

'آنا مكديرموت. اسمها الحقيقي الآن'.

رددت جورجيا: 'آنا. هل تعرف لماذا انتحرت؟ هل كان السبب لأنك طلبت منها الرحيل؟'

'من الواضح أن شقيقتها تعتقد ذلك، وكذلك زوج أمها على ما أعتقد، لأنه يطاردنا".

'الشبح... يستطيع دفع الناس لفعل أشياء. مثل جعلي أحرق الدذلة. مثل جعل داني يشنق نفسه'.

كان قد أخبرها عن داني في السيارة. برمت جورجيا وجهها إلى النافذة، وكان يستطيع سماعها تبكي بصوت خافت لبعض الوقت، وتصدر أصواتاً مكتئبة قصيرة، والتي تحولت بعد وقت قصير إلى شهقات نوم خفيضة ومنتظمة. كانت تلك المرة الأولى التي يذكر فيها أي منهما داني منذ ذلك الوقت.

تابع جود: 'تعلّم الرجل الميت، زوج أم آنا، التنويم المغناطيسي في الجيش، وتابع العمل فيه بعد استقالته. كان يحب أن يدعو نفسه صاحب الفكر. استخدم في حياته سلسلته تلك، مع الشفرة الفضية في نهايتها، لتنويم الناس، ولكنه ميت الآن، ولم يعد يحتاجها. وعندما يقول أشياء، ينبغي على من يسمعها تنفيذها وحسب. فجأة، تسترخين في مقعدك، وتراقبينه يأخذك هنا وهناك. لا تشعرين بشيء. جسدك بدلة من الملابس، وهو الذي يرتديها، وليس أنت . فكّر جود، بدلة رجل ميت، واقشعرّ بدنه. ثم قال: "لا أعرف الكثير عنه. لم تكن آنا تحب الكلام عنه. لكنني أعرف أنها عملت بصّارة لفترة، وقالت إن زوج أمها علّمها كيفية القيام بذلك. كان مهتماً بالنواحي التي لا نعرف عنها الكثير في العقل البشري. مثلاً، كان يقدّم خدمات الاستدلاء (البحث عن المياه الجوفية) في عطلات نهاية الأسبوع .

إنهم أولئك الناس الذين يبحثون عن المياه بالتلويح بعصا في الهواء؟ استخدمت جدّتي عجوزاً من المناطق الجبلية فمه مليء بأسنان ذهبية ليبحث لها عن ينبوع جديد بعد أن جفّ بئرها. كانت لديه عصا مصنوعة من خشب الجوز'.

'لم يكن زوج والدة آنا، كراندوك، يستخدم عصا. كان يستعمل تلك الشفرة اللامعة المتصل بالسلسلة وحسب. كذلك القلائد تعمل جيداً في هذا النوع من العمل،

على ما أعتقد. على كل حال، أرادت تلك الغانية المعتوهة التي أرسلت لي النذلة، **جيسيكا مكديرموت برايس** أن أعرف أن زوج أمها قال إنه سيسوّي الأمر معي بعد مماته. لهذا أعتقد أن الرجل العجوز لديه بعض الأفكار حول كيفية العودة. بكلمات أخرى، إنه ليس شبحاً عرضياً، إذا كان ذلك منطقياً. لقد سلك الطريق التي هو عليها الآن عمداً".

نبح كلب في مكان ما بعيد، رفعت بون رأسها، ونظرت باهتمام نحو الباب، ثم خفضت ذقنها، ووضعتها على مخالبها الأمامية.

سألت جورجيا: "هل كانت جميلة؟"

"أنا؟ نعم. بالتأكيد. هل تريدين أن تعرفي إذا كانت جيدة في الفراش؟"

"أتساءل فقط. لا تغضب بسبب ذلك".

"حسناً، إذاً. لا تطرحي أسئلة لا تريدين فعلاً معرفة إجاباتها. لاحظي أنني لم أسألك مطلقاً عن علاقاتك السابقة".

"علاقات سابقة. اللعنة. هل تفكر بي بتلك الطريقة؟ العلاقة الحالية، وسرعان ما أصبح علاقة سابقة؟"

"يا الله . لقد بدأنا".

"لم أقصد التطفل. أحاول استيضاح الأمر".

"كيف ستساعدك معرفة فيما إذا كانت جميلة على استيضاح حقيقة الأمر في مشكلة شبحنا؟"

رفعت الملاءة إلى ذقنها، وحدّقت به في الظلام.

"إذاً كان اسمها فلوريدا وأنا جورجيا. كم ولاية أخرى أقمت علاقة معها".

"لا يمكنني التحديد. ليس لديّ خريطة في مكان ما مع دبابيس عليها. هل تريدينني فعلاً أن أقدّر العدد؟ فيما نحن نناقش الموضوع، لماذا نتوقف عند الولايات؟ قمت بثلاث عشرة جولة عالمية، وكنت جاهزاً دائماً لتلك العلاقات".

"يا لك من أحمق".

أخفى ابتسامته في لحيته. "أعرف أن ذلك ربما يكون مفاجئاً، لعذراء مثلك. إليك بعض الأنباء الأخرى: لدي ماضٍ. أربع وخمسون سنة منه".

"هل أحببتها؟"

"لا يمكنك ترك الأمر، أليس كذلك؟"

"هذا مهم، اللعنة".

"كم هو مهم؟"

لم تجب.

جلس مستندا إلى لوح السرير. "لحوالي ثلاثة أسابيع".

"هل أحبتك؟"

أومأ برأسه.

كتبت لك رسائل؟ بعد أن أرسلتها إلى منـــزلها؟"

نعم".

"رسائل غاضبة؟"

لم يجب في البداية، وفكّر في السؤال.

"هل قرأتها حتى، أيها الأبله العديم الإحساس؟" كانت هناك محدداً نبرة ريفية جنوبية واضحة في صوتها. كانت عصبية المزاج، ونسيت نفسها للحظة. أو ربما لم تكن قد نسيت نفسها، كما فكّر جود، وإنما العكس هو الصحيح.

قال: "نعم، قرأتها. بحثت عن تلك الرسائل عندما مررت بأوقات صعبة في نيويورك".

كان جود آسفاً لأن داني لم يجدها، لقد أحب آنا، وعاش معها، وتحدث إليها كل يوم كانا فيه معا، لكنه يفهم الآن بأنه لم يكن يعرف ما يكفي عنها. لم يكن يعرف الكثير عن الحياة التي عاشتها قبله؛ وبعده.

قالت: "تستحق كل ما يحدث لك". ابتعدت جورجيا عنه. "كلاكما تستحقان ذلك".

قال: "لم تكن غاضبة، كانت عاطفية أحياناً، وكانت محيرة أحياناً أخرى، لأنه لم يكن فيها الكثير من المشاعر. في الرسالة الأخيرة، أتذكر أنها قالت شيئاً حول أمور ترعب بالتحدث حولها، أمور كانت متعبة من إبقائها سراً. قالت إنها لا تستطيع أن تتحمل كل ذلك التعب طوال الوقت. كانت ينبغي أن تكون تلك إشارة تحذير لي. عدا عن أنها قالت أشياء مثل تلك مرات أخرى، ولم تكن مطلقاً... بأي حال، أحاول أن أقول لك إنها لم تكن على ما يرام. لم تكن سعيدة".

"لكن هل تعتقد أنها بقيت تحبك؟ حتى بعد أن وضعت قدمك على ظهرها؟"

"لم...". همّ بقول شيء، ثم أطلق زفيراً مضطرباً حاداً. لم يكن يسمح لنفسه بأن يقع في الفخ. "أفترض أنها بقيت تحبني".

لم تتكلم جورجيا لوقت طويل، وأدارت ظهرها له. نظر إلى انحناء كتفها بتمعّن. أخيراً قالت: "أشعر بالأسى عليها. ليس الأمر ممتعاً، كما تعرف".

"ماذا؟"

"أن تقع في حبك. لقد رافقت الكثير من الأشرار الذين جعلوني أشعر بأنني خسيسة يا جود، لكنك مميز. لأنني كنت أعرف أن أحداً منهم لا يهتم لأمري فعلاً، لكنك تهتم، وجعلتني أشعر بأنني مثل عاديتك المفضلة بكل الأحوال". كانت تتكلم بصراحة وهدوء دون أن تنظر إليه.

جعله ذلك يلتقط أنفاسه قليلاً، مما قالته، وأراد للحظة أن يقول لها إنه آسف، لكن الكلمة أفلتت منه. لم يكن معتاداً على الأعذار والتفسيرات المعترفة. انتظرت إجابته، وعندما لم يفعل، سحبت البطانية لتغطي كتفيها.

انزلق على الوسادة، ووضع يديه خلف رأسه.

قالت: "سنمر عبر جورجيا غداً". دون أن تستدير نحوه. "أريد أن أتوقف فيها لرؤية جدتي".

ردد جود: "جدتك". كما لو أنه لم يكن واثقاً من سماعها بشكل صحيح.

"إنها أكثر شخص أحبه في العالم. لقد سجلت ثلاثمئة نقطة في البولينغ مرة". قالت جورجيا ذلك كما لو أن الأمرين يشعان بعضهما بشكل طبيعي. ربما كانا كذلك.

"هل تعرفين المشكلة التي نواجهها؟"

"نعم. أعرفها".

"هل تعتقدين أن البدء بتحويل وجهتنا فكرة جيدة؟"

"أريد رؤيتها".

"ما رأيك بأن نتوقف في طريق عودتنا؟ نستطيع استعادة الأوقات الحوالى عندها، وربما نستطيعان الاشتراك في لعبة بولينغ معاً".

تمهلت جورجيا قليلاً قبل أن تجيب. أخيراً قالت: "أشعر بأنه ينبغي أن أراها الآن. إنها تخطر ببالي. لا أعتقد أن رحلة عودتنا مؤكدة. هل تعتقد أنت ذلك؟

شذ لحيته، وحدق بشكلها تحت الملاءة. لم يكن يحب فكرة الإبطاء لأي سبب كان، لكنه شعر بحاجة لتقديم شيء لها، بعض التنازل، ليجعلها أكثر قبولاً له. أيضاً، إذا كان لدى جورجيا أشياء تقولها لشخص تحبه، فلن يكون منطقياً الانتظار فترة طويلة، وبدا أن الابتعاد عن أي شيء غير مهم تخطيط منطقي.

"هل تحتفظ جدتك بالليموناضة في الثلاجة؟"

"طازجة."

قال جود: "موافق. سنتوقف. ليس لوقت طويل، مفهوم؟ يمكن أن نكون في فلوريدا بمثل هذا الوقت غداً إذا لم نتأخر".

تنهد أحد الكلبين. فتحت جورجيا نافذة لتطرد رائحة ألبو، النافذة التي تطل على الساحة في وسط المنزل. كان جود يستطيع شم رائحة السياج المعدني الصدئ وغاز الكلور، رغم عدم وجود ماء في البركة.

قالت جورجيا: "أيضاً، كان لديّ سابقاً لوح ويجا. عندما نصل إلى منزل جدتي، أريد أن أبحث عنه".

"أحرقته للتو. لست بحاجة للحديث مع كرادوك. أعرف سلفاً ما يريده".

قالت جورجيا: "لا". وكان صوتها موجزاً ونافد الصبر. "لا أعني أننا ينبغي أن نتحدث إليه".

"ما الذي تعنيه إذاً؟"

قالت جورجيا: "سنحتاجه إذا أردنا التكلم مع آنا. قلت إنها كانت تحبك. ربما تستطيع أن تقول لنا كيفية التخلص من هذه الفوضى. ربما تستطيع التخلص منه".

22

بحيرة بونتشارتريان؟ لم أترعرع بعيداً عن هنا. اصطحبنا والداي للتخييم هناك مرة. كان زوج والدتي يصطاد السمك. لا أتذكر كيف فعل ذلك. هل كنت تذهب للصيد كثيراً في بحيرة بونتشارتريان؟

كانت تلاحقه دائماً بأسئلتها. لم يستطع معرفة ما إذا كانت تصغي إلى الأجوبة أو تستغل الوقت الذي يتكلم فيه للتفكير في شيء آخر لتزعجه فقط.

هل تحب صيد السمك؟ هل تحب السمك النيئ؟ سوشي؟ أعتقد أن السوشي مقرف، عدا عندما أشرب، ويكون مزاجي جيداً عندها. الاشمئزاز يطغى على الفتنة. كم مرة ذهبت إلى طوكيو؟ سمعت أن الطعام مقرف فعلاً، فنديل بحر نيئ. كل شيء نيئ هناك. ألم يخترعوا النار في اليابان؟ هل تعرضت للتسمم نتيجة تناول طعام فاسد من قبل؟ تعرضت لذلك بالتأكيد. خلال تجوالك طوال الوقت".

كيف كانت أقسى مرة تقيأت فيها؟ هل تقيأت عبر فتحتي أنفك من قبل؟ هل فعلت؟ ذلك هو الأسوأ".

"لكن هل اصطدت في بحيرة بونتشارتريان كثيراً؟ هل اصطحبك والدك؟ أليس الاسم جميلاً؟ بحيرة بونتشارتريان؟ بحيرة بونتشارتريان، أريد أن أشاهد المطر على بحيرة بونتشارتريان. هل تعرف ما هو أكثر الأصوات رومانسية في العالم؟ المطر على بحيرة ساكنة. مطر ربيع لطيف. عندما كنت طفلة، كنت أستطيع أن أغفو بمجرد أن أجلس قرب نافذتي أشاهد المطر. كان زوج والدتي يقول إنه لم يلتق شخصاً يغفو مثلي أبداً. ماذا كنت تحب في نشأتك؟ متى قررت تغيير اسمك؟"

"هل تعتقد أنني يجب أن أغير اسمي؟ ينبغي أن تختار اسماً جديداً لي. أريدك أن تناديني بما تريد أن تناديني به".

قال: "أفعل ذلك الآن".

"هذا صحيح. تفعل ذلك. من الآن وصاعداً، اسمي فلوريدا. آنا مكديرموت ميتة بالنسبة لي. إنها فتاة ميتة. اختفت. لم أحبها بأي حال. أفضّل أن أكون فلوريدا. هل تعتقد لويزيانا؟ أليس غريباً أننا نعيش على بعد أربع ساعات من بعضنا البعض؟ لا بد أن سبلنا تتقاطع. هل كنت تعتقد أننا نتواجد معاً في المكان نفسه، في الوقت نفسه، دون أن نعرف ذلك؟ ربما لا، صحيح؟ لأنك غادرت لويزيانا قبل أن أولد حتى".

كانت تلك إما عادتها المحببة أو وسيلتها لإغاظته. لم تكن جود واثقاً أبداً. ربما كان كلا الأمرين في الوقت نفسه.

سألها في أول ليلة ناما فيها معاً: "هل تنتهين من طرح الأسئلة أبداً؟" *كانت الساعة الثانية صباحاً*، وكانت تستنطقه منذ ساعة. "هل كنت أحد أولئك الفتية الذين يدفعون أمهاتهم للجنون؟ لماذا السماء زرقاء؟ لماذا لا تقع الأرض على الشمس؟ ماذا يحدث لنا عندما نموت؟"

سألته آنا: ماذا تعتقد أنه سيحدث لنا عندما نموت؟ هل سبق ورأيت شبحاً؟ رآه زوج والدتي. زوج والدتي يتحدث إلى الأشباح. كان في فييتنام. قال إن البلد بأكمله مسكون".

بحلول ذلك الوقت، عرف أن زوج والدتها يعمل بالاستشفاء إضافة إلى التنويم المغناطيسي، وأنه يعمل مع شقيقتها الكبرى، التي تعمل بالتنويم المغناطيسي أيضاً، وأنهما موجودان في تيستمنت، فلوريدا. كان ذلك أقصى ما يعرفه عن عائلتها. لم يضغط جود ليعرف المزيد – لا عندها، وليس لاحقاً – كان مقتنعاً بأن يعرف عنها ما تريد إطلاعه عليه.

كان قد التقى آنا قبل ثلاثة أيام، في مدينة نيويورك. كان هناك ليسجل مقاطع صوتية مع ترينت ريزنور من أجل تسجيل صوتي لعيلم – مال سهل – ثم بقي في الأنحاء ليشاهد أداء ترينت في روزلاند. كانت آنا وراء الكواليس، فتاة صغيرة، تصبغ أحمر شفاه بنفسجياً، وترتدي سروالاً جلدياً يتجعد عندما تمشي، وشقراء بشكل نادر. سألته فيما إذا كان يريد الإفطار، وجلبته له ثم قالت: "من الصعب

تناول الطعام مع لحية مثل هذه؟ هل تختبئ الطعام فيها؟' أمطرته بالأسئلة منذ اللحظة التي قالت له فيها مرحباً. 'هل تعتقد أن الكثير من الرجال - راكبو الدراجات وما شابههم - يطلقون لحاهم لكي يبدوا مخيفين؟ ألا تعتقد أنها ستعيقك فعلاً في القتال؟

سألها: 'كيف للحية أن تعيق أحداً في القتال؟'

أمسكت بلحيته بإحدى قبضتيها، وشدّتها فجأة، انحنى للأمام، وشعر بألم مبرّح في النصف السفلي من وجهه، وأطبق على أسنانه، وكتم صرخة غضب. أفلتتها، وتابعت: 'إذا اشتركت في قتال ضد رجل ملتحٍ، سيكون هذا أول شيء أفعله. سيكون النيل من 'زد - رد توب' سهلاً. أستطيع النيل من ثلاثتهم، بحجمي الصغير. لأن هؤلاء الرجال مشغولون، ولا يستطيعون الحلاقة. إذا حلقوا يوماً، لن يعرفهم أحد. أخمن أنك تواجه المشكلة نفسها، وأفكّر الآن في الأمر. إنها ما أنت عليه. تلك اللحية تجعلني أشاهد الكوابيس كفتاة صغيرة، عندما كنت أشاهدك في أفلام الفيديو. ياه! كما تعرف، قد تصبح مجهولاً تماماً دون لحيتك. هل فكّرت في ذلك من قبل؟ إجازة فورية من الضغوط التي يعاني منها مشاهير الفنانين. إضافة إلى ذلك، تعيقك في المعركة. إنها أسباب للحلاقة'.

قال: 'كان وجهي على وشك السقوط. إذا كانت لحيتي تتسبب بكوابيس لك، ينبغي أن تشاهديني دونها. ربما لن تنامي مجدداً'.

'إذاً هي قناع. فعل تخفٍّ. مثل اسمك'.

'ماذا به اسمي؟'

'هذا ليس اسمك الحقيقي، جودا كوين. إنه تورية'. مالت نحوه. 'أسماء مثل هذه، هل أنت من عائلة مسيحية غريبة الأطوار؟ أراهن بذلك. قال زوج والدتي إن كتابنا الـ... كلام فارغ. ترعرع مسيحياً، ولكنه تحول إلى تحضير الأرواح، وهي الطريقة التي ربّانا عليها. كانت لديه قلادة؛ كان يدلّيها فوق الشخص ويطرح عليه أسئلة ويعرف فيما إذا كان يكذب من طريقة تأرجحها ذهاباً وإياباً. كان يستطيع معرفة حالة الشخص منها، أيضاً. حالتي سوداء مثل الخطيئة. ماذا عنك؟ هل تريدني أن أقرأ كفك؟ قراءة الكف ليست بشيء. أسهل خدعة في الكتاب'.

قرأت له طالعه ثلاث مرات. في المرة الأولى كانت تجثو عارية في السرير بجانبه، ويظهر خط لامع من العرق في الثنية بين نهديها. كانت تتورد نضرة، وما

تزال تتنفس بصعوبة من التعب. تناولت راحة كفه، وحركت أطراف أصابعها عليها، وتفحصتها عن قرب.

قالت آنا: "انظر إلى خط الحياة هذا، تمتد هذه الأشياء أميالاً. أعتقد أنك ستعيش للأبد. شخصياً لا أرغب بأن أعيش للأبد. كم عمر طويل العمر؟ ربما كانت تلك كذبة. كما هي موسيقاك للأبد، وبعض الكلام الفارغ على تلك الخطوط. قراءة الكف ليست علماً دقيقاً".

وذات مرة، بعد أن انتهى من إعادة بناء الموستانغ بوقت قصير، ذهبا في جولة إلى التلال التي تطل على هدسون. صعدا إلى هناك، وأوقفا السيارة على طريق منحدر، يطل على النهر، وكانت المياه تتساقط بقطرات ماسية تحت سماء عالية زرقاء اللون. من غيوم بيضاء احتشدت مثل الزغب، على ارتفاع آلاف الأقدام، في الأفق. كان جود يريد اصطحاب آنا إلى موعد مع طبيب نفساني - حجزه ذاتي - لكنها أقنعته بالعدول عن ذلك، وقالت إن اليوم لطيف جداً، وينبغي أن لا يقضياه في عيادة طبيب.

جلسا هناك، النوافذ مفتوحة، والموسيقى خافتة، وأمسكت بيده، الممدودة على المقعد بينهما. كانت تعيش أحد أيامها الطيبة، التي كانت على وشك الأفول.

قالت: "هل ستحب مجدداً بعدي؟ هل ستحصل على فرصة أخرى لتكون سعيداً؟ لا أعرف إذا كنت ستسمح لنفسك بأن تستغلها. أعتقد أنك لن تفعل ذلك. لماذا لا تريد أن تكون سعيداً؟"

سأل: "ماذا تعنين، بعدي؟" ثم قال: "أنا سعيد الآن".

"لا، لست كذلك. ما تزال غاضباً".

"ممن؟"

قالت: "من نفسك". كان جود يبدو لها شيئاً شديد الوضوح. "كما لو أن موت جيروم وديزي غلطتك. كما لو أن أحداً كان يستطيع إنقاذهما من نفسيهما. ما تزال غاضباً من والدك، أيضاً. لما فعله بوالدتك. لما فعله بيدك".

حطمت هذه العبارة الأخيرة أنفاسه. "ما الذي تتكلمين عنه؟ كيف عرفت ما فعله بيدي؟"

رفعت بصرها نحوه؛ نظرة لاهية ماكرة. "أحدق بها الآن، أليس كذلك؟ قلبت

يده، وحرّكت إبهامها على مفاصله المليئة بالندوب. "لا ينبغي أن أكون عالمة نفسية أو شيئاً من هذا القبيل لأعرف. يكفي أن تكون أصابعي حساسة، إنني أشعر بمكان شفاء العظام، ما الذي ضربه على هذه اليد حتى حطمها هكذا؟ مطرقة ثقيلة؟ يبدو أنك لم تتعاف تماماً".

لقد أغلق عليها باب القبو. لقد أخذت مئة دولار من صندوق مال العائلة في عطلة نهاية الأسبوع لأستقل الحافلة إلى نيو أورليانز حيث كنت سأعزف. كان هناك مسابقة بين الفرق، كنت وقتها في الخامسة عشرة من العمر، تصوّرت أنها لن تكون سرقة، لأننا سنفوز بالمسابقة. جائزة بخمسمئة دولار. كنت سأعيد المبلغ بأكمله مع العائدة'.

'كيف أبليت؟'

قال جود: 'حللت بالمرتبة الثالثة، حصلنا جميعنا على قمصان. عندما عدت، سحبني إلى باب القبو، وحطّم يدي اليسرى عليه. يدي التي تمسك الأوتار'.

توقفت عن الكلام، تقطّب حاجبيها، ثم نظرت إليه بارتباك. "اعتقدت أنك تمسك الأوتار باليد الأخرى".

"الآن أفعل ذلك'.

حدّقت.

'علّمت نفسي نوعاً ما كيفية التعامل معها باليد اليمنى عندما كانت اليسرى تتعافى، ولم أعد لاستعمالها بعد ذلك'.

'هل كان ذلك مؤلماً؟'

'حسناً. لم أكن واثقاً أن يسراي ستكون بخير للإمساك بالأوتار مجدداً، لهذا كان الأمر إما ذلك أو التوقف عن العزف. وكان التوقف أصعب بكثير'.

'أين كانت والدتك عندما حدث ذلك؟'

'لا أتذكر'. *كان يكذب. لم يكن يستطيع نسيان الحقيقة. كانت والدته تجلس إلى الطاولة عندما بدأ والده بسحبه عبر المطبخ، نحو باب القبو، وصرخ طالباً منها المساعدة، لكنها نهضت فقط، ووضعت يديها فوق أذنيها، وذهبت إلى غرفة الخياطة. لم يكن يستطيع، في الحقيقة، إلقاء اللوم عليها لرفضها التدخل. افترض أنه سيلقى ذلك العقاب، حتى دون أن يأخذ مئة دولار من صندوق المال.* 'حسناً،

أصبحت أعزف الغيتار بشكل أفضل بعد أن بدّلت وضعية اليدين. استغرقني الأمر نحو الشهر حتى أستطيع عزف أكثر الأصوات التي سبق وسمعتها نشازاً من قبل. شرح لي أحدهم أخيراً أن عليّ إسناد غيتاري إلى الخلف إذا كنت سأعزف بيدي الأخرى. بعد ذلك أصبحت أعزف بسهولة".

"إضافة إلى ذلك، أظهرت مهارتك لوالدك، أليس كذلك؟"

لم يجب. تفحصت راحة كفه مرة أخرى، ومرّرت إبهامها على معصمه. "لم يلتق بك والدك منذ ذلك الحين، ستراه مجدداً".

"لا، لن أفعل. لم أره منذ ثلاثين سنة. لم يعد له وجود في حياتي منذ ذلك الحين".

"إنه موجود بالتأكيد. إنه في حياتك كل ليلة".

"مضحك، كنت أعتقد أننا قررنا عدم زيارة الطبيب النفسي بعد ظهيرة هذا اليوم".

قالت: "لديك خمسة خطوط حظ. إنك أكثر حظاً من قطة يا جود كوين. بقي العالم يدفع مقابل ما فعله والدك لك طويلاً. خمسة خطوط حظ. لن يدفع لك العالم أي شيء مجدداً". وضعت يده جانباً. "لحيتك وسترتك الجلدية الكبيرة وسيارتك السوداء الكبيرة وحذاؤك الأسود الكبير. لا يضع أحد كل تلك الدروع ما لم يتعرض للأذى من قبل شخص لم يكن لديه الحق بأذيته".

قال: "انظروا من يتكلم. هل هناك جزء منك ليس فيه ثقب؟" كانت الثقوب في أذنيها، لسانها، حلمه صدرها، وشفتها. "من الذي تحاولين إخافته؟"

قرأت لنا كفه آخر مرة قبل عدة أسابيع فقط من قيام جود بحرم أمتعتها. نظر عبر نافذة المطبخ في بداية أمسية أحد الأيام ورآها تمشي تحت مطر تشرين الأول البارد إلى المخزن، ترتدي حمالة ثدي سوداء وسروالاً داخلياً أسود فقط، وجسدها الشاحب العاري يرتعش من البرد.

في الوقت الذي وصل فيه إليها، كانت قد زحفت إلى حظيرة الكلبين، وكان جزء منها داخل المخزن، حيث دخل أنغوس وبون اتقاء من المطر. جلست في بقعة طينية مليئة بالأوساخ على مؤخرتها. كان الكلبان يتحركان هنا وهناك، ويطلقان نظرات قلق نحوها ويفسحان لها مكاناً.

صعد جود إلى الحظيرة على يديه وقدميه، غاضباً منها، قلقاً للغاية من حالتها في الشهرين الماضيين. كان متعباً من التحدث معها والشعور بتلبد الأحاسيس، وإجابات الثلاث كلمات، متعباً من الضحك والبكاء دون سبب. لم يعودا يتبادلان الحب. صدمته الفكرة. لم تكن تستحم، لم تكن ترتدي ملابسها، ولم تكن تنظف أسنانها. كان شعرها الأشقر بلون العسل مثل جحر الفأر. في المرات القليلة الأخيرة التي حاولا فيها إقامة علاقة، كانت تصده بالحديث عن الأشياء التي تريدها، مما كان يجرحه ويتعبه. لم يكن يمانع مقداراً معيناً من الالتواء، وكان سيقيدها إذا أرادت، ويعض صدرها. لكنها لم تكن سعيدة بذلك. كان تريد منه وضع كيس أسود على رأسها. أن يخنقها.

كانت تنحني للأمام، مع إبرة في إحدى يديها. كانت تدفعها في إبهام اليد الأخرى، عن سابق عمد وتصميم. وخزت نفسها مرة، ثم أخرى، ونزفت قطرات كبيرة لامعة من الدماء.

سألها: "ما الذي تفعلينه؟" محاولاً أن لا يبدو صوته غاضباً وساخطاً. أمسكها من معصمها، لإيقافها عن وخز نفسها.

تركت الإبرة تسقط في الدماء، ثم أفلتت من قبضته، وضغطت على يده بيديها وحدقت به. كانت عيناها تلمعان بانفعال في محجريهما الغائرين. كانت لا تنام أكثر من ثلاث ساعات في الليلة.

"الوقت ينفد منك مثلي تماماً. سأكون أكثر فائدة عندما أرحل. أنا راحلة. ليس لدينا مستقبل، سيحاول شخص ما إلحاق الأذى بك. شخص يريد أخذ كل شيء منك". رفعت عينيها لتنظر إلى وجهه. "شخص لا تستطيع مقاومته. ستقاتل بأي حال، لكنك لا تستطيع الفوز. لن تفوز. ستختفي كل الأشياء الجيدة في حياتك قريباً".

نبح أنغوس بشكل مثير للقلق، وانسل بينهما. ودس خطمه بين ساقيها. ابتسمت - أول ابتسامة يراها منذ شهر - وداعبته خلف أذنيه.

قالت: "حسناً. سيكون الكلبان معك دائماً".

أفلت يده من قبضتها، واحتضنها بذراعيه، ورفعها لتقف على قدميها. "لن أصغي إلى أي شيء تقولينه. لقد قرأت طالعي ثلاث مرات على الأقل، وكان مختلفاً في كل مرة".

قالت: "أعرف. لكن كلها صحيحة بأي حال".

"لماذا تخزّين نفسك بإبرة؟ لماذا ترغبين بالقيام بذلك؟"

"أفعل ذلك منذ كنت فتاة صغيرة. أحياناً إذا وخزتُ نفسي عدّة مرات، أستطيع إبعاد الأفكار السوداء عني. إنها خدعة أقوم بها لأصفي ذهني. كأن يقرص المرء نفسه ليتأكد أنه لا يحلم. كما تعرف. للألم طريقة تجعلك تستيقظ، وتذكّرك بمن تكون".

جود يعرف ذلك.

أضافت، بعد تفكير عميق: "أعتقد أن الأمر لم يعد يجدي نفعاً". قادها إلى خارج الحظيرة، وعبر المخزن. تكلمت مجدداً، قائلة: "لا أعرف لماذا خرجت إلى هنا. بملابسي الداخلية".

"أنا أيضاً لا أعرف".

"هل سبق وواعدت أحداً بمثل جنوني يا جود؟ هل تكرهني؟ لقد عرفت الكثير من الفتيات. كن صادقاً، هل أنا الأسوأ؟ من كانت الأسوأ؟"

"لماذا ينبغي عليك طرح الكثير من الأسئلة السخيفة؟" *أراد أن يعرف.*

عندما خرجا تحت المطر، فتح سترته السوداء وغطى بها جسدها النحيل المرتعش، وضمها إليه.

قالت: "أحب طرح الأسئلة، أكثر من الإجابة عنها".

23

أفاق بعد التاسعة بقليل مع لحن يدور في رأسه، وكان شيئاً يشبه ترانيم الأبالاش. دفع بون خارج السرير – كانت قد صعدت إليه معهما في الليل – ودفع الغطاء جانباً. جلس جود على حافة السرير، يفكّر باللحن الذي يجول في خاطره محدداً، ويحاول تحديده، وتذكّر القصيدة الغنائية. لا يمكنه تحديد اللحن، كما أنه لا يمكنه تذكر القصيدة، لأنها ليست موجودة حتى ينظمها. لن يكون لها اسم حتى يمنحها إياه.

نهض جود، وانسل عبر الغرفة إلى الخارج، نحو البناء الإسمنتي، وكان ما يزال بسرواله الداخلي. فتح صندوق الموستانغ وسحب منه حقيبة عتيقة فيها غيتار من نوع لي بول 68، وحملها عائداً إلى الغرفة.

لم تتحرك جورجيا، كانت نائمة ووجهها نحو الوسادة، وكانت الملاءة متجمعة على جسدها الناصع البياض، لقد مرّت سنوات منذ واعد فتاة سمراء. وعندما تكون إحدى فتيات غوث، يكون مهماً أن تدل ضمناً على احتمال أنها تعرضت لأشعة الشمس المباشرة على الأقل.

دخل المرحاض. كان كل من أنغوس وبون يلاحقانه بحلول ذلك الوقت، وهمس لهما بالثبات مكانهما. استلقيا على بطنيهما خارج الباب، يحدقان به بيأس، كما لو أن أعينهما تتهمه بالفشل في حبهما بما يكفي.

لم يكن واثقاً إن كان يستطيع العزف جيداً بسبب الجرح في يده اليسرى. كانت اليسرى تقوم بالضرب على الأوتار التي يمسك بها باليمنى. رفع لي بول من حقيبته وبدأ يضبط أوتاره، ويعزف عليه. عندما نقر على الأوتار، شعر بشرارة ألم – لم تكن سيئة، ولكنها كانت مثل سريان حرارة مزعجة – في وسط راحة يده.

شعر بأن سيخاً فولاذياً غاص عميقاً في اللحم وبدأت حرارته ترتفع. كان يستطيع العزف رغم ذلك، كما كان يعتقد.

عندما ضبط الغيتار، التمس الأوتار الصحيحة وبدأ العزف، عرف النغم الذي كان يحوم في رأسه عندما أفاق. كان صوت الغيتار منخفضاً دون كهرباء، وينتج عن كل وتر صوت خشن رنّان. ربما كانت الأغنية نفسها قصيدة ريفية تقليدية، وبدت مثل شيء ينتمي إلى التسجيلات الشعبية أو مكتبة الكونغرس التي تحتفظ بالموسيقى التقليدية.

قال: "الشرب حتى الثمالة".

وضع الغيتار جانباً، وعاد إلى غرفة النوم. كان هناك دفتر ملاحظات صغير على طاولة جانبية، وقلم حبر جاف. أحضره إلى الحمّام، وكتب "الشرب حتى الموت". أصبح لها عنوان الآن. رفع الغيتار، وعزفها مجدداً.

منحه الصوت – صوت أوزارك – مسحة من السعادة، والتي سرت عبر ساعديه وصولاً إلى مؤخرة عنقه. تبدو الكثير من أغانيه، عند انطلاقتها، مثل موسيقى قديمة. تصل إلى عتبة بابه، مثل يتامى هائمين، وأطفال عائلات موسيقية كبيرة حليلة صائعين. تأتي إليه بهيئة أغانٍ "تن بان ألي" الجماعية، أغاني الحانات، شكاوى "دست باول"، موسيقى جاز "تشك بيري". كان جود يكسوها بالأسود ويعلّمها الصراخ.

تمنّى لو أن لديه مسجلته الذات DAT، وأراد أن يسجل ما لديه على شريط. عوضاً عن ذلك، وضع الغيتار جانباً مرة أخرى، وكتب النغمات على دفتر الملاحظات بسرعة، تحت عنوانها. ثم تناول لي بول 68 وعزف المقطوعة مرة ثانية، وثالثة، متلهفاً لرؤية إلى أين ستقوده. بعد عشرين دقيقة، كانت هناك بقع دماء طاهرة على الضمادة حول يده اليسرى، وكان قد انتهى من وضع لازمة الأغنية، التي جاءت أصلاً من الترنيمة الأولية؛ لازمة مستقرة، ثائرة ومدوّنة، وهمسة للصراخ: عمل عنيف ضد جمال وعذوبة القصيدة التي ظهرت قبلاً.

سألت جورجيا: "من هناك؟" منحنية عبر باب الحمام، تفرك عينيها بيديها.

"أنا".

"أحببت ذلك".

"إنها جيدة. ستبدو أفضل حتى عند وصل هذا الشيء بالكهرباء".

انتشر شعرها الأسود الناعم حول وجهها، وبدا خفيفاً وملتفاً مثل الدوامة، وأثارت الظلال تحت عينيها انتباهه إلى حجمهما الكبير. ابتسمت له والنعاس باد على وجهها، فابتسم لها.

قالت بنبرة رقيقة مثيرة لا يمكن مقاومتها تقريباً: "جود".

"نعم؟

"هل تعتقد أنك تستطيع الخروج من الحمام، حتى أستطيع قضاء حاجتي؟"

عندما أغلقت الباب، وضع حقيبة غيتاره على السرير، ووقف في الجزء المعتم من الغرفة، يصغي إلى صوت العالم الواهن خلف الظلال: أزيز حركة السير على الطرقات العامة، إغلاق باب سيارة، طنين مكنسة كهربائية في الغرفة التي فوقه مباشرة. خطر له عندها أن الشبح رحل.

منذ وصلت البذلة في علبتها السوداء على شكل قلب، شعر بأن الرجل الميت يجول بالقرب منه. حتى عندما لم يكن جود يستطيع رؤيته، كان يشعر بوجوده، ويحس بأنه يشكل ثقلاً في الجو، نوعاً من الضغط والكهرباء في الهواء، مثل الحالة التي تسبق العاصفة الرعدية. عاش في جو الترقب المروّع ذاك منذ أيام، وفي حالة مستمرة من التوتر جعلت من الصعب عليه تناول الطعام أو تذوق طعم النوم. كانت تلك الحالة، آنذاك، قد انتهت. وكان قد نسي، نوعاً ما، الشبح عندما كان يكتب الأغنية الجديدة؛ كذلك يبدو أن الشبح نسيه نوعاً ما، أو على الأقل لم يكن يستطيع التطفل على أفكار جود، أو محيط جود.

أخرج أنغوس للنـــزهة، وأخذ وقته. كان جود يرتدي قميصاً بكمين قصيرين وجينـــزاً، وكان الشعور بأشعة الشمس تلفح مؤخرة عنقه جيداً. أثارت رائحة الصباح – عمامة عوادم السيارات تتجاوز سنة 95، روائق المستنقعات بين الشجيرات، الإسفلت الحار – حماسه، وجعلته يرغب بالخروج إلى الطريق، لينتقل إلى مكان ما، أي مكان. كان شعوره رائعاً: شعور غير مألوف. ربما كان شبقاً، يفكّر في شعر جورجيا الأشعث الجميل وعينيها الذابلتين وساقيها البيضاوين الرشيقتين. كان جائعاً، ويرغب بتناول البيض، وشرائح الدجاج المقلية. طارد أنغوس عريزر إلى منطقة معشوشبة، ثم توقف عند حافة الأشجار، ينبح عليه بسعادة. عاد جود، وسمع صوت مياه الحمام.

دخل إلى الحمام. كانت الغرفة تعبق بالبخار، والهواء ساخن وكثيف. خلع ملابسه، وانسل وراء الستارة، وصعد حوض الاستحمام.

قفزت جورجيا عندما لمست أصابعه ظهرها، وأدارت رأسها لتنظر إليه من فوق كتفها. كان لديها وشم فراشة على كتفها الأيسر وقلب أسود على وركها. استدارت نحوه، ووضع يده فوق القلب.

ألصقت جسدها الرطب المبلل بجسده، وتبادلا القبلات. انحنى نحوها، فوقها، ولتوازن نفسها، وضعت جورجيا يدها اليمنى على الجدار، ثم أطلقت صرخة ألم حادة، وسحبت يدها اليمنى كما لو أنها أحرقتها.

حاولت جورجيا وضع يدها إلى جانبها، لكنه أمسك معصمها ورفعه. كان الإبهام متورماً وأحمر، وعندما لمسه برفق، استطاع أن يشعر بالحرارة تنعر داخله. كانت راحة اليد، حول الإبهام، حمراء ومتورمة أيضاً. كان التقرح الأبيض داخل الإبهام، يلمع من القيح الموجود فيه.

سألها: "ما الذي ستفعله بخصوص هذا الشيء؟"

"إنه بخير. أضع عليه دواءً مطهراً".

"إنه ليس بخير. ينبغي أن تذهبي إلى المستشفى".

"لن أجلس في غرفة الطوارئ ثلاث ساعات حتى يأتي شخص وينظر إلى المكان الذي وخزت فيه نفسي بدبوس".

"لا تعرفين ما وخزك. لا تنسي ما كنت تفعلينه عندما حدث لك ذلك".

"لم أنس. لا أعتقد فقط أن أي طبيب يستطيع علاجه. ليس تماماً".

"هل تعتقدين أنه سيتحسن من تلقاء نفسه؟"

قالت: "أعتقد أنه سيكون بخير؛ إذا دفعنا الرجل الميت للرحيل. إذا جعلناه يبتعد عنا، أعتقد أن *كلانا* سيكون بخير. مهما كان الذي أصاب يدي، لا بد أنه جزء من الأمر برمّته. إنك تعرف ذلك، أليس كذلك؟"

لم يكن يعرف شيئاً، لكن لديه أفكاراً، ولم يكن سعيداً لسماع أن لديها الأفكار نفسها. خفض رأسه، يفكّر، ومسح الرذاذ عن وجهه. أخيراً قال: "عندما كانت آنا تمر بأسوأ حالاتها، كانت تخزُ إبهامها بإبرة. لجعل ذهنها يصفى، كما أخبرتني. لا أعرف. ربما لا يعني ذلك شيئاً. هذا يجعلني غير مرتاح وحسب، أن تخزي نفسك كما اعتادت أن تخزَ نفسها".

"حسنا. هذا لا يقلقني. في الحقيقة، أشعر بحال أفضل تجاه الأمر". تحركت يدها السليمة على صدره فيما كانت تتكلم، واستكشفت أصابعها حدود العضلات التي بدأت تفقد ملامحها والجلد الذي بدأ يتجعد نتيجة التقدم بالعمر، وكل ذلك مكسو بطبقة من الشعر الفضي الأجعد.

"فعلا؟"

"بالتأكيد. إنه شيء آخر نشترك به سوية. إضافة لك. لم ألتق بها من قبل أبداً، ولا أعرف شيئا عنها، لكنني أشعر بالارتباط بها بشكل ما. لست خائفة من ذلك".

"أنا سعيد لأن ذلك لا يزعجك. أتمنى أن أستطيع قول الشيء نفسه. بالحديث عن نفسي، لا أحب التفكير بالأمر كثيراً".

قالت، وقد انحنت نحوه ودفعت بلسانها داخل فمه لإسكاته: "إذاً لا تفعل".

24

اصطحب جود بون لنـــزهتها التي تأجلت فيما كانت جورجيا تشغل نفسها في الحمام، ترتدي ملابسها، وتعيد تضميد يدها. كان يعرف أنها ستكون مشغولة ربما لعشرين دقيقة، لهذا توقف إلى جانب السيارة، وسحب حاسوبها المحمول من الصندوق. لم تكن جورجيا تعرف حتى أنه معهما. كان قد وضعه في السيارة عندما غادرا مع الكلبين دون أن يفكر في الأمر، لأن جورجيا تأخذه معها أينما ذهبت، وتستخدمه للاتصال مع مجموعة من الأصدقاء المنتشرين في أصقاع الأرض باستخدام البريد الإلكتروني والرسائل الفورية. كانت تقضي ساعات طويلة في تصفّح الرسائل، ومواقع الدردشة، والمعلومات حول الحفلات، وحلاعة مصاصي الدماء (والتي تكون صاخبة إذا لم تكن كئيبة جداً). لكن حالما أصبحا على الطريق، نسي جود أن الحاسوب المحمول معهما، ولم تسأل جورجيا عنه أبداً، لهذا أمضى الليل في صندوق السيارة.

لم يأت جود بحاسوبه الخاص، فهو لم يكن يملك واحداً. كان داني يتعامل مع بريده الإلكتروني وكل الالتزامات الأخرى عبر الإنترنت. كان جود قلقاً من أنه ينتمي إلى مجموعة من المجتمع يتضاءل عددها باستمرار، وهم أولئك الذين لا يسبرون تماماً أغوار العصر الرقمي. لم يكن جود يحب القيود. لقد أمضى أربع سنوات مقيداً بحاجته للممنوعات، وكانت فترة من الوقت بدا فيها كل شيء متسارعاً، كما هو الحال في أحد تلك الأفلام التي تختصر الزمن، حيث يمر يوم وليلة كاملان في بضع ثوان فقط، وتُختصر حركة السير في شريط متوهج من الأضواء، ويتحول الناس إلى أقزام متوهبين يندفعون بشكل متقطع هنا وهناك. تبدو تلك السنوات الأربعة الآن بالنسبة له مثل أربعة أيام سيئة، مجنونة لم يذق فيها طعم النوم أيام بدأت مع آثار شراب ليلة رأس السنة، وانتهت في حفلات الكرسمس

المزدحمة المليئة بالدخان حيث وجد نفسه محاطاً بغرباء يحاولون لمسه ويقهقهون بضحكات همجية. لم يكن يحب أن يجد نفسه مقيدا مجددا.

حاول شرح ما يشعر به إلى داني مرة، حول السلوك الاضطراري والوقت الذي يمضي سريعاً والإنترنت والممنوعات، رفع داني أحد حاجبيه الرفيعين المتحركين فقط، وحدّق به بارتباك متكلف. لم يكن داني يعتقد أن الحواسب والممنوعات يشبهان بعضهما البعض. لكن جود شاهد الطريقة التي يتسمّر بها الناس أمام شاشات الحاسوب، ويضغطون على زر التنشيط مراراً وتكراراً، ينتظرون بعض المعلومات الحاسمة حتى إذا كانت دون معنى، واعتقد أنه الأمر نفسه تقريبا.

بالرغم من كل ما تقدم كان في مزاج جيد لتشغيل الحاسوب. حمل حاسوبها المحمول عائدا إلى الغرفة، شغّله، وولج الإنترنت. لم يقم بأي محاولة لتفقد بريده الإلكتروني. في الحقيقة، لم يكن واثقا من طريقة تفقد بريده الإلكتروني. كان داني قد وضع برنامجاً لتفقد رسائل جود من الشبكة، لكن جود لم يكن يعرف كيف يحصل على تلك المعلومات من حاسوب شخص آخر. كان يعرف كيف يبحث عن اسم على موقع غوغل، بكل الأحوال، وفتّش عن آنا.

كان نعيها قصيرا، بنصف طول نعي زوج والدتها. كان جود قادراً على قراءته في لمحة، وهو كل ما كان يستحقه. أثارت صورتها انتباهه، وجعلته يشعر بوخز في تجويف معدته. خمّن أنها التقطت قبل وفاتها بقليل. كانت تحدّق ببلاهة بآلة التصوير، وتظهر بعض خصلات شعرها الشاحب على وجه أضحى هزيلاً، وغار خدّاها تحت عظام وجنتيها.

عندما عرفها، كانت تضع أقراطا في حاجبيها، وأربع قطع في أذنيها، لكنها اختفت في الصورة، مما جعل وجهها يبدو شديد الشحوب. عندما نظر عن كثب، كان يستطيع رؤية العلامات التي تركتها تلك الثقوب. كانت قد تخلت عن ذلك، عن الأطواق الفضية، والأحجار الكريمة اللامعة التي ألصقتها بجلدها لتجعل نفسها تبدو قذرة، وقاسية، وخطيرة، ومجنونة، وجميلة. لقد كانت بعض تلك الصفات حقيقية، لقد كانت مجنونة وجميلة فعلاً كما أنها كانت خطيرة؛ أي أنها تشكل خطرا على نفسها.

لم يأت النعي على ذكر أي شيء يتعلق برسالة انتحار. لم يذكر شيئاً حول الانتحار. لقد توفيت قبل ثلاثة أشهر فقط من وفاة زوج والدتها.

أحرى بحثا آخر. كتب "كرادوك مكديرموت، استنباء"، فظهرت نصف درينة من المواقع. ضغط على الموقع الأعلى، الذي قدم له مقالاً عمره تسع سنوات في صحيفة تامبا-تريبيون، من الصفحة المخصصة للفنون. نظر جود إلى الصور أولا - كانت هناك اثنتان - وتجمد في كرسيه. مضت فترة قبل أن يشيح بنظره عن تلك الصورتين وينقل اهتمامه إلى النص بجانبهما.

كانت القصة بعنوان "البحث عن الأموات". يقول السطر الرئيسي: *20 سنة بعد فييتنام، النقيب كرادوك مكديرموت مستعد لجعل بعض الأشباح ترتاح... وبعث بعضها الآخر.*

يفتتح المقال بقصة روي هيز، أستاذ علم الأحياء المتقاعد، الذي تعلم في عمر التاسعة والستين قيادة الطائرات الخفيفة، والذي طار، في صبيحة أحد أيام الخريف سنة 1991، فوق إيفيرغليدز لإحصاء أعداد طائر البلشون الأبيض لصالح مجموعة تعنى بالبيئة. في الساعة 7:13 صباحاً، تلقى مهبط خاص جنوب نابولي إشارة منه.

> **قال هيز: 'أعتقد أنني أصبت بجلطة. لا أعرف مدى سوء حالتي. أحتاج للمساعدة.**

كانت تلك آخر مرة سمعه أحدهم فيها. لم يستطع فريق بحث، يضم أكثر من ثلاثين قارباً ومئة رحل، إيجاد أثر سواء لـــهيز أو طائرته. وبعد ثلاث سنوات على اختفائه وموته المفترض، اتخذت عائلته خطوة استثنائية بتوظيف كرادوك مكديرموت، النقيب المتقاعد من الجيش الأميركي، لإجراء بحث جديد عن بقاياه.

> **صرّح مكديرموت بابتسامة واثقة: 'لم يهبط في غليدز. كانت فرق الإنقاذ تبحث دائماً في المكان الخطأ. حملت رياح ذلك الصباح طائرته إلى مكان أبعد شمالاً، فوق بيغ سيبرس. أقدّر أن موقعه على بعد أقل من نصف ميل عن آي - 75'.**
>
> **كان مكديرموت يعتقد أنه يستطيع تحديد موقع الحطام بمنطقة لا يزيد قطرها عن نصف ميل. لكنه لم يتوصل إلى تقديره باستخدام معطيات الأرصاد الجوية في صبيحة يوم الاختفاء، أو بفحص إشارات د. هيز اللاسلكية الأخيرة، أو بقراءة تقارير شهود العيان. عوضاً عن ذلك، قام بهز قلادة فضية فوق خريطة كبيرة للمنطقة. وعندما بدأت القلادة**

بالتأرجح ذهاباً وإياباً، فوق بقعة جنوب بيغ سيرس، أعلن مكديرموت أنه وجد منطقة الحطام.

وعندما اصطحب فريق بحث خاص إلى مستنقع بيغ سيرس في وقت لاحق من ذلك الأسبوع، للتفتيش عن الطائرة الخفيفة، لم يأخذ معه مسبارا صوتياً، أو أجهزة للكشف عن المعادن، أو كلاباً مدربة. كانت خطته لتحديد موقع الأستاذ المختفي أكثر بساطة؛ وغير مثيرة للأعصاب. كان يهدف إلى التماس روي هيز مباشرة؛ أي الطلب من الدكتور الفقيد نفسه قيادة فريق البحث إلى مكان رقوده النهائي.

تحول المقال إلى قصة قديمة، تشرح تعامل كرادوك المبكر مع التنجيم. تمضي سطور قليلة في شرح تفاصيل حياة عائلته المبكرة. وتمر مرور الكرام على دكر والده، الكاهن الذي كان يميل إلى التعامل مع الأفاعي، والذي اختفى عندما كان كرادوك لا يزال صغيراً. ويتضمن المقال فقرة عن والدته، التي نقلتهم مرتين عبر البلاد، بعد رؤيتها لشبح وصفته بأنه: "الرجل الذي يمشي إلى الخلف". وهي رؤية تنبئ بسوء الطالع. بعد إحدى تلك الريارات التي قام بها الرحل الذي يمشي إلى الحلف، غادر كرادوك الصغير وأمه المبنى السكني في أطلانطا، قبل ثلاثة أسابيع فقط من احتراق المبنى بالكامل نتيحة احتكاك بالأسلاك الكهربائية.

ثم جاءت سنة 1967، وكان مكديرموت صابطا في فييتنام، حيث كان مكلفاً باستجواب نخبة المقبوض عليهم من جيش التحرير الشعبي. وحد نفسه مسؤولاً عن قضية نجوين تروبغ، قارئ الكف، الذي تعلم فنون قراءة الطالع على يد شقيق **هو شي من** والذي قدّم خدماته لمجموعة من مسؤولي الفايتكونغ الكبار. وفي سبيل جعل أسيره يشعر بالراحة، طلب مكديرموت من ترونغ مساعدته على فهم معتقداته الروحية. وما تلا ذلك كان سلسلة من الأحاديث غير الاعتيادية تناولت مواضيع التوقع بالمستقبل، الروح البشرية، والموت، ومناقشات قال مكديرموت إنها فتحت عينيه على القوى الحارقة للطبيعة من حوله.

يؤكد مكديرموت: "الأشباح مشغولة في فييتنام. علّمني نجوين ترونغ رؤيتها. حالما تعرف كيف تبحث عنها، تستطيع رؤيتها عند كل زاوية شارع، عيونها تلمع وأقدامها لا تطأ الأرض. الأحياء غالباً ما يوظفون الموتى هناك. الروح التي تؤمن بأن لها دوراً تؤديه لا تغادر الأرض.

سنبقى حتى إنجاز ذلك الدور".

بدأت عندها أعتقد لأول مرة أننا سنخسر الحرب. رأيت ذلك يحدث في ساحة المعركة. عندما يموت جنودنا، كانت أرواحهم تخرج من أفواههم، مثل بخار من إبريق الشاي، وتصعد نحو السماء. عندما يموت الفايتكونغ، كانت أرواحهم تبقى. ويتابع موتاهم القتال مباشرة.

بعد انتهاء جلسات الاستجواب تلك، فقد مكديرموت أثر ترونغ، الذي اختفى تماماً. وفي ما يخص الأستاذ هيز، كان مكديرموت يعتقد أن مصيره النهائي سينكشف قريباً جداً.

قال مكديرموت: "سنجده. روحه هائمة في الوقت الراهن، لكنني سأكلفها بعمل ما. سنخرج في جولة معاً؛ أنا وهيز. وسيقودني إلى جثته مباشرة".

عند هذه العبارة الأخيرة - *سنخرج في جولة معاً* - شعر جود بقشعريرة تسري عبر ذراعيه. لكن ذلك لم يكن بالغ السوء مثل الشعور الغريب بالموت الذي انتابه عندما نظر إلى الصور.

كانت الأولى صورة لمكديرموت ينحني على مصد شاحنته الزرقاء الباهتة. جلست ابنتا روجته عاريتي الأقدام - آنا ربما كانت في الثانية عشرة، وجيسيكا في الخامسة عشرة - في الصندوق، كل منهما إلى أحد جانبيه. كانت تلك المرة الأولى على الإطلاق التي يرى فيها جود شقيقة آنا الكبرى، لكنها ليست المرة الأولى التي يشاهد فيها آنا عندما كانت طفلة؛ فلقد كانت الشخص نفسه تماما الذي رآه في حلمه، وفقط دون وشاح على عينيها.

في الصورة، تضع جيسيكا ذراعيها حول عنق زوج والدتها المبتسم الحشن. كانت ممشوقة القوام مثله تماما، طويلة ورشيقة، وجلدها أصفر مثل العسل وموفورة الصحة. لكن كان هناك شيء ما في ابتسامتها؛ أسنان بارزة وابتسامة عريضة، وربما تكون عريضة للغاية؛ متحمسة للغاية، وتشبه تكشيرة بيع-بيع-بيع لمندوب مبيعات عقارات بارع. كان هناك شيء ظاهر في عينيها، أيضاً، واللتين كانتا لامعتين وشديدتي السواد مثل حبر سائل، وشرهتين بارتباك.

جلست آنا بعيدة قليلاً عن الاثنين. كانت بارزة العظام، عند مرفقيها وركبتيها، ويصل شعرها إلى خصرها تقريبا؛ شعر منسدل طويل وذهبي اللون. كانت أيضا الوحيدة التي لا تبتسم لآلة التصوير. لم يكن هناك أي تعبير على وجهها من أي

نوع كان. كان وجهها في حالة ذهول وخاليا من التعابير، وعيناها حائرتين، مثل عيني من يمشي نائما. عرف جود أنه التعبير الذي يظهر على وجهها عندما تكون متوحدة، وتعيش عالمها الخاص المقلوب رأسا على عقب. أصيب بصدمة من الفكرة المزعجة أنها كانت تجول في ذلك العالم معظم طفولتها. أسوأ ما في الأمر- بالرغم من كل ما سبق - كان صورة ثانية أصغر، للنقيب كرادوك مكديرموت، المرهق وقد وضع قبعة صيد مبللة بالعرق، وتتدلى بندقية أم - 16 من كتفه. كان يقف مع جنود آخرين على طين أصفر. ويظهر خلفه أشجار نخيل وشلال مياه؛ وربما تكون اللقطة من إيفرغليدز، إن لم تكن لكل الجنود وأسيرهم الفييتنامي 164!

وقف الأسير خلف كرادوك قليلا، وكان رجلا قوي البنية يرتدي رداء أسود، حليق الرأس، عريض المنكبين، جميل المحيا، هادئ العينين مثل راهب. عرف جود منذ النظرة الأولى أنه الأسير الفييتنامي الذي شاهده في حلمه. كانت الأصابع المفقودة من يد تروبغ اليمنى هدية المتوفى. في الصورة غير الواضحة، والباهتة الألوان، كانت جذور تلك الأصابع مقطّبة حديثا بخيط أسود.

لم تفصح المقالة فيما إذا وجد مكديرموت روي هيز، الأستاذ المتقاعد وطائرته الخفيفة، لكن جود يعتقد أنه وجدهما، رغم عدم وجود سبب منطقي للتفكير بشيء من هذا القبيل. قام جود بإجراء بحث آخر لإرضاء نفسه. تم دفن بقايا روي هير لترقد براحة بعد خمسة أسابيع، ولم يكن كرادوك من وجده في الحقيقة؛ ليس شخصياً. كانت المياه عميقة جداً، فذهب فريق غوص تابع لشرطة الولاية إلى هناك وانتشله من المياه، في المكان الذي أرشدهم إليه كرادوك.

فتحت جورجيا باب الحمام، وخرج جود من موقع الإنترنت.

سألت: "ما الذي تفعله؟"

كذب: "أحاول استكشاف كيفية تفقد بريدي الإلكتروني. هل تريدين دوراً؟"

نظرت إلى حاسوبها للحظة، ثم هزّت رأسها وحكت أنفها. "لا. ليس لدى أدنى اهتمام بتصفح الإنترنت الآن. أليس ذلك مضحكا؟ عادة لا تستطيع إبعادي عنه".

"حسنا، هل ترين؟ النجاة بحياتك ليست شيئاً سيئاً. انظري فقط كيف تعيد بناء شخصيتك".

سحب درج الخزانة مجددا، ووضع فيه علبة ألبو أخرى.

قالت حورجيا: "كادت رائحة تلك القذارة تجعلني أرغب بسد أنفي الليلة الماضية. الغريب أنها تجعلني أشعر بالجوع هذا الصباح".

"هيا بنا. هناك مطعم في آخر الشارع. لنذهب في نزهة".

فتح الباب، ثم مدّ يده لها. كانت تجلس على حافة السرير، في جينــزها الأسود الداكن، وقميصها الأسود بدون كمين، والذي يتدلى فضفاضا على جذعها الرقيق وتنتعل حذاءها الأسود الثقيل. كان جلدها شاحباً ورقيقا جدا تحت أشعة الشمس الذهبية التي تدخل عبر الباب كما لو أنه شفاف، وكما لو أنه سيصاب بكدمة عند أدنى لمسة.

رآها حود تنظر إلى الكلبين. انحنى أنغوس وبون فوق الدرج، ورأساهما معاً فيما كان يتناولان طعامهما. شاهد جورجيا تعبس، وعرف أنها كانت تفكر، وعرف أنهما بأمان طالما بقي الكلبان قريبين منهما. لكنها عادت ونظرت إلى حود، الذي يقف في الضوء، وأخذت يده، وتركته يسحبها لتقف على قدميها. كان الجو صافياً، وكان الصباح ينتظرهما خلف الباب.

لم يكن حود يشعر بالخوف، فقد كان لا يزال يشعر بأنه تحت حماية الأغنية الجديدة، وشعر بأنه عند كتابتها قد رسم دائرة سحرية حولهما لا يستطيع الرحل الميت اختراقها. لقد أبعد الشبح؛ على الأقل مؤقتا.

لكن حالما عبرا موقف السيارات – يمسكان بأيدي بعضهما دون أن يلقيا بالا إلى أي شيء آخر، وهو شيء لم يفعلاه إطلاقاً من قبل – نظر صدفة إلى عرفتهما في الفندق. كان أنغوس وبون ينظران عبر النافذة إليهما، ويقفان جنباً إلى جنب على قوائمهما الخلفية، ومخالبهما الأمامية على الزجاج، وعلى وجهيهما نظرتا قلق متطابقتان.

25

كان المطعم صاخباً ومزدحماً، ورائحة دهن القديد والقهوة المحروقة ودخان لفائف التبغ تعبق فيه. كان المشرب، الواقع إلى يمين الأبواب مباشرة، منطقة مخصصة للتدخين. ذلك يعني أنه بعد خمس دقائق من الانتظار لإرشادك إلى مكانك، ستكون رائحتك مثل منفضة حين تجلس إلى طاولتك.

جود غير مدخن، ولم يدخن قط من قبل. كانت تلك عادة ضارة استطاع تجنبها. كان والده يدخن. وفي طريقه إلى البلدة، كان جود يجلب له بملء إرادته علباً رخيصة طويلة من لفائف التبغ، وكان يفعل ذلك دون أن يطلب منه، وكان جود ووالده يعرفان السبب. كان جود يحملق بمارتن عبر طاولة المطبخ، فيما كان والده يشعل لفافة ويسحب نفثته الأولى، فيما يتقد طرف اللفافة بلون برتقالي متوهج.

قال له مارتن في إحدى الليالي، دون أي مقدمة: "إذا كانت الحملقة تقتل، سأكون مصاباً بالسرطان". لوّح بيده، ورسم دائرة في الهواء بوساطة اللفافة، ونظر إلى جود عبر الدخان. "لدي بنية جسد قوية. وإذا أردت قتلي بهذه، إذا ينبغي عليك الانتظار لبعض الوقت. إذا أردتني ميتا فعلا، فهناك طرق أسهل للقيام بذلك".

لم تتفوه والدة جود ببنت شفة، وركّزت على تفريط البازيلاء، وارتسم على محياها تعبير المكب على دراسته. ربما كانت صماء بكماء.

كذلك فعل جود – جوستن عندها – وتابع الحملقة بوالده. لم يكن شديد الغضب ليتكلم، ولكنه كان مصدوما بشدة، لأنه يبدو أن والده قرأ أفكاره. كان يحملق بثنيات عنق مارتن كاوزنسكي الجلدية المترهلة بنوع من الغضب، ينتظر أن ينال السرطان منه، أو أن تفترس كومة من الخلايا المتكاثرة السوداء صوت والده، وتخنق أنفاسه. كان ينتظر ذلك بفارغ الصبر: سرطان يجعل الأطباء يستأصلون حنجرته، ويسكتونه للأبد.

كانت حنجرة الرجل الجالس إلى الطاولة المجاورة في المطعم مستأصلة، ويستخدم جهازاً الكترونياً ليتكلم- بصوت مثل جرس حاد يطقطق- يحمله تحت ذقنه ليقول للنادلة (وكل شخص آخر في الغرفة): "**هل لديكم مكيف هواء؟ حسنا، شغّليه. لا تزعجي نفسك بطهو الطعام. لماذا تريدون أن تكلوا زبائنكم؟ يا الله! أنا في السابعة والثمانين**". كانت تلك حقيقة يشعر بأنها فائقة الأهمية حتى أنه قالها مجدداً بعد أن ابتعدت النادلة، وكرّرها لزوجته، وهي امرأة بدينة جدا لم ترفع بصرها عن صحيفتها عندما كان يتكلم. "**عمري سبع وثمانون سنة. يا الله . تكلينا مثل البيض**". كان يبدو مثل الرجل العجوز في صورة، "غوث الأميركي"، بخصلات شعره الشائبة التي تتناثر فوق رأسه الأصلع.

قالت جورجيا: "أتساءل أي نوع من الثنائي سنكون عندما نصبح عجوزين".

"حسناً، سيكون شعري كثيفاً، وسيكون شعراً أبيض وحسب. ربما سينمو بكثافة في كل الأماكن الخاطئة؛ أذناي، وأنفي. وسيخرج شعر طويل مجنون من حاجبيّ؛ مثل سانتا. إن شعري منذ الآن ينمو بشكل كثيف وغريب".

وضعت يدها تحت صدرها. "سيجد الدهن في هذه المأكولات طريقه نشات إلى مؤخرتي. لدي أسنان منخورة، لهذا ربما ستسقط أسناني. ومن الناحية الإيجابية، سأكون قادرة على نزع أسناني الصناعية لأقوم بعمل سيدة عجوز لا أسنان لها".

لمس ذقنها، ورفع رأسها نحوه. أمعن النظر في وجنتيها وعينيها في محجريهما الواسعين العاتمين. العينان اللتان كانتا تنظران بمتعة لم تخف تماما رغبتها في الحصول على موافقته.

قال: "وجهك جميل. عيناك جميلتان. ستكونين بخير. كل ما يهم في السيدات العجائز هو العينان. تريدين أن تصبحي عجوزاً مع عينين متقدتين، بحيث يبدو أنك تفكرين دائما في شيء مسلٍ. كما لو أنك تبحثين عن المشاكل".

سحب يده بعيدا. حدّقت في قهوتها، وابتسمت، وخالجها حياء غير واضح المعالم.

قالت: "يبدو أنك تتكلم عن جدتي بامي. ستحبها. نستطيع الوصول إلى هناك بحلول وقت الغداء".

"بالتأكيد".

"تبدو جدتي أكثر العجائز وداً ولطفاً. ياه، لكنها تحب إزعاج الناس. كنت أعيش معها عندما كنت في الصف الثامن. كان يأتي إليّ صديقي **جيمي إليوت**؛ لنلعب سوية، كما كنت أقول لها، لكن في الواقع كنا نشرب الشراب الفرنسي خلسة. كانت بامي تترك قارورة نصف ممتلئة من الشراب الفرنسي الأحمر في ثلاجتها معظم الوقت، إنها القارورة التي تكون قد شربت منها في عشاء الليلة الماضية. كانت تعرف ما نقوم به، وذات يوم استبدلت الشراب بحبر أرجواني وتركته لنا. تركني **جيمي** أتناول الجرعة الأولى، ارتشفت ملء فمي وتجرعته، وأفرغته كله على نفسي. عندما عادت إلى المنــزل، كانت هناك دائرة أرجوانية كبيرة ما تزال مُعلمة على فمي، وبقع أرجوانية على كل فكي، وكان لساني أرجوانيا. بقيت تلك البقع طوال الأسبوع. توقعت أن تضربني بامي بعنف، لكنها وجدت الأمر مضحكا".

جاءت النادلة لتسألهما عمّا يرغبان بتناوله. وقالت جورجيا عندما ذهبت: 'كيف كان الزواج يا جود؟"

'هادئاً".

"لماذا طلّقتها؟"

"لم أُطلقها. هي طلقتني".

"هل ضبطتك في الفراش مع ولاية ألاسكا أو شيئاً من هذا القبيل؟"

"لا، لم أخنها. حسنا، ليس كثيراً. ولم تعتبر الأمر شخصيا".

"لم تفعل؟ هل أنت جاد؟ إذا كنا متزوجين، وقمت بذلك مرة واحدة، سأرمي عليك أول شيء تصل إليه يدي. كما أنني لن أنقلك إلى المستشفى. سأتركك تنــزف". توقفت عن الكلام، وانحنت فوق كوبها، ثم قالت: 'ماذا كان السبب؟"

"سيكون من الصعب شرح ذلك".

"هل أنا غبية للغاية؟"

قال: "لا. الأكثر احتمالاً أنني لست ذكيا كفاية لشرحه لنفسي، فما بالك بشرحه لأي شخص آخر. منذ وقت طويل كنت أرغب بأن أكون زوجاً، لكنني بالفعل لم أكن زوجاً جيدا أو بالأحرى صالحاً. وعندما قررت تصحيح الأمر؛ اكتشفت روحتي أمري. أو ربما تأكدت مما كانت تعرفه أصلاً". وفيما كان يقول ذلك، كان جود يفكر كيف بدأ بالسهر لوقت متأخر بانتظار أن تتعب وتذهب إلى السرير

دونه. لقد كان يندس في السرير بعد أن تنام، وهكذا لا تكون هناك أي فرص ليتبادلا الحب، أو كيف كان يبدأ أحياناً العزف على الغيتار، واختيار نعمة، في وسط محاولتها قول شيء له؛ لقد كان يعزف حالما تبدأ الكلام مباشرة فلا يترك لـ مجالاً للحديث، وتذكّر كيف احتفظ بالفيلم المحترق عوضا عن التخلص منه، وكيف تركه في مكان تستطيع إيجاده فيه؛ مكان كان يعرف أنها ستجده فيه.

"لا يبدو ذلك منطقياً، تركتك فجأة دون سابق إنذار، ويبدو أنك لم تبذل أ مجهود للحيلولة دون ذلك؟ يبدو الأمر على نقيض ما أعرفه عنك. فأنا لا أعلم أنا من النوع الذي يستسلم دون سبب".

لم يكن ذلك دون سبب، لكن بغضّ النظر عن السبب كان هناك شيء محف لا يمكن وصفه بالكلمات بطريقة تجعله منطقياً. كان قد اشترى لزوجته المنـزل الريفي، في الحقيقة اشتراه لهما. كما أنه اشترى لزوجته شانون سيارة مرسيدس ثم أخرى، وكانت سيارة كبيرة مكشوفة. في الحقيقة كانا يقضيان في بعض الأحيان عطلات نهاية الأسبوع في كان، ويطيران إلى هناك على متن طائرة خاصة حيث يتمتعان بالفريدس الضخم وبلح البحر على الثلج. ثم مات ديري – مات بطريقة مؤلمة وبشعة – وانتحر جيروم، وبقيت شانون تأتي إلى أستوديو جود وتقول: "أنا قلقة عليك. لنذهب إلى هاواي". أو "اشتريت لك سترة جلدية، جرّبها". عندها كان يبدأ بالعزف على الغيتار، لقد كان يكره الرنين العذب في صوتها، ويعرف للتعطيل عليه، لقد كره فكرة إنفاق المزيد من المال، وامتلاك سترة أخرى، والذهاب في رحلة أخرى. لكن أكثر شيء كان يكرهه هو منظر وجهها القنوع الشاحب وأصابعها البدينة مع كل الخواتم فيها، ونظرة الاهتمام الباردة في عينيها.

عند نهاية الأمر، عندما أصيب ديزي بالعمى، وأصبح يرتجف من الحمّى ويوسخ نفسه كل ساعة تقريباً، ظن أن جود والده. بكى ديري وقال إنه لا يريد أن يكون شاذاً. "لا تكرهني بعد الآن يا أبي، لا تكرهني". أجابه جود: "لا أكرهك. لم أكرهك أبداً". ثم رحل ديزي، ومضت شانون في انتقاء ملابس جود، والتفكير في المكان الذي ينبغي أن يتناولا فيه طعامهما.

سألت جورجيا: "لماذا لم تنجب منها أولاداً؟"

"كنت قلقا من وجود الكثير من صفات والدي بي".

قالت: "أشك بوجود أي شيء فيك مثله".

فكّر بذلك وهو يمسك شوكة الطعام. "لا. إننا نشترك في نفس الطباع تماما".

"ما يحيفني هو فكرة إنجاب أولاد ثم اكتشافهم حقيقتي. الأولاد يكتشفون ذلك دائماً. لقد اكتشفت حقيقة أهلي".

"ما الذي سيكتشفه أولادك بشأنك؟"

"لقد تسربت من المدرسة الثانوية. وعندما بلغت الثالثة عشرة، سمحت لرحل بتحويلي إلى عابية. العمل الوحيد الذي كنت بارعة فيه كان خلع ملابسي في غرفة مليئة بالسكارى. حاولت الانتحار. تم اعتقالي ثلاث مرات. سرقت أموالا من جدتي وجعلتها تبكي. لم أنظف أسناني نحو السنتين. هل نسيت شيئاً؟"

"إذاً هذا ما سيكتشفه ولدك. بغض النظر عن الأشياء السيئة التي حدثت لي، أستطيع التحدث إلى والدتي، لأنها مرّت بذلك كله. وبغض النظر عمّا أصابني، فإنني سأحيا، لأن أمي مرّت بما هو أسوأ، ونجت منه".

رفعت حورجيا رأسها، وابتسمت مجدداً، وكانت عيناها تلمعان سعادة وإثارة؛ نوع العينين اللتين كان حود يتكلم عنهما قبل دقائق قليلة.

قالت: "تعرف ذلك يا جود". وهي ترفع كوب القهوة بأصابع يدها الملفوفة بالصمادة. كانت النادلة خلفها، تنحني للأمام مع دلّة القهوة لتملأ كوب حورجيا، ولم تكن تنظر إلى ما تفعله، بل كانت تحدق عوضاً عن ذلك في فاتورتهما. شاهد جود ما سيحدث، لكنه لم يستطع دفع صوته للخروج من حنجرته في الوقت المناسب. تابعت حورجيا الكلام: "أحيانا تكون رجلا محترما، وأنسى تقريبا ما كنت...".

سكبت النادلة القهوة في الوقت الذي حركت فيه حورجيا كوبها، وأراقت القهوة على اليد المضمدة. انتحبت جورجيا، وسحبت يدها للخلف، وأمسكت بها بقوة على صدرها، وتلوّى وجهها من الألم. جمدت عيناها للحظة نتيجة الصدمة، وخرج منهما شعاع خاو اعتقد جود معه أنها على وشك أن تفقد الوعي.

نهضت حورجيا، تقبض على يدها المصابة بالأخرى السليمة. صرخت على النادلة، وطغت اللهجة الريفية عليها مجددا، وأضحى صوتها ريفياً: "أريد أن أشاهد ما سكبته عليّ أيتها الغانية الحمقاء؟"

قال حود: "حورجيا". وبدأ ينهض.

عبست وقطبت حاجبيها، وأشارت إليه ليعود إلى كرسيه. ارتطمت بكتف النادلة أثناء مرورها بجانبها، ومشت عبر الصالة إلى الحمامات.

دفع جود طبقه جانباً. "أعتقد أنني سأدفع الحساب فورا".

قالت النادلة: "آسفة جداً".

"الحوادث تقع".

كرّرت النادلة: "آسفة جدا. لكن ما من سبب يدعوها للتحدث معي بتلك الطريقة".

"لقد احترقت. أنا متفاجئ أنك لم تسمعي أسوأ من ذلك".

قالت النادلة: "عرفتكما في اللحظة التي وقع بصري عليكما عندما كنت أقدم الخدمة لكما. وقدمت لكما الخدمة بلطف كما أفعل مع أي شخص".

"آه؟ إذاً تعرفين من كنت تخدمين؟ ماذا كان ذلك؟"

"شخصان وضيعان. تبدو مثل بائع ممنوعات".

ضحك.

"وليس عليك سوى إلقاء نظرة عليها لتعرف من هي. هل تدفع لها بالساعة؟"

توقف عن الضحك.

قال: "أحضري لي الحساب. وأبعدي مؤخرتك البدينة عن ناظري".

حدّقت به للحظة، وعصرت شفتيها كما لو أنها تستعد لتبصق، ثم ابتعدت مسرعة دون أن تتفوه بأي كلمة أخرى.

أوقف الناس الجالسون إلى الطاولات حوله أحاديثهم ليحدّقوا ويستمعوا. نقّل جود مقلتيه هنا وهناك، وحدّق بكل من تجرأ ونظر إليه، ثم ما لبث أن عاد الناس واحدا تلو الآخر إلى طعامهم. لم يكن يعرف معنى الخوف عندما يتعلق الأمر بالاتصال بالبصري، لقد نظر إلى الكثير من الحشود لسنوات طويلة ولن يخسر منافسة تحديق الآن.

أخيراً، كان الشخصان الوحيدان اللذان تابعا التحديق به هما الرجل العجوز، "عوت الأميركي"، وزوجته، التي ربما كانت سيدة سيرك بدينة في أيامها الغابرة. وحاولت على الأقل أن تكون حذرة، اختلست النظر على حذر من طرفي عينيها فيما كانت تتظاهر بالاهتمام بالصحيفة المفتوحة أمامها. لكن الرجل العجوز حدّق به وحسب، كانت عيناه البنيتان تنتقدانه، وتتسليان أيضا بطريقة ما. كان يمسك بإحدى يديه بالجهاز الإلكتروني على حنجرته – يدندن بصوت خافت – كما لو أنه على وشك التعليق على الموضوع. إلا أنه لم يقل شيئا.

سأله جود: 'هل يدور شيء ما في ذهنك؟' وعندما حدّق بعيني الرجل العجوز مباشرة، لم يبدُ على العجوز الحرج من تدخله في ما لا يعنيه.

رفع الرجل العجوز حاجبيه، ثم هزّ رأسه ذهاباً وإياباً: *"لا، لا شيء لديّ أقوله"*. خفّض بصره إلى طبقه مع زفرة قصيرة مضحكة. ووضع جهاز الكلام الإلكتروني بجانب الملح والفلفل.

كان جود على وشك أن يشيح بنظره بعيداً، عندما دبت الحياة في الجهاز الإلكتروني، واهتز على الطاولة. طنّ صوت إلكتروني حاد، لا نبرة له: **"ستموت"**.

عدّل الرجل العجوز جلسته، وارتاح في كرسيه المدولب. حدّق بجهازه الإلكتروني، مرتبكاً، ربما لم يكن واثقاً تماماً أنه سمع شيئاً ما. طوت السيدة البدينة صحيفتها، وأمعنت النظر من فوقها في الجهاز، وتقطب حاجباها استغراباً، وبدا وجهها رقيقاً ودائرياً مثل وجه **بيلسبوري دوغبوي**.

طنّ الجهاز الإلكتروني: '**أنا ميت**'. اهتز على سطح الطاولة مثل دمية سيئة الصنع في آخر أيامها. التقطه الرجل العجوز بين أصابعه. أصدر أصوات جرس كهربائي من بينها. "**ستموت. سنكون في حفرة الموت معاً**".

قالت المرأة البدينة: "ما هذا؟ هل يلتقط بث محطة إذاعة محددا؟"

هزّ الرجل الميت رأسه: *لا أعرف*. رفع نظره عن الجهاز الإلكتروني، الذي كان آنذاك على راحة كفه، إلى جود. اختلس النظر إلى جود عبر الزجاج الذي كبّر عينيه المذهولتين. مدّ الرجل العجوز يده للأمام، كما لو أنه يقدّم الجهاز إلى جود. دندن واهتز.

"**ستقتلها، ستقتل نفسك، ستقتل الكلبين لن ينقذك الكلبان. سنذهب معاً، أصغ الآن، أصغ إلى صوتي سننطلق مع حلول الظلام. أنت لا تمتلكني. أنا أمتلكك. أمتلكك الآن**".

قالت المرأة البدينة: 'بيتر'. كانت تحاول أن تهمس، لكنها عصّت بصوتها، وعندما حاولت إخراج صوتها التالي بالقوة، جاء ثاقباً ومهتزاً: 'أوقفه يا بيتر'.

جلس بيتر هناك يمد يده بالجهاز إلى جود، كما لو أنه هاتف والمكالمة له.

كان الجميع ينظرون، وامتلأت الصالة بهمهمات لأحاديث قلقة متبادلة. نهض بعض الزبائن الآخرين من كراسيهم، ولم يكونوا يرغبون بتفويت ما قد يحدث لاحقاً.

نهض جود أيضاً، وفكر بجورجيا. وعندما انتصب على قدميه، حدّق عبر الممر نحو الحمامات، وجال ببصره على النوافذ التي تطل على واجهة المطعم. توقف فجأة، عندما وقع بصره على شاحنة الرجل الميت المتوقفة في موقف السيارات، تنتظر قرب الأبواب الأمامية، والكشافان عليها، يطلقان ومضات من الضوء الأبيض الباهت. لم يكن هناك أحد يجلس فيها.

كان بعض المتفرجين يقفون قربه، بجانب طاولات خلفه تماما، وكان عليه شق طريقه عبرهم ليصل إلى ممر الحمامات. وجد جود بابا كُتب عليه ***نساء***. دخل، وأغلقه خلفه بعنف.

كانت جورجيا تقف عند إحدى المغسلتين. لم يلفت انتباهها صوت ارتطام الباب بعنف على الجدار. نظرت إلى نفسها في المرآة، لكنّ عينيها كانتا مشوشتين، ولا تثبتان فعلا على أي شيء، وكان على وجهها التعبير الأكثر حزنا، وكآبة طفلة شبه نائمة أمام التلفاز.

أعادت يدها المصممة إلى الوراء ودفعتها في المرآة، بكل قوتها، ولم تسحبها. سحقت المرآة في دائرة بحجم القبضة، وانتشرت أشعة الكسر من الحفرة في كل الاتجاهات. بعد لحظة واحدة، سقطت شظايا فضية من المرآة بأصوات رنانة، وتناثرت محدثة إيقاعات موسيقية على المغسلتين.

كان هناك امرأة شقراء نحيلة تحمل طفلاً حديث الولادة على يديها تقف على بعد ياردة عنها، إلى جانب طاولة تغيير الحفاضات التي يمكن سحبها من الجدار. ضمت الطفل إلى صدرها وبدأت بالصراخ: "آه، يا الله ! آه، يا الله!"

التقطت جورجيا نصلاً حاداً بطول عشرين سنتمترا، له شكل الهلال اللامع، ورفعته إلى عنقها، وأعادت ذقنها إلى الوراء لتغرزه في اللحم تحته. أفاق جود من الصدمة التي أوقفته عند الباب، فأمسك معصمها، وأداره نزولاً إلى جانبها، ثم إلى خلفها، حتى أطلقت صرخة يرثى لها، وأفلتت النصل من يدها. سقط النصل على البلاط الأبيض وتحطم بصوت عالٍ.

أمسك جود بيدها وأدارها مجدداً، فآلمها. لهثت، وأغلقت عينيها كيلا تبكي، لكنها سمحت له بإجبارها على السير للأمام، وقيادتها نحو الباب. لم يكن واثقاً من سبب أذيته لها، وفيما إذا كان قد قام بذلك ذعراً أم عمداً، أم لأنه كان غاضبا من عدم تمالكها لنفسها أو غاضباً للسماح لها بذلك.

كان الرجل الميت في الصالة خارج الحمامات. لم يلاحظه جود حتى كاد يتخطّاه، ثم سرت في جسده رعشة، وتركته على قدمين لا تتوقفان عن الارتعاش. كان كرادوك قد وضع قبعته السوداء عليهما أثناء مرورهما به.

بالكاد استطاعت جورجيا تمالك نفسها. نقل جود قبضته إلى أعلى ذراعها، وسندها، فيما كان يقودها عبر صالة المطعم. كانت السيدة البدينة والرجل العجوز يصغيان رأسيهما معا.

"**... لم تكن محطة إذاعية...**".

"عرباء أطوار. غرباء أطوار يمزحون".

"**انتبهوا، إنهم قادمون**".

حدّق الآخرون، وقفزوا ليبتعدوا عن الطريق. وقفت النادلة التي اتهمت قبل دقيقة واحدة فقط جود بأنه بائع ممنوعات وجورجيا بأنها عاهرة بجانب المكتب الأمامي تتكلم مع المدير، رجل قصير يحمل أقلاماً في جيب قميصه، وتبدو عيناه حزينتين مثل كلب صيد. أشارت النادلة إليهما فيما كانا يعبران الصالة.

تباطأ جود عند طاولته بما فيه الكفاية ليرمي ورقتين نقديتين من فئة العشرين دولارا. وفيما كانا يمران أمام المدير، رفع الرجل القصير رأسه ليرميهما بنظرته المأساوية، لكنه لم يقل أي شيء، وتابعت النادلة الهمس في أذنه.

قالت جورجيا عندما عبرا الفاصل الأول من الأبواب: "جود، أنت تؤلمني".

أرخى قبضته على أعلى ذراعها، وشاهد أن أصابعه تركت علامات بيضاء على جلدها الشاحب أصلاً. عبرا الفاصل الثاني من الأبواب وأصبحا في الخارج.

سألته: "هل نحن بأمان؟"

قال: "لا. لكننا سنكون بأمان قريباً. الشبح يخاف كثيراً من الكلبين".

مشيا بسرعة بجانب شاحنة كرادوك الفارغة المتوقفة. كان ثلث النافذة التي بجانب مقعد السائق مفتوحاً، وكان المذياع يعمل في الداخل. كان أحد قادة الجناح اليميني يتحدث بصوت ناعم، وواثق ومتغطرس تقريباً.

قال الصوت الرحيم: "... يبدو رائعا اعتناق تلك القيم الأميركية الأصيلة، ويبدو رائعاً رؤية الأشخاص المناسبين يفوزون بالانتخابات، حتى لو أن الفريق الآخر سيقول إن الإنتخابات لم تكن نزيهة، ويبدو رائعا رؤية المزيد والمزيد من

الناس يعودون إلى سياسات المنطق المسيحي الصحيحة. لكن هل تعرفون ما الذي سيكون أروع؟ أن تخنقوا تلك الغانية التي بجانبكم، احنعوا الغانية، ثم توقفوا على الطريق أمام دار عبادة، اركعوا أمامها، اركعوا و...".

تجاوزا الشاحنة، فأضحى الصوت خارج مدى سمعهما.

قالت جورجيا: "سنخسر هذا الشيء".

"لا، لن نخسر. هيا بنا. لا تبلغ المسافة إلى الفندق أكثر من مئة ياردة".

"إذا لم ينل منا الآن، سينال منا لاحقاً. لقد أخبرني بذلك. قال إنني قد أقتل نفسي وينتهي الأمر، وكنت على وشك القيام بذلك. لم أستطع تمالك نفسي".

"أعرف. هذا ما يقوم به".

مشيا على طول الطريق العام، على حافة المسلك المليء بالكامل بالحصى، وكانت سيقان النباتات الطويلة تصطدم بجينـــز جود.

قالت جورجيا: "يدي تؤلمني".

توقف، رفعها لإلقاء نظرة عليها. لم تكن تنـــزف، سواءً من تحطيم المرآة أو من رفع نصل الزجاج المقوّس. حمت حشوة الضمادة السميكة الملفوفة جلدها. رغم ذلك، وحتى عبر اللفائف كان يشعر بحرارة عالية تنبض منها، وتساءل عمّا إذا كسرت إحدى عظامها.

"دعيني أخمّن. لقد ضربت المرآة بقوة كبيرة. أنت محظوظة لأنك لم تتأذي".

وكزها بمرفقه للأمام وتابعا السير مجدداً.

"إنها تدق مثل القلب. بم – بم – بم". بصقت، وبصقت ثانية.

كان بينهما وبين الفندق جسر – منصة قطار حجرية – وكان النفق أسفله ضيقاً ومعتماً. ولم يكن هناك ممر جانبي، وكان الماء يتسرب من السقف الحجري.

قال: "هيا بنا".

كان الجسر أسود الهيكل، ويشكل إطاراً لنـــزل **الأيام**. كانت عينا جود ثابتتين على النـــزل. وكان يستطيع رؤية الموستانغ. كان يستطيع رؤية غرفتهما.

لم يبطئا حركتهما أثناء مرورهما عبر النفق، الذي تفوح منه رائحة المياه الآسنة، والطحالب والبول.

قالت جورجيا: "انتظر".

استدارت، وانحنت، ثم تقيأت؛ وأخرجت البيض، وقطع الخبز المحمص، وعصير البرتقال الذي تناولته.

أمسك ذراعها اليسرى بإحدى يديه، ورفع شعرها عن وجهها باليد الأخرى. أصابه ذلك بالانفعال، إنه يقف هناك في ظلمة الروائح الكريهة، ينتظرها حتى تنتهي.

قالت: 'جود".

قال، وهو يضغط على ذراعها: "هيا بنا".

"انتظر...'.

"هيا بنا".

مسحت فمها بأسفل قميصها، وبقيت منحنية. "أعتقد...".

سمع صوت الشاحنة قبل أن يراها، سمع المحرك يهدر خلفه، بصوت غاضب، يرتفع ليصبح زئيرا. سطع ضوء الكشافين على جدار الكتل الحجرية القاسية. كان لدى جود وقت لينظر إلى الخلف، ويرى شاحنة الرجل الميت تندفع نحوهما، وكرادوك يبتسم خلف المقود، والكشافان يطلقان دائرتين من الضوء الباهر، الذي يعمي الأبصار. تصاعد الدخان من الإطارات.

وضع جود ذراعا تحت جورجيا ودفع نفسه للأمام، وحملها معه إلى خارج الطرف البعيد من النفق.

اصــطدمت الشيفروليه الزرقاء بالجدار خلفهما وكان هناك صوت فولاذ يتحطم علــى الحجــارة. كانت الصحيح عالياً لدرجة أنه أصاب جود بالذهول، وجعل طبلتي أذنــيه ترنّان. وقع وجورجيا على الحصى الرطبة، وكانا خارج النفق في ذلك الحين. تدحــرجا بعــيدا عــن جانب الطريق، وتعثرا بالأغصان، وانتهى بهما المطاف على سراخس رطبة. صرخت جورجيا، ولطمته على عينه اليسرى بمرفقها الناتئ العظام. وضع يده على شيء هش، وكان عبارة عن قذارة مستنقعات باردة غير مستحبة.

رفع جود نفسه، وتنفس بصعوبة، ونظر للخلف. لم تكن شاحنة الرجل الميت الشيفروليه القديمة التي اصطدمت بالجدار وإنما سيارة رباعية الدفع خضراء اللون، من النوع المكشوف، مع مصد معدني في الخلف. كان هناك رجل أسود بشعر قصير خشن يجلس خلف المقود، ويمسك بجبينه. تفتت الزجاج الأمامي إلى شبكة من الحلقات المتصلة حيث ارتطمت جمجمته به. التحم كامل جانب السائق

الأمامي من السيارة بالهيكل، والتوى الفولاذ للأعلى والخلف وأصحى قطعاً صغيرة يتصاعد منها الدخان.

سألت جورجيا بصوت خافت واهن، وكان يسمعه بصعوبة نظراً للطنين في أذنيه: "ماذا حدث؟"

"لقد أخطأنا الشبح".

"هل أنت واثق؟"

"أنه كان الشبح؟"

"لقد أخطأنا".

نهض على قدميه، وكانت ساقاه غير ثابتتين، وركبتاه ترتعشان تحته. أمسك بها من معصمها، وساعدها على النهوض. كان الطنين في أذنيه قد بدأ بالتلاشي. وكان يستطيع سماع نباح كلبيه بشكل هستيري وجدوني من مسافة بعيدة.

26

كوّما حقائبهما في صندوق الموستانغ، وأصبح جود قلقاً من النبض البطيء العميق في يده اليسرى، ذلك النبض المختلف عن الوجع الذي أحس به منذ طعن نفسه أمس. عندما نظر للأسفل، رأى أن ضمادته قد انحل وثاقها، وأصبحت مشبعة بالدماء.

قادت جورجيا، فيما جلس هو على المقعد المجاور لمقعد السائق، وفتح علبة الإسعافات الأولية التي رافقتهما من نيويورك. حلّ الضمادة الرطبة، وألقى بها على الأرض عند قدميه. كان الشريط اللاصق الذي وضعه على الجرح قبل يوم قد زال، واتسع الثقب مجددا، وبدا لامعا ومتسخاً. كان الشريط اللاصق قد تمزّق نتيجة دفعه لنفسه بعيداً عن شاحنة كرادوك.

سألت جورجيا: "ماذا ستفعل بخصوص يدك؟" وألقت نظرة قلقة على يده قبل أن تعيد نظرها إلى الطريق.

قال: "بعض الأشياء التي فعلتها بخصوص يدك. لن أفعل شيئاً".

ثم بدأ بتثاقل بوضع شريطٍ لاصق جديد على الجرح. بدا الأمر وكأنه يضع لفافة تبغ على راحة كفه. وعندما أغلق الجرح بأفضل طريقة استطاعها، لفّ يده بشاش نظيف.

قالت: "إن رأسك ينـــزف، هل أنت مدرك لذلك؟"

"كشط بسيط. لا تقلقي بشأنه".

"ما الذي سيحدث في المرة القادمة؟ المرة القادمة التي نذهب فيها إلى مكان ما دون الكلبين ليعتنيا بنا؟"

"لا أعرف".

"كان مكاناً عاماً. ينبغي أن نكون بأمان في مكان عام. الناس حولنا، وكان ضوء النهار ساطعاً، وذهب بحثاً عنا بأي حال. كيف يفترض بنا محاربة شيء مثله؟"

قال: "لا أعرف. لو كنت أعرف ما ينبغي فعله، لفعلته على الفور يا فلوريدا. دعيني وشأني للحظة أنتِ وأسئلتك. ألا تستطيعين ذلك؟"

تابعا المسير. وفقط عندما سمع صوت تهدجها بالبكاء - كانت تكافح لتقوم بذلك بصمت - أدرك أنه دعاها فلوريدا، فيما كان يقصد قول جورجيا. كانت أسئلتها المتتالية هي التي دفعته للوقوع في هذا الخطأ، كذلك لهجتها، والتعبيرات التي تتسلل في ثنايا صوتها في اليومين الماضيين.

كان صوت جورجيا وهي تحاول منع نفسها عن البكاء، أسوأ مما لو بكت على راحتها. لو تركت نفسها لانفعالاتها وبكت، لكان باستطاعته قول شيء لها، لكن على الحالة التي كانت عليها، شعر بأنه من الضروري تركها وحيدة في بؤسها، وأن يدّعي أنه لم يلاحظها. غاص جود عميقاً في مقعد الراكب، واستدار بوجهه نحو النافذة.

كانت أشعة الشمس تسطع عبر الزجاج الأمامي، وإلى الجنوب من ريتشموند بقليل، عما في تلك الحرارة العالية. حاول التفكير بما يعرفه حول الرجل الميت الذي يطاردهما، وما أخبرته به آنا عن زوج والدتها عندما كانا معاً. لكن التفكير كان صعباً، ويتطلب الكثير من الجهد؛ كان يستشيط غيظاً، مع كل أشعة الشمس التي تسطع في وجهه، بالإضافة إلى نشيج صوت جورجيا الخافت خلف المقود؛ على كل حال كان واثقاً أن آنا لم تقل الكثير.

قالت له (آنا): "سأطرح أسئلة أكثر مما سأجيب".

حاصرته بتلك الأسئلة السخيفة، التي لا طائل منها نحو نصف سنة: *هل كنت مع فرقة* ***بوي سكوتس*** *من قبل؟ هل تغسل لحيتك بالشامبو؟ ما الذي تحبه أكثر، مؤخرتي أم صدري؟*

أثار القليل مما كان يعرفه فضوله: عمل العائلة في التنويم المغناطيسي، زوج الأم الذي يعمل بالاستمناء والذي علّم ابنتي زوجته قراءة الكف والتحدث مع الأرواح، والطفولة التي خيّمت عليها هلوسات انفصام الشخصية في سن المراهقة. لكن آنا - فلوريدا - لم تكن ترغب بالحديث عمّا كانت عليه قبل لقائها به، وبالنسبة له، كان سعيداً بترك ماضيها خلفها.

مهما كان الذي لم تقله، كان يعرف أنه سيئ، سيئ نوعاً ما. التفاصيل غير مهمة؛ هذا ما كان يعتقده عندها. كان يفكر، في ذلك الوقت، أن تلك إحدى نقاط قوته، أي استعداده لقبولها كما كانت، دون أسئلة، ودون أحكام. كانت بأمان معه، بأمان من أي أشباح تطاردها.

ما عدا أنه لم يبقها بأمان، ويعرف ذلك الآن. الأشباح تظهر دائماً في النهاية، ولا توجد طريقة لحبسها داخل أبواب موصدة. إنها تسير عبرها مباشرة. ما كان يفكّر به على أنه قوة شخصية – كان سعيداً ليعرف عنها ما أرادته أن يعرفه فقط – اتضح أنه شيء يشبه أكثر الأنانية. رغبة طفولية للبقاء في الظلام، وتفادي الأحاديث المرعجة، والحقائق المقلوبة رأساً على عقب. كان يخاف أسرارها أو بالأحرى الورطات العاطفية التي ربما تنشأ نتيجة معرفة تلك الأسرار.

خاطرت مرة واحدة فقط بشيء مثل الاعتراف، شيء قريب من البوح الذاتي. كان ذلك قرب النهاية، قبل وقت قصير من إبعادها إلى منـــزلها.

كانت محبطة طوال شهور. في البدء، أصبحت العلاقة الحميمة سيئة، ثم لم تعد هناك علاقة إطلاقاً. كان يجدها في الحمام، تنقع نفسها في ماء مثلج، وترتعش بشدة، مرتبكة وحزينة، ولا تستطيع الخروج. وعند التفكير بالوضع الآن، كانت كما لو أنها تتمرّن على يومها الأول كجثة، وكانت تقضي الأمسية ترتجف ويتغضن جلدها في حوض مليء بالماء البارد والدماء. كانت تثرثر لنفسها بصوت فتاة صغيرة خافت، ولكنها تصمت إذا حاول التحدث إليها، كانت تحدق به بذهول وصدمة، كما لو أنها سمعت الأثاث يتكلم.

خرج في إحدى الليالي – لم يعد يذكر السبب – ربما لاستئجار فيلم، أو جلب شطيرة لحم بقر. كان الظلام محيماً في طريق عودته إلى المنـــزل. وقبل نصف ميل من المنـــزل، سمع أشخاصاً يطلقون أبواق سياراتهم، وكانت المصابيح الأمامية للسيارات القادمة في الاتجاه المعاكس تومض.

تجاوز جود السيارات. كانت آنا على الطرف الآخر من الطريق، تركض على المسلك غير المعبّد، ولا ترتدي سوى أحد قمصانه الكبيرة الحجم. كانت الريح تعصف بشعرها الأشقر وتجعله مشعثاً. رأته عندما مرّ بها، ينطلق في الاتجاه المعاكس، واندفعت في الطريق خلفه، تلوّح بيدها بهياج وتمشي في مسلك شاحنة كبيرة قادمة نحوها.

انقبضت إطارات الشاحنة وزعقت. انحرفت المقطورة إلى اليسار فيما تأرجحت مقدمة الشاحنة القاطرة إلى اليمين، وتوقفت محدثة دوياً شديداً، ولم تكن بعيدة سوى قدمين عن دهسها. لم يبدُ أنها لاحظت ذلك. كان جود عندها قد توقف هو الآخر، ففتحت باب السائق بعنف، ورمت بنفسها عليه.

صرخت: "أين ذهبت؟ بحثت عنك في كل مكان. ركضت، وركضت، واعتقدت أنك رحلت، لهذا ركضت، ركضت باحثة عنك".

فتح سائق الشاحنة بابه، ووضع قدمه على الدرجة المؤدية إلى المقصورة. 'ما خطب تلك الغانية؟"

قال له جود: "سأتولى الأمر".

فتح سائق الشاحنة فمه ليتكلم مجدداً، ثم صمت عندما سحب جود آنا على قدميه، مما أدّى إلى رفع قميصها وكشف مؤخرتها العارية في الهواء.

ألقاها جود على المقعد بجانب السائق، ونهضت مباشرة مجدداً، وألقت نفسها عليه، ودفعت وجهها الحار الرطب في صدره.

"كنت خائفة، كنت خائفة جداً لذلك ركضت...".

وكزها بعيداً عنه بمرفقه، وبقوة كانت كافية لتضرب الباب الأمامي الأيمن. فأطبق عليها الصمت الناتج عن الصدمة.

قال: "كفى. أنت مجنونة. لقد اكتفيت من ذلك. هل سمعت؟ لست الوحيدة التي تستطيعين قراءة الطالع. هل تريدينني أن أتوقع مستقبلك؟ أراك تحملين حقائبك اللعينة، وتنتظرين الحافلة".

ضاق صدره، ضاق لدرجة ذكّرته بأنه ليس في الثالثة والثلاثين وإنما في الثالثة والخمسين، وأنه أكبر منها بنحو ثلاثين سنة. حدّقت آنا بعينيها المستديرتين والواسعتين والذاهلتين عما حولها.

وضع السيارة على الدرب الصحيح، وبدأ القيادة نحو المنـــزل. وحالما استدار نحو المدخل، انحنت فوقه، وحاولت فتح سحاب سرواله، لتداعبه، لكن الفكرة أصابته بالغثيان، وكان ذلك أمراً لا يمكن تخيله، شيئاً لا يستطيع تركها تفعله، لهذا وكزها بالمرفق مجدداً، وأبعدها مرة أخرى.

تفاداها في معظم اليوم التالي، لكن في الليلة التالية، عندما عاد من النـزهة مع الكلبين، نادته من أعلى السلالم. سألته إذا كان يستطيع تحضير بعض الحساء لها، علبة من شيء ما فقط.

أجابها لا بأس.

وعندما أحضره لها، وعاء من حساء الدجاج على صينية صغيرة، استطاع أن يلاحظ أنها ما تزال على حالها. مذهولة ومرهقة، لكنها لا تحمل شيئاً بيدها. حاولت الابتسام له، وهو شيء لم يكن يرغب برؤيته. ما كان مقدماً عليه كان قاسياً بما فيه الكفاية.

عدّلت جلستها، ووضعت الصينية على ركبتيها. جلس إلى جانب السرير، وراقبها تبتلع رشفات صغيرة. لم تكن تريد الحساء فعلاً. كان ذلك مجرد عذر لجعله يصعد إلى غرفة النوم. كان يعرف ذلك من طريقة إطباق فكها قبل كل رشفة صغيرة مضطربة. كانت قد فقدت نحو 5.4 كلغ في الشهور الثلاث الماضية.

وضعت الحساء جانباً بعد أن أنهت أقل من ربعه، ثم ابتسمت، مثل طفلة وُعدت بالمثلجات إذا تناولت طبق الهليون الخاص بها. قالت له شكراً، وأن ذلك كان لطفاً منه. وقالت إنها تشعر بأن حالها أفضل.

قال جود: "سأذهب إلى نيويورك الاثنين المقبل. سألتقي هاورد ستيرن".

ومض القلق في عينيها الشاحبتين. "أنا... أنا لا أعتقد أنه ينبغي عليّ الذهاب".

"لن أطلب منك ذلك. ستكون المدينة مكاناً سيئاً لك".

نظرت إليه بامتنان كبير حتى اضطر للنظر بعيداً.

قال: "لا أستطيع تركك هنا أيضاً. ليس لوحدك. كنت أفكر أنه ربما ينبغي عليك البقاء مع العائلة لفترة. هناك في فلوريدا".

عندما لم تجب، تابع قائلاً: "هل هناك فرد من العائلة أستطيع الاتصال به؟"

انزلقت على وسائدها، وسحبت الغطاء إلى ذقنها. كان قلقاً من أن تبدأ بالبكاء، لكنه عندما نظر إليها، كانت تحدّق بهدوء نحو السقف، وشبكت يديها الواحدة فوق الأخرى تحت صدرها.

أخيراً قالت: "بالتأكيد. لقد كنت طيباً للسماح لي بالإقامة معك طوال كل تلك الفترة".

"ما قلته في تلك الليلة...".

"لا أتذكر".

"ذلك جيد. الأفضل أن ننسى ما قلته. لم أكن أعني أياً منه على كل حال".

رغم أنه في الواقع كان قد عنى كل ما قاله تماماً، وكانت تلك ربما النسخة الأقسى مما يقوله لها آنذاك.

أطبق الصمت عليهما حتى أصبح الجو غير مريح، وشعر بأن عليه أن يحثّها على الحديث مجدداً، ولكن عندما أراد فتح فمه، تكلمت أولا.

قالت: "تستطيع الاتصال بوالدي. أعني زوج والدتي. لا تستطيع الاتصال بوالدي الحقيقي. إنه ميت، بالطبع. ينبغي أن تتحدث إلى زوج والدتي، سيقطع كل المسافة إلى هنا ليقلّني شخصياً إذا أردت. فقط قل له الكلمة. يحب زوج والدتي أن يقول إنني بصلته الصغيرة. يذرف الدموع بسببي. أليس ذلك شيئاً لطيفاً تقوله؟"

"لن أجعله يأتي ليقلّك. سأرسلك على متن طائرة خاصة".

"لا طائرات. الطائرات سريعة للغاية. لا يمكن للمرء الذهاب إلى الجنوب على متن طائرة. ينبغي عليه أن يقود سيارة. أو يستقل القطار. ينبغي أن يشاهد التراب يتحول إلى طين. ينبغي أن ينظر إلى كل الساحات المليئة بالسيارات الصدئة. ينبغي عليه قطع بعض الجسور. يقولون إن الأرواح الشريرة لا تستطيع اللحاق بك فوق المياه المتدفقة، لكن ذلك مجرد خداع. هل لاحظت يوماً أن الأنهار في الشمال لا تشبه الأنهار في الجنوب؟ لون الأنهار في الجنوب بني مثل الشوكولاته، وتفوح منها رائحة المستنقعات والطحالب. الأنهار هنا سوداء، ورائحتها زكية، مثل الصنوبر. مثل الكرسمس".

"يمكنني نقلك إلى محطة بن، وجعلك تستقلين أمتراك. هل سيأخذك ذلك إلى الجنوب ببطء كاف؟"

"بالتأكيد".

"إذاً، سأتصل بوا - زوج والدتك؟"

قالت: "ربما الأفضل أن اتصل به أنا". *خطر في باله حينها أنها نادراً ما تتكلم إلى أي شخص في عائلتها. لقد كانا معاً لأكثر من سنة. هل اتصلت بزوج والدتها، لتتمنى له عيد كرسمس سعيد، أو لتخبره بما تقوم به؟ دخل جود مرة أو مرتين إلى*

مكتبة تسجيلاته ووحد آنا تتحدث عبر الهاتف مع شقيقتها، وقد تقطب حاجباها من التركيز، وكان صوتها خافتاً ومهذباً. لم تكن تبدو بحالتها الطبيعية، وإنما مثل شحص مشترك في رياضة يكرهها، لعبة لا تحبها ولكنها تشعر بأنها مضطرة للاشتراك بها بأي حال. "لست مضطرة للحديث معه".

"لمادا لا تريدين أن أتحدث معه؟ هل تحشين أن لا نتفق معاً؟"

"لست قلقة من أنه قد يكون فظاً معك أو شيئاً من هدا القبيل. إنه ليس من ذلك النوع. الحديث مع والدي سهل. إنه صديق للحميع".

"حسناً إذاً، ما الأمر؟"

"لم أتحدث معه حول الأمر بعد، لكنني أعرف ما يفكر به حول علاقتنا ببعضنا البعض. لن يحب ذلك. العمر الذي أنت عليه، ونوع الموسيقى التي تعرفها. إنه يكره ذلك النوع من الموسيقى".

"هناك الكثير من الناس الذين لا يحبونها أيضا. ذلك هو بيت القصيد".

"إنه لا يحسن الظن بالموسيقيين على الإطلاق. لن تلتقي شخصاً لا يحب الموسيقى مثله. عندما كنا صغاراً، كان يأخذنا في تلك الرحلات الطويلة، إلى مكان ما يطلبون فيه خدماته للبحث عن المياه الجوفية، وكان يرغمنا على الاستماع إلى محطات الطقس طول الطريق. لم يكن الموضوع يهمه. كان يجعلنا نستمع إلى نشرات طقس مستمرة طوال أربع ساعات". *مرّرت إصبعين ببطء عبر شعرها، وأزاحت ضفيرة ذهبية طويلة بعيداً عن رأسها، ثم تركتها تنساب من بين أصابعها وتنسدل خلفها. تابعت القول:* "يستطيع القيام بإحدى تلك الخدع التي تقشعر منها الأبدان. كان يجد شخصاً يتكلم، مثل أحد أولئك الذين يشاركون في البرامج الدينية ويتحدثون باستمرار على موجة إي - إم. وكنا نستمع ونستمع، حتى أتوسل إليه مع جيسي لنستمع إلى أي شيء مختلف. ولم يكن يقول شيئا، لم يكن يقول شيئاً، وبعد ذلك، عندما لا يعود بإمكاننا احتمال المزيد، يبدأ الكلام مع نفسه. وكان يعيد ما قاله الواعظ عبر المذياع بالضبط، في الوقت نفسه تماما، بصوته هذه المرة. يسرده. بوجه خالٍ من التعابير، كما هي عادته. كما لو أنه يقرأ النص نفسه. وكان يتابع الكلام حتى تطلب منه أمي التوقف. وتقول إنها لا تحب ذلك. فكان يضحك ويغلق المذياع. لكنه كان يتابع

الكلام مع نفسه. نوع من التمتمة. يقول كل الكلمات التي كان الواعظ يقولها، حتى عندما يكون المذياع مغلقاً. كما لو أنه يسمعها في رأسه، ويحتفظ بالإرسال الإذاعي في ذهنه. كان يخيفني كثيراً عندما يقوم بذلك".

لم يرد جود، ولم يكن يعتقد أن الأمر يتطلب الرد، على كل حال لم يكن متأكداً مما إذا كانت القصة حقيقية أو أنها على الأقل نتيجة الوهم الذاتي الذي ينتابها.

تنهدت، وفكت ضفيرة أخرى من شعرها. "كنت أقول، رغم ذلك، أنه لن يحبك، وأنه يملك طرقا للتخلص من أصدقائي عندما لا يحبهم. الكثير من الآباء يبالغون في حماية فتياتهم الصغيرات، وإذا ظهر شخص لا يحبونه، ربما يحاولون إخافته، ويثقلون عليه قليلا. بالطبع لا ينجح ذلك أبداً، لأن الفتاة تنحاز دائماً إلى جانب صديقها، ويلاحقها الشاب، إما لأنه لا يخاف أو لأنه لا يريدها أن *تعتقد* أنه يخاف. زوج والدتي أذكى من ذلك. إنه ودود قدر ما يستطيع، حتى مع الناس الذين يرغب برؤيتهم يحترقون أحياء. وإذا أراد أن يتخلص من شخص لا يرغب برؤيته حولي، كان يبعده بقول الحقيقة له. وعادة تكون الحقيقة كافية".

"سأعطيك مثالاً. عندما كنت في السادسة عشرة، بدأت أتسكع في الجوار مع الفتى الذي كنت أعرف أن زوج أمي لن يحبه، وكانت إحدى علل ذلك الفتى أنه يهودي، وكنا نستمع دائماً إلى موسيقى الراب معاً. زوج أمي يمقت الراب بشدة. لهذا قال لي زوج والدتي يوماً ما إنني يجب أن قطع علاقتي مع ذلك الشاب اليهودي، فقلت له إنني أستطيع رؤية من أرغب، وقال إن ذلك مؤكد، لكن ذلك لا يعني أن الفتى سيكون راغباً برؤيتي. لم أحب لهجته تلك، ولكنه لم يشرح لي ما عنى بقوله هذا".

"حسنا، رأيت كيف تتدهور حالتي أحياناً، وأبدأ بالتفكير بأشياء جنونية. لقد بدأ كل ذلك عندما كنت في الثانية عشرة، ربما، وقت المراهقة نفسه. لم أراجع طبيباً أو أي شيء من هذا القبيل. عالجني زوج والدتي بنفسه، بالتنويم المغناطيسي. كان يستطيع التعامل مع الأشياء بطريقة بارعة. وأيضاً، لطالما كنا نجلس معاً مرة أو اثنتين في الأسبوع. لم أعد أفكر بأي من تلك الأشياء المجنونة. لم أعد أفكر بأن هناك شاحنة غامضة تجوب المنـــزل. لم أعد أرى فتيات صغيرات مع فحم مكان أعينهن يراقبنني من تحت الأشجار في الليل".

"لكن كان عليه السفر بعيداً. كان عليه الذهاب إلى أوستن لحضور مؤتمر ما حول أدوية التخدير. كان يأخذني معه عادة عندما يذهب في إحدى رحلاته، لكنه تركني في إحدى المرات في المنـــزل مع جيسي. كانت والدتي متوفاة في ذلك الوقت، وكانت جيسي في التاسعة عشرة ومسؤولة عني. وحالما غادر، بدأ نومي يضطرب. لطالما كانت تلك العلامة الأولى على تدهور حالتي، عندما ينتابني الأرق".

"بعد ليلتين، بدأت أشاهد الفتيات ذوات العيون النارية. لم أكن أستطيع الذهاب إلى المدرسة يوم الاثنين، لأنهن كن ينتظرن في الخارج تحت شجرة السنديان. كنت خائفة كثيراً من الخروج. أخبرت جيسي. قلت لها أن تستدعي الوالد إلى المنـــزل، وأن أفكاراً سوداء تراودني مجددا. قالت لي إنها سئمت أفكاري المجنونة، وأنها مشغولة، وأنني سأكون بخير حتى يعود. حاولت إرسالي إلى المدرسة، لكنني لم أفعل. بقيت في غرفتي أشاهد التلفاز. لكنهن سرعان ما بدأن يتحدثن إليّ عبر التلفاز. الفتيات الميتات. يقلن لي إنني ميتة مثلهن، وأن مآلي إلى التراب معهن".

"في العادة، كانت جيسي تعود من المدرسة عند الساعة الثانية أو الثالثة. لكنها لم تعد إلى المنـــزل بعد ظهر ذلك اليوم. تدهورت حالتي أكثر وأكثر، وكلما نظرت عبر النافذة، كنت أشاهد الفتيات يحدقن بي. اتصل زوج والدتي، وقلت له إنني أواجه المتاعب ورجوته أن يعود إلى المنـــزل، وقال إنه سيعود بأسرع ما يستطيع، لكنه لن يتمكّن من ذلك قبل وقت متأخر. قال إنه قلق من أن أؤذي نفسي وأنه سيتصل بشخص ما ليكون معي. وبعد أن أغلق السماعة، اتصل والدي بفيليب، الذي يعيش في نفس الشارع معنا".

"فيليب؟ هل كان صديقك الحميم؟ الفتى اليهودي؟"

"نعم. جاء فيل حالاً. لم أعرفه. اختبأت منه تحت السرير، وصرخت عندما حاول لمسي. سألته فيما إذا كان مع الفتيات الميتات. أخبرته كل شيء عنهن. ظهرت جيسي بعد ذلك بوقت قصير، وغادر فيليب بأسرع ما يستطيع. بعد ذلك انفعل كثيراً، ولم يعد يرغب بأن تكون له أي علاقة بي. وقال زوج والدتي إن ذلك مخزٍ. كان يعتقد أن فيليب صديقي. كان يعتقد أن فيليب، أكثر من أي شخص آخر، محل ثقة ليعتني بي عندما أواجه أوقاتاً صعبة".

"إذاً، هل هذا ما يقلقك؟ أن يخبرني رجلك العجوز بأنك معتوهة، مما سيصدمني لدرجة أنني لن أرغب برؤيتك بعد ذلك؟ لكن ينبغي أن أقول لك يا فلوريدا إن معرفة أنك مصابة بلوثة لن تكون خبراً مفاجئاً تماما آنذاك".

أطلقت ضحكة خفيفة. ثم قالت: "لن يقول ذلك. لا أعرف ما سيقوله. سيجد شيئاً يجعلك تكرهني أكثر قليلاً. إذا كنت *تستطيع* أن تكرهني أكثر من ذلك".

"دعينا لا نبدأ بذلك".

"لا. لا، من ناحية أخرى ربما سيكون من الأفضل أن تتصل بشقيقتي عوضاً عن ذلك. إنها غانية قاسية؛ لسنا متفقتين تماماً. لم تغفر لي أبداً أنني أكثر جاذبية منها وأتلقى هدايا أفضل في الكرسمس. بعد وفاة والدتي، كان عليها أن تؤدي دور 'سوري مدبرة المنـــزل'، لكنني كنت ما أزال مجرد طفلة. كانت جيسي تغسل ملابسنا، وتطهو طعامنا منذ كانت في الرابعة عشرة، ولم يكن أحد يستطيع تقدير كم تعبت أو ما فاتها. لكنها تستطيع اصطحابي إلى المنـــزل دون أي مشاكل. ستحب أن أعود إليها، لتصبح موكلة بي وتضع لي القواعد".

لكن عندما اتصل جود بمنـــزل شقيقتها، سمع الرجل العجوز بكل الأحوال، الذي أجاب عند الرنة الثالثة.

"ما الذي يمكنني فعله لك؟ هيا تكلم. سأساعدك إذا استطعت".

عرّفه جود بنفسه. قال إن آنا تريد العودة إلى المنـــزل لفترة معينة، وجعل الأمر يبدو فكرتها وليست فكرته. كان جود يكافح ذهنياً لوصف حالتها، لكن كرادوك أنقذه.

سأل كرادوك: "كيف نومها؟"

قال جود، مرتاحاً، بعدما فهم بشكل ما أن ذلك يشرح الأمر برمّته: "ليس جيداً".

عرض جود أن يرسل سائقاً يقل آنا من محطة القطار في جاكسونفيل إلى منـــزل جيسيكا في نيستمنت، لكن كرادوك قال لا، وأنه سيقابلها في أمتراك بنفسه.

"ستكون الرحلة إلى جاكسونفيل مناسبة لي، وعذراً للخروج في شاحنتي لعدة ساعات، وفتح النوافذ، ومشاهدة الأبقار".

قال جود بعد أن نسي نفسه وأخذ يتحدث بحرارة إلى الرجل العجوز: "سمعت ذلك".

"أقدّر لك الاهتمام بفتاتي الصغيرة كما فعلت. كما تعرف، عندما كانت مجرد طفلة، كانت تعلق صورك على جدران غرفتها. لطالما كانت تريد لقاءك. أنت وذلك الشخص من... ماذا كان اسم الفرقة؟ فرقة **موتلي كرو**؟ لقد أحبتهم فعلاً. تبعتهم نحو نصف سنة. حضرت كل حفلاتهم. كانت تعرف بعضهم، أيضاً. ليس الفرقة، كما أعتقد، لكن الفريق الذي يرافقهم. كان هؤلاء يمثلون سنوات جموحها. لكنها استقرت الآن، أليس كذلك؟ نعم، أحبت كل أسطواناتك. أحبت كل أنواع تلك الموسيقى المعدنية الثقيلة. كنت أعرف دائماً أنها ستجد لنفسها نجم روك".

*شعر جود بخدر بارد جاف ينتشر خلف صدره. كان يعرف ما يقوله كرادوك – لقد أقامت علاقات مع الكثيرين لتتابع **موتلي كرو**، وأن العلاقات مع النجوم كانت اختصاصها، وأنها إذا لم تكن على علاقة به، فربما كانت مع فينس نيل أو سلاش – وكان يعرف أيضاً لماذا يخبره كرادوك بذلك. من أجل السبب نفسه الذي جعل صديق آنا اليهودي يراها عندما كانت في أسوأ حالاتها، حتى يضرب إسفيناً بينهما.*

الشيء الذي لم يستطع جود توقعه هو أنه كان يستطيع معرفة ما يقوم به كرادوك وأن ذلك قد يجدي نفعاً بأي حال. حالما قال كرادوك ذلك، بدأ جود التفكير أين التقى بآنا، في كواليس حفلة ترينت ريزنور. كيف وصلت إلى هناك؟ من كانت تعرف، وماذا كان عليها أن تفعل حتى تصل إلى الكوالبس؟ لو أن ترينت هو من دخل الغرفة مباشرة عندها، هل كانت ستجلس عند قدميه بدلاً منه وتطرح عليه أسئلة لطيفة لا طائل منها؟

قال له كرادوك: "سأعتني بها يا سيد كوين. أرسلها لي فقط. سأكون بالانتظار".

اصطحبها جود إلى محطة بن بنفسه. كانت في أفضل حالاتها كل فترة الصباح. وكان يعرف أنها تبذل كل جهدها حتى تكون الشخص الذي يريده، وليس الشخص الحزين الذي كانت عليه فعلاً؛ لكنه كلما نظر إليها، شعر بذلك الخدر في صدره مجدداً. وكانت تكشيراتها الشيطانية، والطريقة التي تعقص بها شعرها خلف أذنيها لتظهر شحمتي أذنيها الورديتين الصغيرتين المثقوبتين، وآخر جولة من أسئلتها البلهاء، تبدو مثل تلاعب لا رحمة فيه، وتجعله لا يرغب سوى بالابتعاد أكثر عنها.

وعلى افتراض أنها شعرت، بأي حال، أنه سيرسلها بعيداً بشكل دائم، إلا أنها لم تلمّح له بأي شيء، وقفت في محطة بن على أطراف أصابعها، ووضعت ذراعيها حول رقبته لتعانقه بقوة؛ عناق دون إيحاءات جنسية على الإطلاق.

سألته: "قضينا بعض الوقت الممتع معاً، أليس كذلك؟" سؤال من تلك الأسئلة التي كانت تكررها دائما.

أجاب: "بالتأكيد". كان يستطيع قول المزيد – إنه سيتصل بها قريباً، وأنه يريدها أن تعتني بنفسها – لكنه لم يكن يشعر بذلك، لم يستطع أن يتمنى لها الخير. عندما اجتاحته رغبة ملحّة بأن يكون لطيفاً، بأن يكون متعاطفاً، سمع صوت روح والدتها في رأسه، دافئاً، وودوداً، ومقنعاً: "كنت أعرف دائماً بأنها ستجد لنفسها نجم روك".

كشّرت آنا، كما لو أنه أجاب بطريقة ذكية جداً، وضغطت على يده. بقي لفترة تكفي لرؤيتها تصعد إلى متن القطار، لكنه لم يبق لرؤية القطار يغادر. كان الرصيف مزدحماً وصاخباً، والضجيج يملأ المكان بالإضافة لأصوات الصدى. شعر بالضيق والتزاحم، وتضايق من رائحة المكان الكريه؛ رائحة الحديد الساخن، والبول، والأجساد الدافئة المتعرقة.

لكن الحال لم يكن أفضل في الخارج، في جو خريف مانهاتن البارد الماطر. رافقه الإحساس بالتدافع، الذي طوّقه من كل الجوانب، وفي كل طريق العودة إلى فندق بيير – كل طريق العودة حتى إلى هدوء وفراغ جناحه – كان عدوانياً، احتاج للقيام بشيء بنفسه، احتاج إلى عزف بعض الضوضاء البشعة الخاصة به.

بعد أربع ساعات وصل إلى المكان الصحيح، في أستوديو هاورد ستيرن، حيث أهان وتغطرس، وأذلّ حاشية ستيرن من الأشخاص المغفلين الراغبين بتقبيله لأنهم كانوا أغبياء بما فيه الكفاية ليقاطعوه، وبثّوا تصريحاته النارية التي تحث على الانحراف والكراهية، والفوضى، والسخرية. كان ستيرن يحبه. وكان الناس هناك يحبون أن يعرفوا متى يستطيع جود العودة.

كان ما يزال في مدينة نيويورك في عطلة نهاية ذلك الأسبوع، وبنفس المزاج، عندما وافق على لقاء بعض الأشخاص من طاقم عمل ستيرن في نادٍ... في برودواي. كانوا جميعاً نفس الأشخاص الذين سخر منهم أمام جمهور بالملايين في وقت سابق من ذلك الأسبوع. لم يعتبروا الأمر شخصياً. كان عملهم يقتضي السخرية منهم. وكانوا مولعين به، وكانوا يعتقدون أنه لقي حتفه.

طلب شراباً إلا أنه لم يتناوله، وجلس في نهاية غرفة تبدو مصنوعة من لوح زجاجي واحد طويل، مضاءة من الأسفل بلون أزرق ناعم. اجتمعت الوجوه في الظلال حول الغرفة تنظر باستغراب إليه، بشكل غير طبيعي، وغير سوي؛ وجوه الغرقى. آلمه رأسه. وعندما أغلق عينيه، رأى استعراض الألعاب النارية المتوهج الذي كان مقدمة لصداع الشقيقة.

عندما فتح عينيه، كانت فتاة تحمل سكيناً في إحدى يديها تجثو على ركبتيها أمامه. كانت عيناها مغلقتين. انثنت على نفسها للخلف ببطء، حتى لمست مؤخرة رأسها الأرضية الزجاجية، وانتشر شعرها الناعم الخفيف الأسود عبر الغرفة، وكانت ما تزال على ركبتيها.

مرّرت السكين للأسفل على جسدها، وكانت سكين كبيرة حادة النصل. وكانت تضع طوق كلب مع حلقات فضية عليها، ودمية مع شرائط على الصدر تضغط على نهديها معاً، وترتدي جوارب سوداء.

وعندما كان مقبض السكين بين ساقيها، والنصل نحو السقف – محاكاة للعضو الذكري – قذفتها في الهواء، وفتحت عينيها، والتقطتها عندما سقطت للأسفل، وقوّست ظهرها في الوقت نفسه، ورفعت صدرها نحو السقف مثل قربان، ورمت بالسكين نحو الأسفل.

مزقت الشرائط السوداء التي تعود للدمية الموجودة عند صدرها حتى منتصفها، وفتحت شقاً أحمر داكن، كما لو أنها تشق نفسها من الحنجرة إلى منفرج الساقين. تدحرجت وخلعت الزي، وكانت عارية دونه عدا الحلقات الفضية على حلمتي صدرها، والتي تأرجحت على نهديها؛ وخيط مربوط على عظام وركيها. كان جذعها الساكن الأملس مثل جلد الفقمة مطلياً بلون أحمر داكن.

كان مشغل أقراص مضغوطة يصدح بأغنية "إذا أردت الدم، ستحصل عليه"، وما أثاره لم يكن جسدها الرياضي اليافع أو الطريقة التي يهتز بها صدرها والحلقات الفضية مثبتة عليه، أو كيف – عندما نظرت إليه – كان تحديقها مباشراً ودون وجل.

بل إن ما أثار اهتمامه بالفعل هو أن شفتيها بالكاد كانتا تتحركان. وكان لديه شك فيما إذا لاحظ أحد غيره في الغرفة كلها ذلك. كانت تغني لنفسها، تغني مع

مشعل الأقراص المضغوطة. كانت تعرف كل الكلمات. كان ذلك أكثر شيء إثارة رآه منذ شهور.

رفع كأس شرابه لها، فقط ليجد أنها كانت فارغة. لم يتذكر أنه شربها. أحضرت له النادلة كأساً أخرى بعد دقائق قليلة. عرف منها أن راقصة السكين تدعى مورفين، وأنها إحدى أشهر فتياتهم. كلّفه الحصول على رقم هاتفها ومعرفة أنها ترقص منذ نحو السنتين مئة دولار، منذ اليوم الذي نزلت فيه من الحافلة قادمة من جورجيا. وكلّفه الأمر مئة أخرى ليعرف أنها عندما لا تكون ترقص، تجيب عند مناداتها ماري - بث.

27

تولّى جود القيادة قبل أن يعبرا حدود جورجيا بقليل. كان رأسه يؤلمه، ويشعر بضغط غير مريح في مقلتي عينيه أكثر من أي شيء آخر. ازداد شعوره بذلك نتيجة أشعة الشمس الجنوبية التي تسطع على كل شيء؛ مصدات السيارات، الزجاج الأمامي، والإشارات المرورية. وعندما لم يكن يحس بالصداع في رأسه، كانت السماء بالنسبة له فضاءً أزرق جميلاً ممتداً، خالياً من الغيوم.

حالما اقتربا من حدود ولاية فلوريدا، انتابه القلق من الإفراط في التوقع، وتهيجت معدته. كانت تستيمنت حينها على بعد أربع ساعات فقط. سيكون في منـــزل جيسيكا برايس الليلة، التي أصبح اسمها مكديرموت، شقيقة آنا، ابنة زوجة كرادوك الكبرى، ولم يكن يعرف ما قد يفعله عندما يصل إلى هناك.

خطر في باله أنه عندما يجدها، فقد ينتهي الأمر بموت أحدهم. كان قد فكّر بأنه قد يقتلها لما فعلته، وأنها هي من جنت على نفسها، لكن للمرة الأولى، وبعد أن أصبح قريباً من مواجهتها، أصبحت الفكرة أكثر من مجرد تفكير غاضب.

عندما كان فتى، كان يقتل الخنازير، فكان يحملها من قائمتيها، ويسحق دماغها على الأرضية الإسمنتية لعرفة والده. كان يأرجحها في الهواء ويضربها بالأرض، ويجعلها تصمت وسط زعيق مقرر للنفس وخاوٍ بطريقة ما، إنه نفس الصوت الذي يحدثه البطيخ عندما يسقط من علوٍ شاهق. كان يطلق النار على خنازير أخرى من بندقية رش، ويتخيل أنه يقتل والده.

عقد جود عزمه على فعل ما ينبغي عليه فعله. إلا أنه لم يكن يعرف ماهية هذا الشيء بعد. وعندما فكّر بالأمر ملياً، خشي من معرفته، وكان خائفاً من الاحتمالات التي راودته مثلما كان خائفاً من الشيء الذي يلاحقه، الشيء الذي كان فيما مضى كرادوك مكديرموت.

كان يعتقد أن جورجيا تأخذ غفوة، ولم يعرف أنها مستيقظة حتى تكلمت.

قالت بصوت أحش: "إنه المحرج التالي".

نسي جود كل شيء عن حدة جورجيا حتى أنه نسي وعده لها.

تبع إرشاداتها، وانعطف يساراً في نهاية الطريق، وسلك طريقا عاما من مسربين يمر عبر ضواحي كريكتس البائسة في جورجيا. مرّا بجانب معارض سيارات مستعملة، التي يوجد فوقها آلاف المثلثات البلاستيكية الحمراء والبيضاء والزرقاء التي تعصف بها الرياح، وترك حركة السير تقودهما إلى البلدة نفسها. سارا بجانب حافة إحدى ساحات البلدة المعشوشبة، وتخطيا مبنى المحكمة، وقاعة البلدة، والمبنى الضخم المهلهل الذي يعود لمسرح النسر.

قادهما المسلك إلى منـــزل بامي عبر الساحات الخضراء لكلية بابتيست الصغيرة. كان هناك شباب يضعون ربطات عنق مدسوسة تحت سترانهم ذات القبة على شكل سبعة، يمشون بجانب فتيات يرتدين تنانير ذات ثنيات، وشعرهن ممشّط ولامع كما لو أنهن خارجات من إعلانات الشامبو. حدّق بعض الطلاب بجود وجورجيا، في الموستانغ، ووقف كلبا الرعي على المقعد الخلفي، وتنفس أنغوس وبون على الزجاج الخلفي حيث ظهرت آثار بخار أنفاسهما. وانكمشت فتاة، تمشي بجانب شاب أطول منها يتسلى بربطة عنق صفراء، على زميلها عندما مرّا بجانبهما. وضع صاحب ربطة العنق الصفراء ذراعه حول كتفيها لتهدئتها. لم يقف جود أمامهما، بل تجاوز بسيارته بضعة مبانٍ سكنية، وكان يشعر بثقة بالنفس، وبالفخر لتمالكه أعصابه. كانت أعصابه حديدية.

خلف الكلية، وجدا نفسيهما في شارع تصطف على جانبيه مبانٍ من العهدين الفكتوري والاستعماري، وتبرز منها لوحات لمكاتب محامين وعيادات أطباء أسنان. وفي مكان أبعد من الشارع، كانت المنازل أصغر، وكانت بيوتا للناس وليست مكاتب. وعند أحد المنعطفات حيث تنمو أزهار صفراء عند أحد الجانبين، قالت جورجيا: "استدر هنا".

لم تكن المرأة التي فتحت الباب بدينة بل مربوعة، وكانت قوية البنية مكفهرة الوجه، ذات شاربين مزغبين، وعينين طفوليتين لمّاحتين، وبشرة سمراء منهكة. دفعت الباب بقبضتيها. حدّقت بجود وجورجيا لبرهة، فيما رسمت جورجيا ابتسامة خجولة بلهاء على محياها. ثم لمع شيء في عيني جدّتها (جدة؟ كم كان عمرها؟

ستون؟ حمس وحمسون؟ حطرت فكرة في ذهن حود بأنها قد تكون أصغر منه حتى) بحدّة، كما لو أن عدستي عينيها ركّزتا على شيء، وصرخت وفتحت دراعيها. ودفعت جورجيا نفسها بينهما.

صرخت بامي: "أم. بي". ثم ابتعدت عنها، وكانت ما تزال تمسكها من وركيها، وحدّقت في وجهها. "ما خطبك؟"

وضعت راحة كفها على حبين جورجيا. أفلتت جورجيا نفسها منها. رأت بامي بعد ذلك يدها المضمدة، فأمسكتها من معصمها، ونظرت إليها بتمعّن. ثم تركت اليد؛ بل تقريباً قذفتها.

"هل أنت مدمنة؟ يا الله! رائحتك مثل كلب".

"لا يا بامي. أقسم بالله، لست مدمنة الآن. رائحتي مثل الكلب لأن هناك كلبين رافقاني طوال اليومين الماضيين. لماذا تفكرين دائما في الأسوأ؟" بدت العملية التي بدأت على بعد ألف ميل تقريبا - عندما بدأ السفر حنوباً - تكمل نفسها، لهذا أصبح كل ما تقوله جورجيا ريفيا آنذاك.

هل بدأت تستعيد لهجتها الأصلية فعلاً حالما أصبحا على الطريق؟ أم أنها تحولت إليها قبل ذلك حتى؟ خطر في بال جود أنه سمع تلك اللهجة في صوتها منذ اليوم الذي ثقبت فيه نفسها بالدبوس غير الموجود في بذلة الرجل الميت. تحولها اللفظي أزعجه وأقلقه. عندما كانت تتكلم بتلك الطريقة - *لماذا تفكرين دائماً في الأسوأ؟* - كانت تبدو مثل آنا.

حشرت بون نفسها في الفراغ بين حود وجورحيا ونظرت بأمل نحو بامي. تدلّى لسان بون الوردي الطويل للحارج، واللعاب يسيل منه. في الحديقة المستطيلة الخضراء، كان أنغوس يسير يميناً ويساراً، ويدس أنفه في الزهور التي تنمو حول السياج.

نظرت بامي أولاً إلى حذاء جود من دوك مارتنـز، ثم رفعت بصرها نحو لحيته السوداء، ولاحظت في طريقها الضمادة المكشوطة المتسخة الملفوفة حول يده اليسرى.

"هل أنت نجم روك؟"

"نعم يا سيدتي".

"تبدوان كمن خرج من عراك. هل تشاجرتما مع بعضكما؟"

قالت جورجيا: "لا يا بامي".

"هذا لطيف، مع الضمادتين المتماثلتين على يديكما. هل هذا نوع من الأشياء الرومانسية؟ هل وضعتماها دلالة على عواطفكما؟ في أيامي كنا نستخدم خواتم راقية".

"لا يا بامي. نحن بخير. نحن في طريقنا إلى فلوريدا، كان ينبغي أن نتوقف عندك. أردت أن تلتقي جود".

"كان يبنغي أن تتصلي. كنت حضّرت لكما العشاء".

"لا نستطيع البقاء. يبنغي أن نصل إلى فلوريدا الليلة".

"لن تذهبا إلى أي مكان عدا السرير، أو ربما المستشفى".

"أنا بخير".

"غير صحيح. أنت أبعد ما يكون عن أي خير وقعت عيناي عليه". أزاحت خصلة من الشعر الأسود ملتصقة بخد جورجيا.

"أنت ترشحين عرقاً. أعرف المرض عندما أراه".

"أشعر بالحرارة وحسب، هذا كل ما في الأمر. أمضيت الساعات الثمانية الأخيرة محتجزة داخل سيارة مع هذين الكلبين البشعين وتكييف سيئ. هل ستحركين مؤخرتك الكبيرة عن الطريق، أم أصعد إلى السيارة وأنطلق بعيداً؟"

"لم أقرر بعد".

"لماذا التأخير؟"

"أحاول اكتشاف ما إذا كنتما هنا لقتلي والاستيلاء على محفظة نقودي لشراء أوكسكنتن. الجميع يطلبه هذه الأيام. هناك أولاد في المدارس الثانوية يعملون في البغاء للحصول عليه. عرفت عن الأمر من الأخبار هذا الصباح".

"لحسن حظك أنك لست في المدرسة الثانوية".

بدت بامي على وشك أن ترد، لكن نظرتها تجاوزت مرفق جود، وتركزت على شيء في الحديقة.

نظر للخلف ليرى ما الأمر. كان أنغوس يربض في المكان، وجسده منكمش كما لو أن جدعه أوكورديون، ووقف وبر ظهره الأسود اللامع على شكل ثنيات، وكان يلفي بقذارة بعد الأخرى على العشب.

قال حود: "سأنظف المكان. آسف على ذلك".

قالت جورجيا: "انظري جيداً يا بامي. إذا لم أر مرحاضاً في غضون دقيقة أو اثنتين، سأفعل مثله".

حفّضت بامي رمشيها المثقلين بالمسكرة، وتنحت عن الطريق. "هيا ادخلا. لا أريد أن يراك الجيران واقفة هنا بأي حال. سيعتقدون أنني أبدأ فصلي الخاص من **ملائكة جهنم**".

28

عندما تعرّفا على بعضهما، رسمياً، اكتشف جود أن اسمها السيدة فوردهام، وأخد يدعوها بذلك الاسم منذ ذلك الوقت. لم يستطع أن يدعوها بامي؛ وللمفارقة، لم يستطع التفكير بأنها السيدة فوردهام حقاً. لقد كانت بامي، مهما كان يدعوها.

قالت بامي: "لنضع الكلبين في الخارج حيث يمكنهما الجري".

تبادلت جورجيا وجود النظرات. كانوا جميعاً في المطبخ عندها. كانت بون تحت طاولة المطبخ. ورفع أنغوس رأسه ليشم ماذا يوجد على المنضدة، حيث كان هناك جبن بخالة على طبق.

كانت مساحة المطبخ أصغر من أن تستوعب الكلبين. وكانت الردهة الأمامية صغيرة جدا عليهما، أيضا. عندما تسابق أنغوس وبون عبرها، ضربا طاولة جانبية، وتعلقلت الآنية الحرفية الموجودة عليها، وارتطما بالجدران بقوة جعلت الصور تنحرف من مكانها.

عــندما نظــر جــود إلى بامي مجدداً، كانت عاقدة الحاجبين. إذ كانت قد رأت النظرات المتبادلة بين جود وجورجيا، وعرفت أنها تعني شيئاً، لكن لم تعرف ما هو.

تكلمت جورجيا أولا: "آه يا بامي، لا نستطيع إخراجهما إلى مكان غريب. سيعبثان بحديقتك".

أزاحت بون جانباً بعض الكراسي حتى تستطيع المرور من تحت الطاولة. فوقع أحدها محدثاً جلبة حادة. عندها، مالت جورجيا نحوها، وأمسكت بها من طوقها.

قالت جورجيا: "سآخذها. هل أستطيع استعمال الحمام؟ احتاج للاغتسال، وربما الاستلقاء. تستطيع البقاء معي، ولن تسبب المشاكل".

وضع أنغوس مخالبه على المنضدة ليصبح حطمه أقرب إلى حبر الحالة.

قال جود: "أنغوس. تعال إلى هنا".

كان لدى بامي دجاج بارد وسلطة ملفوف في الثلاجة، وعصير ليمون محضر منـــزلياً أيضا، كما هو متوقع، في إبريق زجاجي متعرق. عندما صعدت جورجيا السلالم الخلفية، حضّرت بامي طبقاً لجود. فجلس يتناوله. بينما كان أنغوس رابضا عند قدميه.

من مكانه إلى طاولة المطبخ، كان جود يستطيع رؤية الحديقة الخلفية. كان هناك حبل يتدلّى من أحد أغصان شجرة جوز طويلة وقديمة، وقد اختفى الإطار الذي كان متصلاً به ذات مرة. كما كان هناك زقاق وراء السياج الخلفي، مرصوف بآجر قديم بشكل غير منظم.

سكبت بامي لنفسها كأساً من عصير الليمون، وأسندت مؤخرتها على منضدة المطبخ. كان رف النافذة خلفها مزدحماً بتذكارات البولينغ. كان زنداها مرفوعين ويظهر منهما ساعدان مليئان بالشعر مثل ساعديه.

"لم أسمع أبداً القصة الرومانسية حول كيفية لقائكما".

قال: "كنا في سنترال بارك. نقطف الزهور. تكلمنا وقرّرنا أن نخرج في نزهة معا".

"إما ذلك أو أنكما التقيتما في نادٍ سيئ".

"عند التفكير بالأمر، ربما يكون ناديا سيئا".

"أنت تأكل كأنك لم تر الطعام من قبل أبدا".

"لم نتناول طعام الغداء".

"لماذا أنتما في عجلة من أمركما؟ ما الذي يحدث في فلوريدا وتريدان الوصول إليه بسرعة؟ بعض أصدقائكما يقيمون حفلة ولا تريدان تفويتها؟"

"هل أنت من حضّر هذه السلطة بنفسك؟"

"حزرت".

"إنها جيدة".

"هل تريد الوصفة؟"

كان المطبخ ساكناً عدا عن صوت احتكاك شوكته بالطبق، وارتطام ذيل الكلب على الأرضية. حدّقت به بامي.

أخيرا، ولقطع الصمت، قال جود: "لماذا تدعوك ماري – بت بامي؟"

قالت بامي: "اختصاراً لاسمي الأول؛ "ألاباما". "إم. بي" تدعوني بهذا الاسم منذ كانت تبلل حفاضاتها".

استقرت قطعة من الدجاج الجاف في قصبة جود الهوائية. فسعل وضرب على صدره، وطفرت من عينيه الدموع، واحمرّت أذناه.

قال بعد أن تنحنح: "حقاً. ربما يكون هذا خارج سياق الموضوع، ولكن هل حضرت إحدى حفلاتي من قبل؟ مثلا، هل سبق ورأيتني ربما في إحدى الإعلانات سنة 1979؟"

"لا أعتقد ذلك. لم أهتم بموسيقى الروك حتى عندما كنت شابة. حفنة من الغوريلات يقفزون على منصة، ويطلقون الشتائم بصوت عالٍ، ويدفعون حناجرهم إلى الخارج. ربما أكون قد شاهدتك فيما لو كنت قد شاركت في افتتاح حديقة ألعاب المدينة؟"

مسح جود العرق المتصبب من جبينه، وكان في داخله يشعر براحة كبيرة. "كنت أعرف امرأة تدعى ألاباما مرة. لا تقلقي حول ذلك".

"لماذا أنتما منهكان إلى هذا الحدّ؟ تبدوان بحالة مزرية".

"كنا في فيرجينيا، وتمشينا إلى مطعم بالقرب من النـــزل. وفي طريق العودة، كادت سيارة تدهسنا تقريباً".

"هل أنت واثق من أنها كادت؟"

"نزلنا تحت منصة قطار، واصطدم شخص ما بجدار حجري مباشرة. وهشّم وجهه بالزجاج الأمامي، أيضاً".

"لماذا فعل ذلك؟"

"حسناً، أعتقد...".

"هل كان ثملاً؟"

"لا أعرف. لا أعتقد ذلك".

"ماذا حدث عندما وصلت الشرطة إلى هناك؟"

"لم نبق لنتحدث إليهم".

"لم تبقيا..."، همّت بالحديث، ثم توقفت، ورمت بما تبقى من عصير ليمون في كأسها في حوض غسل الصحون، ومسحت فمها بظاهر كفها. رمّت شفتيها، كما لو أن آخر رشفة من الليمون كانت أكثر حموضة مما ترغب.

قالت: "هل أنتما مستعجلان؟"

"نوعاً ما".

قالت: "بني، ما حجم المشكلة التي تواجهانها؟"

نادته جورجيا من أعلى السلالم.

"تعال لتنام قليلاً يا جود. اصعد للأعلى. ستنام في غرفتي. هل توقظينا، يا نامي، بعد ساعة؟ ينبغي أن نسافر".

"لا حاجة لسهركما الليلة. تعرفين أنكما تستطيعان البقاء".

قال جود: "الأفضل أن نغادر".

"لا أرى ضرورة لذلك. إنها الخامسة تقريباً. أياً كانت الجهة التي تقصدانها، لن تصلا إلا في وقت متأخر".

"لا بأس بذلك. نحن أهل ليل". وضع طبقه في حوض غسل الصحون.

تفحّصته نامي بنظراتها. "لن تغادرا دون عشاء؟"

"لا يا سيدتي. لن نفكر بذلك. شكراً لك".

أومأت برأسها. "سأحضّره أثناء نومكما. من أي منطقة من الجنوب أنت، على كل حال؟"

"من لويزيانا، من مكان يدعى مورز - كورنر. لا يمكن أن تسمعي به. لا يوجد شيء هناك".

"أعرفه. تزوجت شقيقتي رجلا أخذها إلى سليدل. مورز - كورنر بجانبها تماما. أهلها طيبون".

قال جود: "ليس أهلي". وصعد السلالم، وكان أنغوس يقفز على الدرجات وراءه.

كانت جورجيا تنتظر في الأعلى، في الظلمة الباردة لممر السلالم. كان شعرها ملفوفاً بمنشفة، وترتدي قميصاً لجامعة دوك وسروالاً قصيراً فضفاضاً.

كانت ذراعاها متشبكتين تحت صدرها، وتحمل في يدها اليسرى صندوقاً أبيض مسطحاً، مشقوقاً من طرفه ومربوطاً بشريط بني بهت لونه.

كانت عيناها أكثر شيء يلمع حولها، شعلتين متقدتين من اللون الأخضر تلمعان بشكل غير طبيعي، وعلى وجهها المنهك نوع من اللهفة.

سألها: "ما هذا؟" فأدارته حتى يستطيع قراءة الكتابة على جانبه.

ويجا - باركر إخوان - لوح كلام

29

قادته إلى غرفة نومها، ورفعت هناك المنشفة عن رأسها ووضعتها فوق كرسي.

كانت غرفة صغيرة، تحت إفريز السطح، بالكاد تتسع لهما وللكلبين. كانت بون متكورة آنذاك على سرير صغير ملتصق بأحد الجدران. أصدرت جورجيا صوت طقطقة باستعمال لسانها، وربتت على الوسادة، فقفز أنعوس إلى الأعلى بجانب بون، واستقر هناك.

وقف جود أمام الباب المغلق - كان يحمل لوح ويجا آنذاك - واستدار بشكل دائري وببطء، ينظر إلى المكان الذي أمضت فيه جورجيا معظم طفولتها. لم يكن مستعدا لأي شيء جميل جداً مثل ذلك المكان. كان على السرير لحاف مضرّب يدويا، على شكل العلم الأميركي. وتكدست مجموعة من تماثيل وحيد القرن الصغيرة، بألوان مختلفة، في سلة قش في الزاوية.

كان لديها خزانة عتيقة من خشب الجوز، مع مرآة عليها، من النوع الذي يمكن تحريكه للأمام والخلف، وكانت هناك صور ملتصقة على إطار المرآة. كانت باهتة وقد أكل عليها الدهر وشرب، وتظهر فيها فتاة بارزة الأسنان، شعرها أسود، في سنين مراهقتها، نحيلة وضعيفة البنية. كانت ترتدي في تلك الصورة لباس ليتل ليغ، الذي كان مقاسه كبيرا جدا عليها، أمّا أذناها فكانتا بارزتين من تحت القبعة. كانت تقف في تلك الصورة بين صديقاتها، اللواتي أحرقت الشمس بشرتهن جميعاً، وصدورهن مكشوفة، يبدين واثقات من أنفسهن في لباس البكيني، على الشاطئ في مكان ما، وبدا جسر في خلفية الصورة.

كانت الإشارة الوحيدة على الشخص الذي ستصبح عليه فيما بعد هي صورة التخرج، إذ كانت جورجيا ترتدي في الصورة عباءة التخرج والقبعة الخاصة بها.

وكانت تقف في الصورة مع والديها: امرأة واهنة ترتدي فستاناً مطبّعاً بالأزهار، كما لو أنها قادمة من السوق مباشرة؛ ورجل يشبه حبة البطاطا شعره مشعث ويرتدي سترة رياضية مقلمة ورخيصة. كانت جورجيا تقف بينهما مبتسمة لكنّ عينيها كانتا حزينتين، وماكرتين، وممتعضتين. وفيما كانت تمسك بوتيقة تحرجها في إحدى يديها، كانت الأخرى ترتفع بتحية قاسية، والخنصر والسبابة مرفوعتان بإشارة النصر، وأظفارها مطلية باللون الأسود. هكذا كان حالها.

وجدت جورجيا ما كانت تبحث عنه في الدرج، علبة من أعواد الثقاب. انحنت فوق الرف المثبت على النافذة لتشعل بعض الشموع. كانت كلمة "منتحب" مطبوعة على مؤخرة سروالها القصير. وكانت مؤخرتها مشدودة وقوية نتيجة ثلاث سنوات في الرقص.

سألها جود: "منتحب ماذا؟"

نظرت للخلف نحوه، وتجهم جبينها، ثم رأت ما كان ينظر إليه، واسترقت النظر إلى خلفيتها، ثم ابتسمت.

"الجمباز. كانت رياضتي المفضلة".

"هل تعلمت رمي السكين هناك؟"

كانت تستخدم سكيناً غير حقيقية عندما تؤدي رقصتها، لكن كان بوسعها استعمال سكين حقيقية أيضا. أظهرت له مهارتها ذات مرة، عندما رمت سكين طويلة النصل على قطعة خشب من على بعد عشرين قدم، وانغرزت عميقاً بها، وتبع ذلك صوت تذبذب معدني، ونغمة موسيقية منخفضة ناتجة عن جسم فولاذي يهتز.

"لا. بامي علّمتني ذلك. تمتلك بامي ذراعاً قوية ترمي بها. كرات البولينغ، كرات البيسبول. منحنى رميتها رائع. كانت رامية الكرة ضمن فريقها عندما كانت في الخمسين. لم يكن أحد يستطيع التغلب عليها. علّمها والدها كيف ترمي السكين، وبدورها علّمتني ذلك".

بعد أن أضاءت الشموع، فتحت كلتا النافذتين عدة سنتمترات، دون أن تزيح الستارتين البيضاوين. وعندما هبّ النسيم، تحركت الستارتان، وتسللت أشعة الشمس الباهتة إلى الغرفة، وأضاءت الغرفة بموجات لطيفة من الأضواء الخافتة. لم ترد الشموع من قوة الضوء كثيراً، لكن رائحتها كانت لطيفة، وامتزجت مع شذا الأعشاب الباردة النضرة في الخارج.

استدارت جورجيا، وشبكت قدميها، وجلست على الأرض. جثا جود على ركبتيه قبالتها، وتلامست ركبهما.

وضع العلبة بينهما، ثم فتحها، وأخرج لوح اللعب. هل يعدّ لوح ويجا لوح لعب، تماماً؟ كانت أحرف الأبجدية موزعة على كامل اللوح الملون، وكذلك كان هناك كلمتا **نعم ولا**، وصورة شمس مع وجه يبتسم بحنو، وقمر يحملق بمن ينظر إليه. وضع جود فوق اللوح سهم بلاستيكي أسود يبدو مثل البستوني في أوراق اللعب.

قالت جورجيا: "لم أكن واثقة أنني أستطيع قلبه، لم أنظر أسفل هذا الشيء منذ نحو ثماني سنوات. هل تتذكر تلك القصة التي أخبرتك إياها، حول رؤيتي في إحدى المرات لشبح في حديقة بامي الخلفية؟'

"تو أمها".

"خفت كثيراً منه، لكنه أثار فضولي، أيضاً. غريبة هي أحوال الناس. لأنني عندما شاهدت الفتاة الصغيرة في الحديقة الخلفية، الشبح، أردتها أن تذهب بعيداً. ولكن عندما اختفت، سرعان ما تمنيت أن أراها مجدداً. بدأت أنتظر أن أعيش تجربة أخرى مثل تلك أحياناً، وأن ألتقي شبحا آخر'.

"أنت تختبرين تجربة أخرى الآن مع شبح يطاردك. من قال إن الأحلام لا تتحقق؟"

ضحكت. "على كل حال. بعد فترة طويلة من رؤيتي لشقيقة بامي في الحديقة الخلفية، اشتريت هذا بخمسة دولارات ونيف. وتعودت مع صديقتي على اللعب به. كنا نستشير الأرواح حول الفتيان في المدرسة. وكنت في كثير من الأحيان أحرّك السهم سراً، وأجعله يقول أشياء. كانت صديقتي، شيرل جين، تعرف أنني أجعله يقول أشياء، لكنها كانت تتصرف دائماً كما لو أنها تصدق فعلاً أننا نتكلم إلى شبح، وكانت عيناها تجحظان من رأسها. كنت أحرك السهم، ويخبرها لوح ويجا بأن فتى ما يحتفظ ببعض ألبستها الداخلية في حرانته، وكانت تطلق صرخة وتقول: 'كنت أعرف دائماً أنه مفتون بي!" كانت لطيفة وتصحبني دائماً، وتصبح سخيفة جداً وتشاركني اللعب". حكّت جورجيا مؤخرة عنقها. وقالت كما لو أن شيئاً خطر ببالها لاحقاً: "مرة، كنا نلعب ويجا، وبدأت تتصرف كما لو أن شيئا يحدث. لم أكن أحرك السهم أو أفعل أي شيء".

"ربما كانت **شيرل جين** تحركه".

"لا. كان يتحرك من تلقاء نفسه، وكلتانا عرفنا ذلك. أستطيع القول إنه كان يتحرك من تلقاء نفسه لأن شيرل لم تكن تنظر إليه بعينيها الكبيرتين. أرادت شيرل أن يتوقف. وعندما أخبرنا الشبح عن هويته، قالت إن ذلك ليس مسليا. وقلت إنني لا أفعل شيئاً، وقالت أوقفيه. لكنها لم ترفع يدها عن السهم".

"من كان الشبح؟"

"ابن عمها فريدي. كان قد شنق نفسه في الصيف، وكان في الخامسة عشرة من عمره. كانا مقربين فعلا... فريدي وشيرل".

"ماذا كان يريد؟"

"قال إن هناك صورا في مخزن أهله لأشخاص يرتدون ملابس داخلية. أرشدنا إلى مكانها بالضبط، كانت مخبأة تحت الأرضية. قال إنه لا يريد أن يعرف والداه بأنه كان شاذاً، وأن يحزنا أكثر مما هما حزينان أصلا. قال إن ذلك هو السبب وراء انتحاره، لأنه لا يريد أن يظلّ شاذاً. ثم قال إن الأرواح ليست صبيانا أو بناتا. إنها أرواح وحسب. وقال إنه لا شذوذ هناك، وأنه كسر خاطر أمه دونما سبب. أتذكر ذلك بوضوح، فلقد استعمل عبارة **كسرت خاطرها**".

"هل ذهبتما للبحث عن الصور؟"

"تسللنا إلى المخزن، بعد ظهيرة ذلك اليوم، ووجدنا لوح الأرضية المخلوع، لكن لم يكن هناك شيء مخبأ تحته. ثم ظهر والد فريدي خلفنا وصرخ علينا، وقال إنه غير مسموح لنا بالتسلل إلى مخزنه، وجعلنا نعرّ من أمامه. قالت شيرل إن عدم إيجاد أي صورة يثبت أن الأمر كله مجرد كذبة، وأنني لفّقت القصة بأكملها. لن تتخيل كم كانت غاضبة. لكنني أعتقد أن والد فريدي عثر على الصور قبلنا، وتخلص منها، حتى لا يعرف أحد أن ابنه كان شاذاً. كانت الطريقة التي صرخ بها علينا تدل على أنه خائف مما قد نعرفه، أو مما قد نبحث عنه". توقفت عن الكلام، ثم أضافت: "لم نستطع أنا وشيرل أن نتجاوز الأمر أبدا. تظاهرنا بأننا وضعناه خلفنا، لكن بعد ذلك لم نقض وقتا طويلاً معاً. كان ذلك يناسبني كثيراً. وكنت حينها أنام مع صديق والدي جورج روجر، ولم أكن أرغب بوجود الكثير من الأصدقاء حولي ليسألوني حول كيفية وصول مقدار كبير من المال إلى جيوبي فجأة".

تحركت الظلال للأعلى والأسفل. وتعاقب الضوء والعتمة في الغرفة، وتثاءب أنغوس.

قال جود: "إذاً ماذا فعلت؟"

"ألم تلعب مطلقاً بإحدى هذه الألعاب؟"

هزّ جود رأسه.

قالت: "حسناً، يضع كلانا إحدى يديه على السهم". ومدت يدها اليمنى للأمام، ثم غيّرت رأيها، وحاولت سحبها.

تأخرت كثيراً. فلقد وصلت يده إليها، وأمسك بمعصمها. فرعت؛ كما لو أن المعصم كان هشاً.

كانت قد أزاحت ضمادتها قبل الاغتسال، ولم تضع أخرى جديدة بعد. جعلته رؤية يدها العارية يطلق الزفرات. فلقد كانت تبدو كما لو أنها نُقعت في ماء الحمام لساعات، وكان الجلد متجعداً، وأبيض وطريا. كانت حالة الإبهام أسوأ. وبدا للحظة واحدة، في الظلمة، مكشوط الجلد تقريبا. كان اللحم بلون أحمر داكن، وهناك دائرة واسعة من التقرح مكان بصمة الإبهام، مثل قرص مغمور بالماء، أصفر من القيح، ويعتم لونه حتى يصبح أسود في الوسط.

قال جود: "يا الله!"

كان وجه جورجيا الشاحب للغاية، والهزيل للغاية هادئاً بشكل مدهش، يحدّق به عبر الظلال المتحركة. سحبت يدها بعيدا.

سألها جود: "هل تريدين فقدان تلك اليد؟ هل تريدين أن تعرفي إذا كنت ستموتين من تسمم الدم؟"

"لست خائفة من الموت كما كنت قبل يومين. أليس ذلك غريباً؟"

فتح جود فمه ليجيبها، لكنه وجد أن لا شيء لديه يقوله.

كان يغلي من الداخل. ما أصابها في يدها قد يقتلها إذا لم يفعل شيئاً، وكانا يعرفان ذلك، ولم تكن خائفة.

قالت جورجيا: "الموت ليس النهاية. أعرف ذلك الآن. كلانا يعرف".

"ليس ذلك سبباً لتتخذي *قراراً* بالموت بكل بساطة، ولكي لا تعتني بنفسك".

"لم أقل إنني أرغب بالموت. قلت إنني لن أذهب إلى أي مستشفى. لقد تحدثنا

عن تلك الفكرة سابقاً. تعرف أننا لا نستطيع اصطحاب الكلبين إلى داخل غرفة الطوارئ معنا".

"أنا ثري. أستطيع استدعاء طبيب".

"أخبرتك سلفا، لا أعتقد أن أي طبيب يستطيع علاج ما أصابني". انحنت للأمام، ودقت بمفاصل أصابع يدها اليسرى على لوح ويجا. 'هذا أكثر أهمية من المستشفى. عاجلا أم آجلا سيتخطى كرادوك الكلبين. أظن عاجلا. سيجد طريقة ما. لا يستطيعان حمايتنا للأبد. نعيش دقيقة بدقيقة، وأنت تعرف ذلك. لا أمانع أن أموت إذا لم يكن ينتظرني عند الطرف الآخر".

"أنت مريضة. هذا تفكير المحموم. لست بحاجة لهذا السحر. تحتاجين إلى مضاد التهاب".

قالت، وعيناها مشرقتان زاهيتان: "أنا بحاجة لأن تغلق فمك، وتضع يدك على السهم".

30

قالت جورجيا إنها ستلعب جولة، ووضعت أصابع يدها اليسرى بجانب يده على السهم؛ الذي كان يدعى لوح الأرواح. لقد بدأ جود يتذكر آنداك. نظر للأعلى عندما سمع صوت أنفاسها المجهدة الثقيلة. أغلقت عينيها، ليس كما لو أنها على وشك أن تأخذ سنة من النوم، ولكن كما لو أنها على وشك القفز من لوح غوص عالٍ ومحاولة التغلب على شعور الحرقة في معدتها.

قالــت: "لا بــأس. اســمي ماري – بث ستيسي كمبل. أطلقت على نعسي اسم مورفين لعدة سنوات، وكانت سنوات سيئة. والرجل الذي أحبه يدعوني جورجيا، رغم أن دلك يدفعني للجنون، لكن ماري – بث هي ما أنا عليه، وهو اسمي الحقيقي". فتحت عينيها شزراً، ونظرت إلى جود من بين رموشها. "عرّف عن نفسك".

كان على وشك أن يتكلم عندما رفعت يدا لإيقافه.

"اسمك الحقيقي، الآن. الاسم الذي يحدد هويتك الحقيقية. الأسماء الحقيقية مهمة جداً. الكلمات الحقيقة تحمل دافعاً بين طياتها. دافعا يكفي لإعادة الموتى إلى الحياة".

شعر بالغباء؛ شعر بأن ما يفعلانه لا يمكن أن ينجح، وأنه مضيعة للوقت، وأنهما يتصرفان مثل الأطفال. تسنّت له خلال مسيرته المهنية مجموعة من المناسبات التي جعل فيها من نفسه أحمق، على كل حال. مرة، من أجل فيديو كليب، هو وفرقته – ديزي، جيروم، وكيني – هربوا خائفين عبر حقل فضّة، يلاحقهم قزم يرتدي بذلة أقزام متسخة، ويحمل منشارا جنــزيريا. ومنذ دلك الوقت، طوّر جود شيئاً يشبه المناعة من الإحساس بالغباء. لهدا عندما كان يتوقف، لم يكن دلك بسبب تردده في الكلام، وإنما لأنه لا يعرف ما يقوله حقا.

أخيراً، وفيما كان ينظر إلى جورجيا، قال: 'اسمي... جوستن. جوستن كاورنسكي. أظن ذلك. رغم أنني لم استعمل هذا الاسم مند كنت في التاسعة عشرة من عمري'.

أغلقت حورجيا عينيها، وانكفأت على نفسها، وظهرت تحعيدة بين حاجبيها الرفيعين، وكانت تلك إشارة صعيفة إلى أنها تفكر. تكلمت ىبطء، ورقة: "حسنا. لنبدأ. هدا نحن. نريد التحدث مع آنا مكديرموت. جوستن وماري - بت يريدان مساعدتك. هل آنا موحودة؟ آنا، هل تتحدثين إلينا اليوم؟'

انتظرا. تحركت الطلال. أطفال يصرخون في الشارع.

"هل هناك من يرغب بالتحدث إلى حوستن وماري - بت؟"

'حسناً، آنا مكديرموت قولي لنا شيئاً؟ من فضلك. نواحه المتاعب يا آنا. اسمعينا من فضلك. ساعدينا من فضلك'. ثم، بصوت يقترب من الهمس، قالت:

"تعالي. افعلي شيئا". تتحدث إلى لوح الأرواح.

أحرجت نون ريحا أثناء نومها، بصوت حاد، مثل قدم تـنــزلق على مطاط رطب.

قالت حورجيا: "لم تعرفني. اطلبها أنت'.

سأل، بصوت مذيع جهور، أجوف: 'آنا مكديرموت؟ هل هناك آنا مكديرموت في المنــزل؟ هل تستطيعين من فضلك القدوم إلى مركز معلومات ويحا؟

ابتسمت حورجيا ابتسامة واسعة حالية من حس الدعابة. "آه، نعم. كنت أعرف أنها مسألة وقت فقط قبل أن نبدأ بهدا'.

'آسف'.

'اسأل عنها. اسأل بحق'.

'هدا لن يجدي نفعاً'.

"لم تحاول".

'بلى، حاولت'.

'لا، لم تفعل".

"حسنا، لن يحدي هدا نفعا'.

توقع عدائية أو نفاد صبرها. لكن عوضاً عن دلك، اتسعت ابتسامتها أكثر،

وعاملته بلطف كبير لم يثق به مباشرة. "كانت تنتظر اتصالك، حتى يوم مماتها. كما لو أن هناك فرصة بحدوث ذلك. ماذا، هل انتظرت أسبوعاً كاملاً، قبل المضي قدماً في رحلة أخذتك إلى ولاية بعد أخرى في أميركا؟"

تورّد خجلاً. ليس أسبوعاً حتى. قال: "ربما لا ترغبين بأن تشعري بحرارة عالية تحت ذلك الطوق، على اعتبار أنك موضوع الكلام".

"أعرف، ويجعلني هذا أشعر بالاشمئزار. ضع! يدك! محددا على السهم اللعين. لم ننته بعد".

كان جود قد سحب يده عن لوح الأرواح، لكنه أعاد أصابعه عندما ثارت جورجيا.

"شعرت بالاشمئزار من كليهما. منك لما كنت عليه، ومني لأنني سمحت لك بالبقاء على تلك الحالة. الآن، اطلبها. لن تأتي إلي، لكنها قد تأتي من أجلك. كانت تنتظر اتصالك حتى النهاية، وفي حال قمت بذلك، كانت ستأتي مهرولة. وربما ما تزال ترغب بذلك".

حدّق جود باللوح، وأحرف الأبجدية، والشمس، والقمر؛ التي أكل الدهر عليها وشرب.

قال جود: "آنا، هل أنت بالجوار؟ هل تستطيع آنا مكديرموت القدوم والتحدث معنا؟"

كان لوح الأرواح قطعة بلاستيكية ساكنة لا حركة فيها. لم ينتاب جود مثل الشعور الذي شعر به الآن في ما مرّ عليه في الأيام الحوالي. لم يكن ذلك سيجدي نفعا، لم يكن صائباً. كان من الصعب عليه إبقاء يده على السهم. لم يكن يطيق صبراً لينهض، وينتهي كل شيء'.

قالت جورجيا: "جود'. ثم صححت قولها. 'جوستن. لا تترك الأمر. حاول مجددا".

جود. جوستن.

حدّق بأصابعه التي كانت على لوح الأرواح، تحت يده، وحاول التفكير فيما إذا كان كل شيء على ما يرام، ثم خطرت له الفكرة بعد لحظة واحدة. كانت جورجيا قد قالت له إن الأسماء الحقيقية تحمل دافعا بين طياتها، وأن الكلمات الصحيحة تمتلك قوة إعادة الموتى إلى الحياة. وخطر له عندها أن جوستن ليس

اسمه الحقيقي، وأنه ترك جوستن كاوزنسكي في لويزيانا عندما كان في التاسعة عشرة، وأن الرجل الذي استقل الحافلة في مدينة نيويورك بعد أربعين ساعة من ذلك كان مختلفاً كلياً، ويستطيع فعل وقول أشياء لا يستطيعها جوستن كاوزنسكي. وأن ما يخطئان به الآن هو أنهما يطلبان آنا مكديرموت. لم يدعوها بذلك الاسم إطلاقاً. لم تكن آنا مكديرموت عندما كانا معاً".

قال جود، بعدما تنهد تقريباً: "فلوريدا". عندما تكلم محددا، كان صوته مفاجئا له، وهادئا وواثقا. "تعالي وتكلمي معي يا فلوريدا. أنا جود يا عزيزتي. آسف لأنني لم أتصل بك. أدعوك الآن. هل أنت هناك؟ هل تصغين؟ هل ما زلت تنتظرينني؟ أنا هنا الآن. أنا هنا".

قفز لوح الأرواح من تحت أصابعه، كما لو أنه تلقى ضربة من أسفله. قفزت جورجيا معه، وأطلقت صرخة واهنة. ارتفعت يدها المصابة إلى حنجرتها. تغير اتجاه الهواء وظهر أثره في الظلال، وأغلق النوافذ بعنف، وغرقت الغرفة في ظلام دامس. رفع أنغوس رأسه، ولمعت عيناه بلون أخضر زاهٍ غير طبيعي على وهج الضوء الخافت القادم من الشموع.

بقيت يد جورجيا السليمة على السهم، ولكنها لم تستقر طويلا على اللوح حتى بدأ بالتحرك من جديد. كان الإحساس غير طبيعي، وجعل قلب جود يخفق بقوة. شعر بأن هناك أصابع أخرى على لوح الأرواح، يداً ثالثة، في الفراغ بين يده ويد جورجيا وتدوّر السهم، وتحول اتجاهه دون سابق إنذار. انزلق السهم على اللوح، ولمس حرفاً، وبقي هناك للحظة، ثم دار تحت أصابعه، وأجبر جود على ثني معصمه لإبقاء يده عليه.

قالت جورجيا: "م". كانت تلتقط أنفاسها بصعوبة بالغة. "ذا".

قال جود: "ماذا". تابع السهم طريقه نحو الأحرف، واستمرت جورجيا بالقراءة بصوتٍ عالٍ: أ، ب. أصغى جود، مركّزاً على ما تتم تهجئته.

جود: "أبقاك".

استدار لوح الأرواح نصف دورة، وتوقف، وكانت قواعده الصغيرة تهتز بهدوء.

ردّد جود: "ماذا أبقاك".

"ماذا إن لم تكن هي؟ ماذا إن كان هو؟ كيف نعرف مع من نتحدث؟"

اهتز لوح الأرواح، قبل أن تنهي جورجيا حديثها. كان الأمر مثل وضع إصبع على أسطوانة بدأت تدور فجأة.

جورجيا: "ل. م. ا. ذ. ا. ال...".

جــود: "لمـــاذا. السماء. زرقاء". كان السهم ما يزال في مكانه. "إنها هي. كانت دائما تقول إنها ستطرح أسئلة أكثر مما تجيب عنها. كان ذلك نوعا من الدعابة بيننا".

كانت هي، قفزت الصور إلى دهنه، وكانت سلسلة ثابتة زاهية. كانت في المقعد الخلفي للموستانغ، عارية على الجلد الأبيض ما عدا حذاء رعاة البقر وقبعة كبيرة مكسوة بالريش، تنظر إليه خلسة من تحت الحافة، وعيناها لامعتان بشكل مثير. كانت تجذب لحيته للخلف في حفلة ترينت ريربور، وكان يضرب وجنتيه حتى لا يصرخ. كانت ميتة في حوض الحمام، وهو شيء لم يره مطلقاً سوى في ذهنه، وكان الماء حبراً، وزوج والدها، في بدلته الجنائزية السوداء، جاثياً على ركبتيه بجانب الحوض، كما لو أنه يصلي.

قالت جورجيا: "تابع يا جود. تحدث إليها".

كان صوتها مجهدا، ويميل لأن يكون همسة. عندما رفع جود نظره إلى جورجيا، كانت ترتعش، رغم أن وجهها كان يتصبب عرقاً. لمعت عيناها عميقا في محجريهما العظميين المظلمين... عينان متقدتان.

"هل أنت بخير؟"

هزّت جورجيا رأسها - *اتركني وشأني* - وارتعشت بشدة. بقيت يدها اليسرى على السهم. "تحدث إليها".

نظر مجدداً إلى اللوح. كان القمر الأسود الرابض عند إحدى الزوايا يضحك. ألم يكن يحملق به قبل لحظة فقط؟ وكان كلب أسود في أسفل اللوح ينبح عليه. لم يلاحظ أنه موجود عندما فتحا اللوح أول مرة.

قال: "لا أعرف كيف أساعدك. آسف يا عزيزتي. أتمنى أن تقعي في حب أي شخص سواي. أتمنى أن تقعي في الحب مع أحد الطيبين. شخص لا يرسلك بعيداً عندما تسوء الأمور".

قرأت جورجيا: "هـــ. ل. أ. ن....". بنفس ذلك الصوت المجهد الذي يلتقط أنفاسه بصعوبة. كان يستطيع أن يسمع، في ذلك الصوت، الجهد المبذول لإخماد ارتعاشها.

"هل. أنت. غاضب".

بقي السهم في مكانه.

شعر جود بالدماء تغلي في عروقه، وبأشياء كثيرة، كلها معاً، لا يستطيع وصفها. لكنه يستطيع، وتبين أن الأمر سهل.

قال: "نعم".

طار السهم إلى كلمة **لا**.

"ما كان ينبغي أن تفعلي ذلك بنفسك".

"أ. ف. ع....".

قرأ جود: "أفعل ماذا. أفعل ماذا؟ تعرف ماذا. تقتل...".

قفز السهم عائداً إلى كلمة **لا**.

"ماذا تعني، **لا**؟"

قرأت جورجيا الحروف بصوت عال: "م. أ. ذ".

"ماذا. إن. لم. أستطع. الإجابة". هدأ السهم مجدداً. حدّق به جود للحظة، ثم فهم الأمر. "لا تستطيع الإجابة عن الأسئلة. تستطيع طرحها فقط".

لكن جورجيا كانت تقرأ الأحرف مجدداً: "هـ. ل. ي. ل....".

انتابها مقدار كبير من الارتعاش، حتى أن أسنانها اصطكت، وعندما نظر جود إليها، رأى بخار أنفاسها يخرج من بين شفتيها، كما لو أنها تقف في قبو تحرين بارد. لكن الغرفة لم تكن أكثر دفئاً أو برداً بالنسبة لجود.

الشيء التالي الذي لاحظه هو أن جورجيا لم تكن تنظر إلى يدها على السهم، أو إليه، أو إلى أي شيء. كانت عيناها زائغتين، ومثبتتين على منتصف المسافة بينهما. تابعت جورجيا تلاوة الحروف بصوت عالٍ، عندما كان لوح الأرواح يلمسها، ولكنها لم تكن تنظر إلى اللوح آنذاك، أو تشاهد ما يفعله.

قرأ جود فيما كانت جورجيا تلفظ الحروف برتابة مجهدة: "هل. يلحق. بك".

توقفت جورجيا عن قول الحروف، وأدرك أن السؤال اكتمل.

"نعم. نعم. يعتقد أنها غلطتي أنك انتحرت، ويخطط الآن للنيل مني".

لا. أشار لوح الأرواح إليها لحظة طويلة مؤكدة قبل أن يبدأ الدوران مجدداً.

تمتمت جورجيا بصعوبة: "ل. م. ا. ذ. ا. أ. ن....".

"لماذا. أنت. معفل. جداً". صمت جود، وهو يحدّق.

نبح أحد الكلبين على السرير.

تم فهم جود الأمر. انتابه شعور غامر للحظة بثقل في الرأس وارتباك شديد. كان شبيهاً بما يشعر به الإنسان في رأسه عندما يقف بسرعة كبيرة. وكان يشبه أيضاً الشعور بانزلاق الجليد تحت الأقدام، والإحساس بالحوف عند الغوص أول مرة. أدهشه أن الأمر استغرق منه وقتاً طويلاً ليفهمه.

قال جود: "اللعين. ذلك اللعين".

لاحظ أن بون مستيقظة، تحدق بقلق بلوح ويجا. كان أنغوس يراقب، أيضاً، ويضرب ذيله على الفراش.

قال جود: "ما الذي يمكننا فعله؟ إنه يلاحقنا، ولا نعرف كيف نتخلص منه. هل تستطيعين مساعدتنا؟"

تحرك السهم نحو كلمة **نعم**.

همست جورجيا: "البوابة الذهبية".

نظر جود إليها؛ وتراجع إلى الخلف. كانت عيناها قد ارتفعتا للأعلى، ولم يعد ظاهراً منهما سوى البياض، وكان جسمها كله يرتعش بعنف وباستمرار. وكان وجهها، الذي كان شاحباً للغاية آنذاك، مثل الشمع، وقد فقد المزيد من اللون، ويبدو شفافاً بشكل بغيض. تصاعدت أنفاسها. سمع لوح الأرواح، وقد بدأ يتحرك، وانزلق السهم عبر اللوح، ونظر للأسفل مجدداً. لم تكن جورجيا تنطق الحروف له، ولم تكن تتكلم. عمل على تجميع الحروف معاً بنفسه.

"من. سوف. يكون. البوابة. من سوف يكون البوابة؟"

قالت جورجيا: "سوف أكون البوابة".

قال جود: "جورجيا؟ ما الذي تتكلمين عنه؟"

بدأ السهم بالتحرك من جديد. لم يكن جود يتكلم آنذاك، وإنما يراقبه فقط وهو يشير إلى الحروف، ويبقى على كل منها لحظة واحدة قبل أن ينتقل إلى الآخر.

هل. ستدعينني. أعبر.

قالت جورجيا: "نعم، إذا استطعت. سوف أكون البوابة، وسأدعك تمرين، ثم ستوقفينه".

هل. تقسمين.

قالت: "أقسم". كان صوتها رفيعاً ومضغوطاً ومجهداً نتيجة خوفها. "أقسم أقسم يا الله أقسم. مهما كان الذي ينبغي عليّ فعله، لكنني لا أعرف مادا أفعل. أنا مستعدة للقيام بما ينبغي القيام به، فقط أخبريني ما هو".

هل. لديك. مرآة. يا. ماري - بث.

قالت جورجيا: "لماذا؟" رفّت برموشها، وعاد بؤبؤا عينيها إلى الأسفل لتنظر بإرهاق حولها. أدارت رأسها نحو خزانتها. "هناك واحدة...".

صرخت. ثم قفزت أصابعها بعيداً عن السهم، ووضعت يديها على فمها لتكتم الصرخة. في اللحظة نفسها، وقف أنغوس على قوائمه، وبدأ النباح من على السرير. كان يحدّق بما كان يحدّق به. في ذلك الوقت، كان جود يدور ليرى ما يجري بنفسه، وارتفعت أصابعه عن لوح الأرواح؛ الذي بدأ يدور ويدور من تلقاء نفسه، مثل طفل يقوم بحركات دائرية على دراجته الجبلية.

مالت المرآة على الخزانة للأمام لتظهر جورجيا، تجلس قبالة جود، مع لوح ويجا بينهما. وفقط في المرآة كانت عيناها مغطاتين بعصبة من الشاش الأسود ومذبوحة. كان هناك فم أحمر فاغر فيها، وقميصها مبلل بالدماء.

وثب أنغوس وبون من السرير في اللحظة ذاتها. ضربت بون الأرض، ووثبت على لوح الأرواح، وهي ترمجر. أطبقت فكيها على السهم، مثلما تهاجم فأراً يفر إلى جحره، وتمزق السهم إلى قطع في فمها.

اندفع أنغوس إلى الخزانة ووضع مخالبه الأمامية عليها من الأمام، ينبح بغضب على الوجه في المرآة. دفع ثقل وزنه الخزانة على قواعدها الخلفية. وكانت المرآة تتحرك للأمام والخلف، وارتدت إلى الخلف، ومالت حتى أضحى وجهها نحو السقف. سقط أنغوس على قوائمه الأربعة، وفي اللحظة التالية سقطت الخزانة أيضاً على قواعدها الخشبية الأربعة وارتفع صوت دوي رنّان. مالت المرآة نحو الأمام، ورأت جورجيا انعكاس صورتها عليها مرة أخرى. كان انعكاس صورتها فقط. فلقد اختفت الدماء؛ والعصبة السوداء.

31

في دفء الغرفة بعد الظهيرة، تمدد جود وجورجيا معاً على السرير. كان صغيراً جداً حتى يتسع لهما، وكان على جورجيا أن تستدير على جانبها وتضع ساقاً فوقه لتستلقي بجانبه. وسكن وجهها عند عنقه، ووضعت أرنبة أنفها الباردة على جلده.

كان خدراً. كان جود يعرف أنه بحاجة للتفكير بما حدث معه حتى ذلك الوقت، لكن بدا أنه لا يستطيع التفكير في ما رآه في المرآة، وفي ما حاولت آنا أن تقوله له. لم يكن ذهنه على استعداد للخوض في ذلك. لم يكن بمقدور ذهنه الابتعاد عن فكرة الموت حتى لحظات قليلة. شعر بأن ذهنه مزدحم بأفكار الموت، وشعر به في كل مكان حوله، شعر بالموت على صدره، وكل فكرة عن الموت كانت مثل صخرة تجثم عليه، وتقطع عنه الهواء: موت آنا، دابي، ديزي، جيروم، احتمال موته وموت جورجيا الذي ينتظره على الطريق. لم يستطع الحراك من ثقل كل أفكار الموت تلك التي تضغط عليه.

كان لدى جود فكرة أنه طالما بقي ساكناً دون أن يقول شيئاً، فسيستطيع وجورجيا قضاء هذه اللحظة الهادئة معاً لوقت غير محدد، والظلال تتعاقب والضوء الباهت يتحرك حولهما. ومهما كان ما ينتظرهما سيئاً، فلن يصل أبداً. طالما بقي في السرير الصغير، مع فخذ جورجيا البارد فوقه وجسدها يعانق جانبه، لا يمكن أن يصل إليهما المستقبل الذي لا يمكن تصوره.

نقرت بامي بإصبعها على الباب، وعندما تكلمت، كان صوتها هادئاً ومتردداً.

"هل أنتما بخير هنا؟"

دفعت جورجيا نفسها للأعلى بأحد مرفقيها، ومرّرت ظاهر يدها على عينيها.

لم يكن جود يعرف حتى ذلك الوقت أنها كانت تبكي. طرفت عينيها، وابتسمت، كانت ابتسامة *حقيقية*، وليست ابتسامة للعرض، رغم أنه لم يكن يستطيع أن يتخيل سبب ابتسامتها.

غسلت الدموع وجهها، وكانت تلك الابتسامة تبعث الأسى بصدقها الطفولي البسيط. بدا أنها تقول: *آه، حسناً. تعقد أحياناً اتفاقاً سيئاً*. فهم عندها أنها تعتقد أن ما شاهداه في المرآة كان نوعاً من الرؤية، عن شيء سيحدث، وقد لا يستطيعان تفاديه. تخوّف جود من الفكرة. لا. لا، الأفضل أن ينال كرادوك منه، وينهي ما بدأه من أن تموت جورجيا مذبوحة، سأل نفسه لماذا أطلعتهم آنا على ذلك، ماذا تريد؟

سألت بامي: "عزيزتي؟"

ردّت عليها جورجيا: "نحن بخير".

صمت.

ثم: "أنتما تتشاجران بالداخل، أليس كذلك؟ سمعت ضجيجاً".

قالت جورجيا: *"لا"*. وبدا أن ذلك الكلام أهانها. "أقسم بالله يا بامي. آسفة بشأن الضوضاء".

قالت بامي: "حسناً. هل تحتاجين أي شيء؟"

قالت جورجيا: "ملاءات جديدة".

صمت آخر. شعر جود بأن جورجيا تهتز على صدره، شعر برعشة خفيفة. عضت على شفتها السفلى حتى لا تضحك. بدا عليه أنه يقاوم الضحك هو الآخر، وقد غلب عليه إحساس بالمرح التشنجي المفاجئ. ضغط بيده على فمه، فيما كان جسده يهتز بضحكة خفيفة مكبوتة.

قالت بامي، التي بدا أنها تريد أن تتصنت: "يا الله!" وكانت خطواتها تبتعد عن الباب عندما كانت تقول ذلك.

ارتمت جورجيا على جود، واندفع وجهها الدافئ الرطب في عنقه. وضع ذراعيه حولها، وعانقا بعضهما فيما كان يكتمان ضحكتيهما.

32

بعد العشاء، قال جود إن عليه إجراء بعض المكالمات الهاتفية، وترك جورجيا وبامي في غرفة معيشة بامي. لم يكن لديه في الواقع أحد يتصل به، ولكنه كان يعرف أن جورجيا تريد قضاء بعض الوقت مع جدتها وأنهما ستكونان مرتاحتين أكثر دون وجوده هناك.

لكن حالما وصل إلى المطبخ، وكأس من عصير الليمون الطازج أمامه ولا شيء يشغل نفسه به، حتى وجد الهاتف في يده بأي حال. اتصل بخط المكتب ليستمع إلى الرسائل. انتابه شعور غريب، أن يكون مشغولاً بشيء لم يكن ذا أهمية كبيرة في أيامه العادية بعد كل ما حدث في ذلك اليوم، من هروبهما من كرادوك في المطعم إلى مقابلة آنا في غرفة نوم جورجيا. شعر جود بالانفصال عمّا كان عليه قبل أن يرى الرجل الميت أول مرة. بدت مهنته، معيشته، وكلٌ من العمل والفن اللذان شغلاه أكثر من ثلاثين سنة، مسائل لا أهمية خاصة لها. ضغط الأرقام، يراقب يده كما لو أنها تعود لشخص آخر، ويشعر بأنه متفرج سلبي على أحداث يقوم بها رجل آخر؛ ممثل يؤدي جزءاً من شخصيته هو.

كانت لديه خمس رسائل بانتظاره. كانت الأولى من هيرب غروس، محاسبه ومدير أعماله. صوت هيرب، الذي كان عادة مداهناً وواثقاً من نفسه، كان، في التسجيل، جزعاً منفعلاً. "سمعت للتو من بان شريف أن داني وتن وُجد ميتاً في شقته هذا الصباح. من الواضح أنه شنق نفسه. جميعنا خائفون هنا، كما يمكنك أن تتخيل. هل يمكنك الاتصال بي عندما تسمع هذه الرسالة؟ لا أعرف أين أنت. لا أحد يعرف. شكراً لك".

كانت هناك رسالة من ضابط يدعى "نيم"، قال إن شرطة بايكليف تحاول العثور على جود لتتحدث معه بشأن موضوع هام، وأنه يريد منه الاتصال به.

وكانت هناك رسالة من نان شريف، محاميته، التي قالت إنها تتولى كل شيء، وأن الشرطة تريد الحصول على إفادة منه حول داني، وأن عليه الاتصال بها بأسرع ما يستطيع.

كانت الرسالة التالية من جيروم برسلي، الذي توفي قبل أربع سنوات، بعد أن صدم بسيارته البورش شجرة صفصاف بسرعة أقل بقليل من مئة ميل بالساعة. "مرحباً يا جود، أعتقد أن علينا إعادة تجميع الفرقة قريباً، أليس كذلك؟ جون بونهام على الطبل. جوي رامون مسؤولاً عن الصوت". ضحك، ثم تابع الكلام بأسلوبه المألوف الكئيب. لطالما ذكّر صوت نعيق جيروم جود بالهزلي ستيفن رايت. "سمعت أنك تقود موستانغ مجددة الآن. كان ذلك شيئاً مشتركاً بيننا يا جود؛ نستطيع التحدث عن السيارات. أنظمة التعليق، المحركات، الأجنحة الخلفية، أنظمة الصوت، سيارات الموستانغ، ثندربيرد، تشارجر، بورش. هل تعرف ما كنت أفكر فيه ليلة قدت سيارتي البورش إلى خارج الطريق؟ كنت أفكر بكل الترهات التي *لم* أقلها لك. كل الترهات التي لم نتحدث عنها. مثل كيف أجبرتني على تعاطي الممنوعات، ثم مصيت قدماً، وأسهبت في الحديث لتقول لي إنني لو لم أتعاط، لكنت ستطردني من الفرقة. ومثل كيف أعطيت كريستين مالاً لتستقر في مكان خاص بها بعد أن تركتني، عندما هربت مع الأطفال دون كلمة. كيف أعطيتها مالاً تدفعه للمحامي. هناك ولاء لك. أو كيف لم تمنحني قرضاً لعيناً بسيطاً عندما كنت أخسر كل شيء؛ المنـــزل، السيارات. وكيف تركتك تنام على السرير في قبوي عندما نزلت من الحافلة التي أقلّتك من لويزيانا، ولم يكن معك ثلاثون دولاراً في جيبك". ضحك جيروم مجدداً؛ ضحكة المدخن القاسية المزعجة. "حسناً، سنحظى بفرصة لنتحدث أخيراً حول كل تلك الأمور قريباً. أعتقد أنني سأراك في أي يوم، سمعت أنك على طريق الليل الآن. أعرف إلى أين تؤدي تلك الطريق. إلى شجرة لعينة مباشرة. لقد انتشلوني من بين الأغصان، كما تعرف. عدا الأشلاء التي تركتها على الزجاج الأمامي. أفتقدك يا جود. أتطلع قدماً لأضع ذراعيّ حولك. سنغني كما فعلنا في الأيام الخوالي. الجميع يغنون هنا. تبدو الأصوات بعد فترة مثل الصراخ. استمع فقط. استمع ويمكنك سماعهم يصرخون".

كان هناك صوت ضجيج عندما رفع جيروم السمّاعة عن أذنه، وأمسك بها حتى يستطيع جود سماع ما يجري. ما جاء عبر الخط كان ضوضاء لم يسمعها

جود من قبل أبداً، غريبة ومخيفة، ضوضاء مثل طنين الذباب، مضخماً مئة مرة، وصرير دوران مكنات، وبخار مضغوط يفور ويغلي. عند إصغاء السمع، كان ممكناً سماع كلمات في كل تلك الضوضاء، أصوات غير بشرية تطلب أمها، وتدعو لإيقاف ذلك.

كـــان جود على وشك إلغاء الرسالة التالية، وتوقعها من ميت آخر، لكنها عوضاً عـــن ذلـــك كانت من مدبرة منـــزل والده آرلين ويد. كانت أبعد ما يكون عن تفكيره، واســـتغرقه الأمـــر عدّة لحظات حتى استطاع التعرف على صوتها القديم، الصدّاح، الغريب الخالي من أي نغمة، وعندها كانت رسالتها القصيرة قد انتهت تقريبا.

"مرحبا يا جوستن، إنها أنا. أريد أن أطلعك على ما يجري مع والدك. لم يفق من غيبوبته منذ ست وثلاثين ساعة. نبضات القلب منتظمة. اعتقدت أنك ترغب بأن تعرف. لا يتألم. اتصل إذا أحببت".

بعد أن أغلق جود السمّاعة، انحنى على منصدة المطبخ، ينظر إلى الليل. كان ردنا قميصه مرفوعين إلى مرفقيه، والنافذة مفتوحة، وكان النسيم المندفع منها بارداً على جلده ويحمل رائحة أزهار الحديقة. وكانت الحشرات تطنّ.

استطاع جود تخيل والده: الرجل العجوز ممدد على سريره الضيق، هزيلٌ، وضائعٌ، وتغطي ذقنه شعيرات بيضاء، والشيب يكسو صدغيه الغائرين. لم يكن جود يصدق أنه يستطيع شم رائحته، العفن والعرق، ورائحة المنـــزل الكريهة، رائحة ليست محصورة بغائط الأطفال، ورائحة الخنازير، ورائحة النيكوتين المنتشرة في كل مكان؛ الستائر، البطانيات، وورق الجدران. عندما غادر جود لويزيانا أخيراً، كان يفرّ من تلك الرائحة بقدر ما كان يفرّ من والده.

هرب، وهرب، وهرب وألّف الموسيقى، وجنى الملايين، وقضى حياته يحاول توسيع المسافة بينه والرجل العجوز بقدر ما يستطيع. الآن، مع القليل من الحظ، ربما يلقى ووالده حتفهما في اليوم نفسه. ربما يستطيعان عبور طريق الليل معاً. أو ربما يركبان معاً مقعد الركاب في شاحنة كرادوك مكديرموت الباهتة اللون. ويجلسان ملتصقين ببعضهما البعض حتى أن مارتن كاوزنسكي يستطيع وضع أحد مخالبه الهزيلة على مؤخرة عنق جود، ورائحته تملأ السيارة؛ رائحة المنـــزل.

ستكون تلك رائحة الجحيم، وسيذهبان إلى هناك معاً، والد وابن، بصحبة سائقهما البشع، بشعره القصير وبذلة جوني كاش التي يرتديها والمذياع الذي يلتقط

بث روش ليمبوغ. إذا استطاع جود تعريف الجحيم، فسيعرّفه بأنه مذياع يصدح، وعائلة.

في غرفة المعيشة، تمتمت بامي شيئا بصوت خافت، وضحكت جورجيا. أحنى جود رأسه نحو الصوت، وتفاجأ بعد لحظة واحدة لأنه وجد نفسه يبتسم بردّ فعل آلي. كيف استطاعت أن تضحك مجدداً، مع كل ما يتعرضان له وكل ما سيلاقيانه، لم يستطع أن يتخيل ذلك.

كانت ضحكتها مميزة، وأحب فيها ذلك أكثر من أي شيء آخر؛ الموسيقى العميقة المشوشة فيها، والطريقة التي تخرج بها الضحكة من قلبها. كانت تثيره، وتجعله يخرج عن طوره. كانت ساعة المايكروويف تشير إلى السابعة، قرر العودة إلى غرفة المعيشة والانضمام إليهما في حديث سلس لا طائل منه لبضع لحظات، ثم سيلفت انتباه جورجيا، ويلقي نظرة ذات مغزى على الباب. كان الطريق بالانتظار.

كان قد عقد عزمه، وبينما هو يستدير عن منضدة المطبخ أثار صوت انتباهه، صوت إيقاع غير واضح، يغني: *"إلى اللقاء أيتها النحلة على شجرة الغار"*. استدار على عقبيه، وألقى نظرة على الحديقة خلف المنـــزل.

كانت زاوية الحديقة الخلفية مضاءة بمصباح في الزقاق. كان المصباح يلقي ضوءاً مائلاً للزرقة على السياج الخشبي والسنديانة المورقة الكبيرة التي يتدلى الحبل من أحد أغصانها. كان هناك فتاة صغيرة جاثمة على العشب تحت الشجرة، طفلة في السادسة أو السابعة، ترتدي فستانا مخططاً باللونين الأحمر والأبيض، وشعرها الأسود الفاحم مربوط على شكل ضفيرة. كانت تغني لنفسها، تلك الأغنية القديمة لدين مارتن حول أن الوقت قد حان للذهاب إلى أرض الأحلام، إلى مكان في أرض الوفاق. قطفت هندباء برية، حبست أنفاسها، ونفخت عليها. انفتحت البتلة حيث تحفظ البذور، واندفعت مئة مظلة بيضاء تحلق في الهواء. كان مفروضا أن تكون رؤيتها مستحيلة، إلا أنها كانت تتلألأ بشكل خافت، وتتحرك مثل شرارات بيضاء. كان رأسها مرفوعاً، بحيث بدت وكأنها تحدّق مباشرة بجود عبر النافذة. كان صعبا التأكد من ذلك. كانت عيناها محجوبتين بالعلامات السوداء التي تتحرك أمامهما.

كانت روث. كان اسمها روث. كانت شقيقة بامي التوأم، التي اختفت في الخمسينيات. وكان والداهما قد نادا عليهما لتناول الغداء. جاءت بامي مسرعة، لكن

روت تلكأت خلفها، وكانت تلك آخر مرة يراها فيها أحدهم... على قيد الحياة.

فتح جود فمه – ليقول ماذا، لم يكن يعرف – لكنه وجد نفسه غير قادر على الكلام. انحبست أنفاسه في صدره وبقيت هناك.

توقفت روث عن الغناء، وخيّم السكون على الليل. أدارت الفتاة الصغيرة رأسها، لتلقي نظرة على الزقاق خلف المنــزل. ابتسمت، وارتفعت يدها لتلوح بها، كما لو أنها لاحظت أن شخصا ما يقف هناك، شخصا تعرفه، شخصا ودوداً من الحي. إلا أنه لم يكن هناك أحد في الزقاق. كان هناك صفحات قديمة من صحيفة ملتصقة بالأرض، وبعض الزجاج المكسور، وأعشاب تنمو بين الآجر. نهضت روت من جلستها، وسارت ببطء نحو السياج، وشفتاها تتحركان، وهي تتكلم دون صوت إلى شخص غير موجود. متى أصبح جود غير قادر على سماع صوتها؟ عندما توقفت عن الغناء.

عندما اقتربت روث من السياج، رفع جود ذراعه، كما لو أنه يشاهد طفلا على وشك أن يقطع طريقا عاما مزدحما. كان يريد أن يناديها، لكنه لم يستطع أن يتنفس حتى.

تذكر عندها ما قالته له جورجيا حولها. أن الأشخاص الذي يشاهدون روث الصغيرة يرغبون دائماً بمناداتها، وتحذيرها بأنها في خطر، والطلب منها الابتعاد، لكنّ أحدا لم يستطع ذلك. كانوا مشدوهين برؤيتها بحيث لم يعودوا قادرين على الكلام. خطرت له فكرة، فكرة مفاجئة وغير منطقية بأن تلك تمثّل كل فتاة عرفها جود ولم يستطع مساعدتها؛ وكانت تلك آنا وجورجيا معا. إذا استطاع أن يلفظ اسمها فقط، ويلفت انتباهها، ويلوح لها بأنها تواجه المتاعب، فكل شيء سيصبح عندها ممكناً. ربما يستطيع مع جورجيا أن يتغلبا على الرجل الميت، والنجاة من المكيدة التي وضعا نفسيهما فيها.

كان جود ما يزال غير قادر على إيجاد صوته. كان الوقوف هناك ومراقبة ما يجري دون أن يكون قادراً على الكلام أمراً يؤدي إلى الجنون. ضرب بيده المضمدة المجروحة على المنضدة، وشعر بالألم ينتقل من الجرح إلى راحة كفه؛ ورغم ذلك لم يكن يستطيع إخراج أي صوت عبر ممر حنجرته المغلق.

كان أنغوس إلى جانبه، وقفز عندما ضرب جود المنضدة. رفع رأسه، ولعق بعصبية معصم جود. أفزعه وقع لسان أنغوس الخشن الساخن على جلده العاري.

كان مباشراً وحقيقياً، وأخرجه من ذهوله بشكل سريع ومفاجئ مثلما أزاحت عنه ضحكة جورجيا شعوره باليأس قبل بضع لحظات. التقطت رئتاه بعض الهواء، ونادى عبر النافذة.

صرخ: "روث!" وأدارت رأسها. سمعته. سمعته. "ابتعدي يا روث! عودي إلى المنـــزل! الآن!"

نظرت روث مجددا إلى الزقاق المعتم الخالي، ثم انحنت بجسدها إلى الخلف، وخطت خطوة باتجاه المنـــزل. وقبل أن تستطيع المضي قدما، ارتفعت ذراعها البيضاء النحيلة، كما لو أن هناك خيطاً خفياً حول معصمها الأيسر وشخص ما يشده.

لم يكن خيطا خفيا. كانت يداً خفية. وفي اللحظة التالية، التقطها شخص غير موجود هناك عن الأرض، ورفعها في الهواء. ركلت بساقيها الطويلتين النحيلتين دون جدوى، وارتفع أحد خفيها في الهواء، واختفى في الظلام. قاومت وكافحت، وتدلّت قدماها في الهواء، وسحبها شخص ما للخلف. استدار وجهها نحو جود، يائسا ومتوسلا، والعلامات فوق عينيها تشيران إلى ذهولها اليائس، كما لو أن قوة غير مرئية حملتها فوق السياج.

صرخ مجدداً: "روث!" وكان صوته جهورياً كما كان على المسرح دائماً، عندما كان يصيح على جمهوره الهائل.

بدأت تتلاشى تدريجياً حتى وصلت إلى آخر الزقاق. كان فستانها آنذاك مخططا باللونين الرمادي والأبيض. وكان شعرها آنذاك بلون ضوء القمر الفضي. وقع الخف الآخر، في بركة ضحلة، واختفى، رغم أن التموجات استمرت بالظهور على الماء الطيني الضحل؛ كما لو أنه وقع، من الماضي إلى الحاضر. كان فم روث مفتوحاً، لكنها لم تستطع الصراخ، ولم يعرف جود السبب. ربما وضع ذلك الشيء الخفي الذي حملها بعيداً يده فوق فمها. مرّت تحت الضوء الأزرق الساطع لمصباح الشارع ثم اختفت. تلاعب الهواء بصحيفة، وانقلبت أوراقها في الزقاق الخالي بصوت خشخشة جافة.

نبح أنغوس مجدداً، ولعقه مرة أخرى. حملق جود، كان هناك طعم غريب في فمه. ويشعر بالضغط في أذنيه.

همست جورجيا من خلفه: "جود".

نظر إلى انعكاس صورتها في النافذة فوق المغسلة. كان هناك خربشات سوداء ترقص أمام عينيها. كانت الخربشات فوق عينيه، أيضا. كان كلاهما ميتين. إلا أنهما لم يتوقفا عن الحركة بعد.

"ماذا حدث يا جود؟"

قال: "لم أستطع إنقاذها. الفتاة. روث. رأيتها تؤخذ بعيدا". لم يستطع إخبار جورجيا بأن أمله بأن يستطيعا إنقاذ نفسيهما قد ذهب معها. 'صرخت باسمها. صرخت باسمها، لكن لم أستطع تغيير ما حدث'.

قالت بامي: "بالطبع لا تستطيع يا عزيزي".

33

دار جود على عقبيه نحو جورجيا وبامي. وقفت جورجيا عبر المطبخ بعيداً عنه، في المدخل. كانت عيناها على طبيعتهما، ولا وجود لعلامات موت فوقهما. ربتت بامي على ورك حفيدتها لتدفعها جانباً، ثم دخلت إلى المطبخ متحاورة إياها، واقتربت من جود.

"هل تعرف قصة روث؟ هل أخبرتك أم. بي؟"

"قالت لي إن شقيقتك اختفت عندما كانت صغيرة. قالت إن الناس كانوا يرونها في الحديقة أحياناً، يتمّ اختطافها من جديد. الكلام ليس مثل الرؤية الحقيقية. سمعتها تغني. رأيتها تؤخذ بعيداً".

وضعت بامي يدها على معصمه. "هل تريد الجلوس؟"

هزّ رأسه موافقاً.

"هل تعرف لماذا تعود باستمرار؟ لماذا يراها الناس؟ أسوأ لحظات حياة روث حدثت في تلك الحديقة، فيما كنا جميعاً نجلس هنا ونتناول الغداء. كانت وحيدة وخائفة، ولم يرها أحد عندما اختطفت. لم يسمعها أحد عندما توقفت عن الغناء. لا بد أن ذلك كان أكثر شيء مرعب. أعتقد دائماً أنه عندما يحدث مكروه لشخص ما، ينبغي أن يعرف الآخرون عنه. لا يمكن أن يكون المرء شجرة تسقط في الغابة دون أن يسمع أحد صوت سقوطها. هل أستطيع أن أحضر لك شيئاً آخر لتشربه؟"

أومأ برأسه. أحضرت إبريق عصير الليمون، الذي لم يبق منه الكثير، وسكبت ما بقي فيه في كأس جود.

قالت بامي، فيما كانت تسكب الشراب: "أفكر دائما أنه إذا استطاع أحد التكلم معها، فربما يريح ذلك عبئاً ثقيلاً عنها. أفكر دائما أنه إذا استطاع أحد جعلها تشعر

بأنها لم تكن وحيدة في تلك اللحظات الأخيرة، فربما يحررها من ذلك الثقل". مال رأس بامي إلى الجانب؛ بإيماءة استنطاق فضولية رأى جود جورجيا تفعلها ملايين المرات. "ربما تكون أفدتها قليلاً دون أن تعرف ذلك حتى. بنطقك اسمها فقط".

"ماذا فعلت؟ لقد اختطفت رغم ذلك". أنهى كأسه بجرعة واحدة ثم وضعها في حوض غسل الصحون.

"لم أفكّر إطلاقاً أن أحداً يستطيع أن يعير ما حدث لها. ذلك انتهى. الماضي ولّى. ابق الليلة يا جود".

جملتها الأخيرة لم تكن لها علاقة إطلاقاً بالجملة التي سبقتها. واحتاج جود إلى دقيقة ليفهم أنها تطلب منه البقاء.

قال جود: "لا أستطيع".

"لماذا؟"

لأن أي شخص يساعدهما سيطاله الموت معهما، ومن يعرف كم عرضا حياة بامي للخطر بالتوقف عندها لساعات قليلة فقط؟ لأنه وجورجيا كانا ميتين سلفاً، والموتى يسحبون الأحياء إلى الأسفل. أخيرا قال: "لأن هذا غير آمن". كان ذلك صادقاً، على الأقل.

تقطب حاجبا بامي، واستغرقت في الأفكار. رآها تكافح بحثاً عن الكلمات المناسبة لجعله يتحدث، لإجباره على الكلام حول الوضع الذي هما فيه.

فيما كانت ما تزال تفكر، تسللت جورجيا إلى الغرفة، على رؤوس أصابعها تقريباً، كما لو أنها تخشى من إحداث أي صوت. كانت بون في أعقابها، تحدّق للأعلى بنظرة قلق بلهاء.

قالت جورجيا: "ليس كل شبح مثل شقيقتك يا بامي. هناك بعض الأشباح الشريرة. نعاني كل أنواع المشاكل مع الموتى. لا تطلبي من أي منا أن يشرح لك. سيبدو الأمر جنونياً".

"حاولي بأي حال. دعيني أساعد".

قال جود: "سيدة فوردهام، كنت طيبة لاستقبالنا. شكراً على العشاء".

وصلت جورجيا إلى جانب بامي، وسحبت ردن قميصها، وعندما استدارت جدتها نحوها، وضعت جورجيا ذراعيها النحيلتين والشاحبتين حولها وعانقتها بقوة. "أنت امرأة صالحة، وأنا أحبك".

كان رأس بامي ما يزال متجهاً نحو جود. "إذا كان باستطاعتي فعل شيء...".

قال جود: لكنك لا تستطيعين. إنه أمر مشابه لما حدث مع شقيقتك هنا في الحديقة الخلفية. تستطيعين الصراخ كما تشائين، لكن ذلك لن يغير من الأمر شيئا".

"لا أصدق ذلك. شقيقتي ماتت. لم يلحظ أحد شيئاً عندما توقفت عن الغناء، وقد أخذها شخص ما بعيداً وقتلها. لكنكما لستما ميتين. أنت وحفيدتي حيّان وهنا معي في منـــزلي. لا تستسلما من الداخل. الموتى يعوزون عندما تتوقف عن الغناء ،وتتركهم يأخذونك معهم على الطريق إلى الأسفل".

شيء حول هذه العبارة الأخيرة جعل جود يهتز بعصبية، كما لو أنه لمس معدناً وتلقى صدمة لاسعة مفاجئة من كهرباء ساكنة. شيء حول الاستسلام من الداخل. شيء حول الغناء. كانت هناك فكرة هنا، لكنه لم يستطع أن يستوعبها بعد. معرفة أنه وجورجيا قد نفدت منهما السبل – الشعور بأن كلاهما ميتان مثل الفتاة التي رآها في الحديقة الخلفية – كانت تشكل عقبة لا تستطيع أي فكرة أخرى اختراقها.

قبلت جورجيا وجه بامي، مرة، ومرة أخرى. وامتزجت الدموع مع القبلات. وأخيراً، استدارت بامي لتنظر إليها. ووضعت يديها على وجنتي حفيدتها.

قالت بامي: "ابقي. اجعليه يبقى. وإذا أبى، دعيه يرحل دونك".

قالت جورجيا: "لا أستطيع ذلك. وهو على حق. لا نستطيع إقحامك في هذا أكثر من اللازم. مات رجل كان صديقاً لنا لأنه لم يتحل عنا بسرعة كافية".

ضغطت بامي رأسها على صدر جورجيا، ارتفعت أنفاسها وخمدت. ارتفعت يداها وذهبتا إلى شعر جورجيا، وترنّحت المرأتان معا للحظة واحدة، كما لو أنهما ترقصان ببطء شديد.

عندما استعادت رباطة جأشها – استغرقها الأمر طويلاً – نظرت بامي إلى وجه جورجيا مجدداً. كانت بامي منفعلة ومنقبضة الوجنتين، وذقنها يرتعش، لكن بدا أنها انتهت من بكائها.

"سأصلي يا ماري – بث. سأصلي من أجلك".

قالت جورجيا: "شكراً لك".

"أعتمد عليك لتعودي إلي. أعتمد على رؤيتك مجددا، عندما تكتشفين كيف تصححين الوضع. إنني أعرف أنك ستفعلين ذلك. لأنك ذكية، وطيبة، وفتاتي".

أخذت بامي نفساً عميقاً، وألقت بنظرة دامعة حانية على جود. "آمل أن يكون يستحق ذلك".

ضحكت جورجيا بصوت ناعم متشنج مثل تنهيدة تقريباً، وضمت إليها بامي مرة أخرى.

قالت بامي: "اذهبي، إذاً. اذهبي إذا كان يسعى عليك ذلك".

قالت جورجيا: "نحن ذاهبان أصلاً".

الضرر

34

قاد جود السيارة. كانت راحتا كفيه ساخنتين ورطبتين على المقود، ومعدته تؤلمه. أراد ضرب قبضته بشيء ما. أراد أن يقود بسرعة كبيره، وفعل ذلك، وعبر إشارات صفراء فيما كانت تتحول إلى حمراء. وعندما لم يتجاوز الإشارة الضوئية في الوقت المناسب، وكان عليه التوقف مع حركة السير، ضغط على دواسة الوقود، جاعلاً المحرك يهدر في مكانه. ما شعر به في المنسرل، بعدما شاهد الفتاة الصغيرة تؤخذ بعيداً، كان إحساس العحز، الذي تفاقم وتحول إلى غصب بطعم الحليب الفاسد في فمه.

راقبته حورجيا لعدّة أميال، ثم وضعت يداً على جبينه. فسزع يدها عنه، فزعاً من الملمس الرطب البارد لحلدها على حلده. أراد أن يأخذ نفساً عميقاً ويستعيد رباطة جأشه، ليس من أجله ولكن من أجلها. إذا كان على أحدهما أن يكون على تلك الشاكلة، بدا بالنسبة له أنه ينبغي أن تكون جورجيا، وأن لديها حقاً أكبر في الغضب منه، بعد ما أظهرته لها آنا في المرآة. بعد أن رأت نفسها ميتة. لم يكن يفهم هدوءها، وثباتها، وقلقها عليه، ولم يستطع إيجاد ذلك في نفسه ليأخذ أنفاساً عميقة. عندما تباطأت شاحنة أمامه في إفساح المجال له بعد أن تحولت الإشارة إلى اللون الأخضر، ضغط على البوق.

صرخ جود عبر النافذة المفتوحة عندما كان يمر بجانب الشاحنة، وقد تجاوز الخط المضاعف الأصفر ليتجاوزها: "افسح المجال أيها الأبله!"

رفعت جورجيا يدها عن ذراعه، ووضعتها في حجرها. أدارت رأسها لتحدّق عبر النافذة إلى جانب مقعد الراكب. تجاوزا مجموعة أبنية، وتوقفا عند تقاطع آخر.

عندما تكلمت مجدداً، فعلت ذلك بهمهمة خافتة مسلية. لم تكن ترغب بأن يسمعها، وكانت تتكلم إلى نفسها، ربما لم تعِ تماما أنها تتحدث بصوت عالٍ.

"ياه، انظر. معرض السيارات المستعملة المفضل لدي في كل أنحاء العالم. أين تكون القنبلة اليدوية عندما يحتاج المرء إليها؟"

سألها: "ماذا؟" ولكن حالما قال ذلك، أدرك فحوى الأمر وحذب المقود، موجهاً السيارة نحو الرصيف، وضغط على المكابح.

كان هناك معرض سيارات يمتد على مساحة واسعة إلى يمين الموستانغ، مناراً بأضواء نيون ساطعة موضوعة على منصات فولاذية ترتفع ثلاثين قدماً. كانت المنصات تطل على الإسفلت مثل صفوف مراحل فضائية غريبة ثلاثية القواعد، وجيش غزو صامت قادم من عالم آخر. كان هناك أسلاك معلقة بينها، وآلاف الرايات الزرقاء والحمراء تخفق في الهواء، مما يضيف لمسة احتفالية على المكان. كانت الساعة قد تجاوزت الثامنة مساءً، لكنهم كانوا ما زالوا يمارسون أعمالهم. كان هناك شخصان يتحركان بين السيارات، ينحنيان نحو النوافذ لإلقاء نظرة على لصاقات السعر الموضوعة على الزجاج.

تقطب حاجبا جورجيا، وفتحت فمها بطريقة توحي بأنها على وشك أن تسأله عما يفكر بأنه يفعله.

سأل جود: "هل هذا هو المكان؟"

"أي مكان؟"

"لا تتظاهري بالغباء. الرجل الذي استغلك وعاملك مثل غانية".

"لم يفعل... لم يكن... لا أقول فعلا إنه...".

"سأقول أنا. هل هذا هو؟"

نظرت إلى يديه القابضتين على المقود، ومفاصل أصابعه البيضاء.

قالت: "ربما ليس موجوداً هنا حتى".

فتح جود باب السيارة فجأة ودفع نفسه إلى الخارج. تجاوزته السيارات، وهبّ الهواء الممزوج برائحة العادم على ملابسه.

خرجت جورجيا من الجانب الآخر، وحدّقت به من فوق سطح الموستانغ.

"إلى أين أنت ذاهب؟"

"سأبحث عن الرجل. ماذا كان اسمه مجدداً؟"

"عد إلى السيارة".

"من الذي أبحث عنه؟ لا تجعليني أضرب كل بائع سيارات مستعملة بشكل عشوائي".

"لن تدخل إلى هناك وحيداً لتضرب شخصا لا تعرفه حتى".

"لا. لن أذهب وحيداً. سآخذ أنغوس". ألقى نظرة على الموستانغ. كان رأس أنغوس يبرز آنذاك من الفراغ بين المقعدين الأماميين، وكان يحدّق بجود بترقب. "هيا يا أنغوس".

قفــز الكلــب الأسود العملاق إلى مقعد السائق ثم إلى الطريق. أغلق جود الباب بقوة، ودار حول مقدمة السيارة، وكان جذع أنغوس الثقيل الأملس يصطدم على جانبه.

قالت: "لن أقول لك من هو".

"حسنا. سأسأل".

أمسكت بذراعه. "ماذا تعني، أنك ستسأل؟ ماذا ستفعل؟ تبدأ بسؤال البائعين إذا اعتادوا إقامة علاقات مع فتيات في الثالثة عشرة من العمر؟"

ثم خطر الاسم في باله، واندفع إلى ذهنه دون أي مقدمات. كان يفكر بأن يضع مسدساً في وجه ابن العاهرة، وتذكر. "روجر. كان اسمه روجر. مثل مسدسي".

"سيتم اعتقالك. لن تدخل إلى هناك".

"لهذا السبب يفلت أشخاص مثله بفعلتهم. لأن أشخاصا مثلك يستمرون في حمايتهم، حتى عندما تصبح معارفهم أفضل".

"إنني لا أحميه هو، أيها الأحمق. بل أحميك *أنت*".

نزع ذراعه من قبضتها، وبدأ يعود أدراجه، مستعدا للاستسلام وكان الدم يغلي في عروقه سلفا؛ ولاحظ آنذاك أن أنغوس قد اختفى.

ألقـــى نظرة سريعة حوله، ووجده بعد لحظة واحدة، بعيداً في معرض السيارات المستعملة، يهرول بين صف من الشاحنات ثم يعود ويختفي خلف إحداها.

صرخ: "أنغوس!" لكن شاحنة كبيرة مرّت بجانبه، وضاع صوت جود في هدير محرك الديزل.

ذهب جود خلفه. نظر للوراء وشاهد جورجيا خلفه تماماً، وجهها أبيض، وعيناها تنذران بالخطر. كانا على طريق عام رئيسية، في موقع مردحم، ومكان سيئ ربما يفقدان فيه أحد الكلبين.

وصل إلى صف الشاحنات حيث شاهد أنغوس آخر مرة واستدار، وكان هناك، بعيداً عشرة أقدام، يجلس على فخذيه، ويسمح لرجل أصلع نحيل يرتدي سترة زرقاء بأن يحك له خلف أذنيه. كان الرجل الأصلع أحد التجار. تشير الكتابة على البطاقة المعلقة على جيب قميصه بأن اسمه روجر. وقف روجر مع عائلة ممتلئة أجسامهم يرتدون قمصانا إعلانية، وتؤدي بطونهم الكبيرة مهمة مضاعفة كلوحات إعلانية. كان بطن الأب يبيع "كورس سيلفر بوليت"؛ وصدر الأم موقع غير مقنع لمعدات "كورفز" للرشاقة؛ والابن، في نحو العاشرة، يرتدي قميص "هوترز"، وربما كان مناسبا لكأس "سي" بنفسه. كان روجر يقف بجانبه ويبدو مثل القزم تقريباً، وهو انطباع عزّزه منظر حاجبيه المقوسين الرقيقين وأذنيه الصغيرتين مع شحمتين غير واضحتين. كان على حذائه القصير شرائط. وكان جود يكره الأحذية ذات الشرائط.

قال روجر: "إنه كلب طيب. انظر إلى هذا الكلب الطيب".

تباطأ جود، مما سمح لجورجيا باللحاق به. كانت على وشك أن تتجاوزه، لكنها رأت روجر عندها وتراجعت للخلف.

نظر روجر للأعلى، وهو يبتسم بأدب. 'كلبك يا سيدتي؟" ثم تقلصت عيناه. ثم ظهر إدراك حائر على وجهه. "إنها ماري - بث كمبل الصغيرة، لقد كبرت الآن. انظري إلى نفسك! هل جئتنا في زيارة؟ سمعت أنك في مدينة نيويورك هذه الأيام".

لم تنبس جورجيا ببنت شفة. نظرت جانبيا نحو جود، وكانت عيناها لامعتين ومذهولتين. قادهما أنغوس إليه مباشرة، كما لو أنه يعرف عمن يبحثون. ربما كان أنغوس يعرف *فعلاً* بطريقة ما. ربما الكلب الأسود الذي يعيش داخل أنغوس يعرف. بدأت جورجيا تومئ برأسها لجود - *لا، لا تفعل* - لكنه لم يعرها اهتماماً، ودار حولها، مقترباً من أنغوس وروجر.

حوّل روجر نظره إلى جود. أضاء وجهه دهشة وسروراً. 'آه، يا الله! أنت جودا كوين، نجم الروك - آند - رول المشهور. لدى ابني المراهق كل أسطواناتك. لا أستطيع القول إنني أوافق فعلا على ارتفاع الصوت الذي يسمعها

به" – دس خنصره في أذنه، كما لو أن طبلتي أذنيه ما تزالان ترنّان من سماعهما لموسيقى جود – "لكنني سأخبرك أمراً، لقد أثّرت عليه فعلاً".

قال جود: "أنا على وشك التأثير عليك، أيها الأحمق". ودفع بقبضته اليمنى في وجه روجر، وسمع صوت تهشيم أنفه.

ترنّح روجر، وانحنى ألماً، وإحدى يديه تغطي أنفه. تباعد الثنائي البدين خلفه عن بعضهما ليسمحا له بالمرور بينهما. كشّر الإبن ووقف على أطراف أصابعه ليشاهد القتال من خلف كتف والده.

سدد جود ضربة بيسراه إلى معدة الرجل، متجاهلاً الألم الذي تدفق عبر الجرح في راحة يده. أمسك بتاجر السيارات حالما بدأ يجثو على ركبتيه، ورماه على سقف سيارة بونتياك مع لافتة ملصوقة على الزجاج الأمامي من الداخل: **إنها لك إذا أردتها!!! رخيصة!!!**

حاول روجر النهوض، وأمسك جود بمنفرج ساقيه، ووجد الصفن، وضغط عليه، وشعر بأن مادة أعضاء روجر الحساسة قد هرست في قبضته. جلس روجر منتصبا وزعق، وسالت دماء داكنة من منخريه. كان بنطاله مرفوعا للأعلى، وقفز أنغوس، يزمجر، وأنشب مخالبه في قدم روجر، ثم سحبها، ومزق حذاءه.

غطت المرأة البدينة عينيها، لكنها أبقت إصبعين بعيدين عن بعضهما لتنظر من بينهما.

كان لدى جود وقت يكفي فقط لتسديد ضربتين عنيفتين أخريين قبل أن تمسكه جورجيا من مرفقه وتسحبه للخلف. بدأت تضحك في منتصف الطريق إلى السيارة، وحالما وصلا إلى الموستانغ، رمت بنفسها عليه، تداعب شحمة أذنه، وتقبله فوق لحيته، وترتعش إلى جانبه.

كان أنغوس ما زال يحمل حذاء روجر، وحالما وصلوا إلى الطريق بين الولايتين، قايضته جورجيا بعلبة سليم جيم، ثم علقته في مرآة السيارة الداخلية بالشرائط.

سألته: "ما رأيك؟"

قال جود: "أفضل من حجارة النرد".

35

كان منــزل جيسيكا مكديرموت برايس في منطقة توسع جديدة، واصطفت مجموعة من الأبنية الأنيقة المبنية من ألواح خشبية بألوان المثلجات المختلفة - فانيليا، فستق - على طول شوارع تلتف وتلتوي مثل الأمعاء. مرّا أمامه مرتين قبل أن تلاحظ جورجيا الرقم على صندوق البريد. كان المنــزل أصفر اللون مثل عصير المانغا، مثل ضوء التحذير، ولم يكن مبنياً وفقاً لأي نمط هندسي معين، ما لم يكن منــزل الضواحي الكبير الخالي من العلامات المميزة نمطاً بحدّ ذاته. تجاوزه جود وتابع طريقه مبتعداً عنه نحو مئة ياردة. استدار نحو مدخل غير ممهد وسار على الطين الأحمر الجاف حتى وصل إلى منــزل لم يكتمل بناؤه بعد.

كان المرآب ما يزال على الهيكل آنذاك، وتبرز عوارض الصنوبر الجديدة من القاعدة الإسمنتية وتتقاطع المزيد من العوارض في الأعلى، وكان السقف مغطى بألواح بلاستيكية. كانت نسبة الإنجاز في المنــزل الملتصق بالمرآب أكبر، والألواح الخشبية مثبتة بين العوارض، مع مستطيلات فارغة تدل على مكان وجود النوافذ والأبواب.

أدار جود الموستانغ حتى أضحى الطرف الأمامي مواجهاً للشارع، وأرجعها إلى داخل المرآب الخالي الذي يفتقر إلى باب. ومن حيث أوقفا السيارة، كانا يستطيعان رؤية منــزل برايس بشكل جيد. أطفأ المحرك. وجلسا لبرهة، يصغيان إلى تكتكات المحرك فيما يبرد.

بعد أن غادرا منــزل بامي لم يسيرا لوقت طويل باتجاه الجنوب. كانت الساعة نحو الواحدة من بعد منتصف الليل.

سألت جورجيا: "هل لدينا خطة؟"

أشار جود عبر الشارع، إلى برميلي نفايات كبيرين على حافة الرصيف. ثم أومأ إلى الطريق، نحو براميل بلاستيكية خضراء داكنة.

قال: "يبدو أنهم سيأخذون القمامة غداً". ثم أومأ نحو منـــزل جيسيكا برايس. "لم تُخرج نفاياتها بعد".

حدّقت جورجيا به. وقع شعاع ضوء خافت من عمود إنارة الشارع على عينيها، اللتين تألقتا، مثل ماء في قاع بئر. ولم تقل شيئاً.

"سننتظر حتى تُخرج القمامة، ثم سنرغمها على الصعود إلى السيارة معنا".

"نرغمها".

"سنسير حول المنطقة قليلاً".

"ماذا إذا أخرج زوجها القمامة؟"

"لن يفعل. كان في الاحتياط، ولقي حتفه في العراق. إن هذا أحد الأشياء التي أخبرتني بها آنا عن شقيقتها".

"ربما لديها صديق حميم الآن".

"إذا كان لديها صديق، وكان أضخم مني كثيراً، فسننتظر ونتحين فرصة أخرى. لكن آنا لم تقل أي شيء أبدا حول صديق. ما سمعته منها يدلّ على أن جيسيكا كانت تعيش هنا مع زوج أمها كرادوك، وابنتها".

"ابنة؟"

نظر جود بإمعان إلى عربة وردية صغيرة تجثم أمام مرآب برايس. تبعت جورجيا نظرته.

قال جود: "لهذا السبب لن ندخل الليلة. لكن هناك مدرسة غداً. وستكون جيسيكا وحيدة عاجلاً أم آجلاً".

"وعندها؟"

"عندها نستطيع القيام بما ينبغي القيام به، ولن يكون علينا أن نقلق بشأن ابنتها".

صمتا لبرهة من الوقت. صدحت حشرات من أشجار النخيل والأكمة خلف المنـــزل الذي لا يزال قيد البناء بإيقاع، وكانت نبضات إيقاعية غير بشرية. وبخلاف ذلك كان الشارع هادئاً.

قالت جورجيا: 'ماذا سنفعل لها؟'

"ما يفترض أن نفعله بها".

أعادت جورجيا المقعد إلى الخلف تماما، وحدّقت في الظلام بالسقف. انحنت نون إلى الأمام ونبحت بإلحاح في أذنها. حكّت جورجيا رأسها.

'الكلبان جائعان يا جود'.

قال محدّقاً بمنـــزل جيسيكا برايس: 'سيكون عليهما الانتظار'.

كان يحس بالصداع ومفاصل أصابعه تؤلمه. كان منهكا أيضا، ومجهدا لدرجة أن أي تفكير منطقي كان صعباً جداً بالنسبة له. كانت أفكاره، عوضا عن ذلك، ككلاب سوداء تلاحق ذيولها، وتدور وتدور في حلقات محنوبة دون أن تصل إلى أي مكان أبداً.

فعل بعض الأشياء السيئة في حياته - بدايةً، وضع آنا على متن ذلك القطار، وإعادتها إلى عائلتها لتموت - لكنه لم يفكر في شيء قد يضطر لتنفيذه. لم يكن واثقاً من أنه سيفعل ذلك، إذا كان الأمر سينتهي بالقتل - ربما ينتهي بالقتل - وخطر له جوني كاش في ذهنه يغني 'قواعد سجن فولسوم'، وقد طلبت منه أمه أن يكون فتى طيباً، وألا يلعب بالأسلحة. فكّر في المسدس الذي خلّفه وراءه في المنـــزل، طراز "جون وين" عيار 44 ملم. سيكون الحصول على إجابات من جيسيكا برايس أسهل إذا كان يحمل المسدس معه. فقط، إذا كان يحمل المسدس معه، سيحاول كرادوك إقناعه بإطلاق النار على جورجيا وعلى نفسه، والكلبين، أيضاً، وفكّر جود في الأسلحة التي اقتناها، والكلاب التي اقتناها، والركض عاري القدمين مع الكلاب في الروابي خلف مزرعة والده، ونشوة الركض مع الكلاب في ضوء الفجر، وصوت بندقية والده عندما كان يطلق النار على البط، وكيف أنه ووالدته هربا منه معاً عندما كان في التاسعة، وفي عريهوند فقط فقدت والدته أعصابها واتصلت بوالديها، وباحت لهما، وقالا لها أن تعيد الفتى إلى والده وتحاول إحلال السكينة، إحلال السكينة مع روحها ومع الله، كان والده ينتظر مع البندقية على الشرفة عندما عادا، ولطمها على وجهها بكعب البندقية، ثم وضع الماسورة على صدرها الأيسر وقال إنه سيقتلها إذا حاولت الهروب مجددا، ولهذا لم تهرب مجددا أبدا. وعندما حاول جود - كان جوستن عندها - الدخول إلى المنـــزل، قال والده: 'لست غاضبا منك يا فتى، هذا ليس خطأك'. وأمسك به من إحدى ذراعيه

وضمه إلى ساقيه. انحنى ليقبله وقال إنه يحبه، وقال جوستن آليا إنه يحبه أيضاً، وهي ذكرى ما زال يفزع منها، ويعدّها عملاً شنيعاً أخلاقياً، عملاً مخزياً جداً، ولم يستطع أن يتحمل أنه الشخص الذي قام به، لهذا كان أخيرا بحاجة لأن يتحول إلى شخص آخر. هل كان ذلك أسوأ شيء قام به، إن قبلته على خد والده فيما كانت أمه تنـــزف قد انتزعت منه نواة حب والده التي لا قيمة لها؟ لا شيء أسوأ من إبعاد آبا، ويعود الآن من حيث بدأ، يتساءل حول صباح الغد، يتساءل ما إذا كان يستطيع، عندما ينبغي عليه ذلك، إرغام شقيقة آنا على الصعود إلى سيارته واصطحابها بعيدا عن منـــزلها ثم القيام بما ينبغي القيام به لجعلها تتكلم.

رغم أن الجو لم يكن حاراً في الموستانغ، إلا أنه مسح قطرات العرق من على جبينه بظاهر إحدى يديه، قبل أن تسقط على عينيه. راقب المنـــزل والطريق. مرّت سيارة شرطة مرة، لكن الموستانغ كانت مخفية عن الأنظار جيدا، في ظلال المرآب الذي لم ينته بناؤه بعد، ولم تبطئ الدورية سيرها.

غفت جورجيا بجانبه، وقد أدارت رأسها بعيداً. بعد الثانية صباحاً بقليل، بدأت تحارب شيئاً في نومها. ارتفعت يدها اليمنى، كما لو أنها تريد لفت انتباه معلم. لم تكن قد أعادت تضميدها، وكانت بيضاء ومتجعدة، كما لو أنها منقوعة في الماء منذ ساعات. بيضاء ومتجعدة وفظيعة. بدأت تضرب في الهواء، وأطلقت أنيناً بصوت خائف متذلل، ورفعت رأسها فجأة.

انحنى فوقها، مردداً اسمها، وهزّ إحدى كتفيها لكن بلطف ليوقظها. صفعته بيدها المصابة. ثم فتحت عينيها فجأة، وحدّقت به دون أن تتعرف عليه، وراع بصرها برعب كامل، وعرف في تلك اللحظات الأولى أنها لا تشاهد وجهه وإنما وجه الرجل الميت.

قال محددا: "ماري – بث. إنه حلم. صه. أنت بخير. أنت بخير الآن".

ارتفعت الغشاوة عن عينيها. جسدها، الذي كان منقبضا ومتصلبا، تراخى، وزال التوتر منه. لهثت. رفع بعض الشعر الذي كان ملتصقاً بالعرق على خدها وجافاً من الحرارة التي تخرج منها.

قالت: "إنني عطشة".

انحنى للخلف، وفتش عن حقيبة بلاستيكية من المواد التموينية التي اشتراها من محطة الوقود، وعثر لها على قارورة ماء. فتحت جورجيا الغطاء، وشربت

ثلثها بأربع رشفات كبيرة.

سألته حورجيا: "ماذا لو لم تستطع شقيقة آنا مساعدتنا؟ مادا إن لم تستطع إبعاده؟ هل سنقتلها إذا لم تستطع إبعاد كرادوك؟"

"لماذا لا تستريحين وحسب؟ سننتظر بعض الوقت".

"لا أريد قتل أحد يا جود. لا أريد قضاء ساعاتي الأخيرة على الأرص في قتل أحد".

قال: "هذه ليست ساعاتك الأخيرة على الأرض". كان حريصاً على ألا يضع نفسه في تلك العبارة.

"لا أريدك أن تقتل أحداً أيضاً. لا أريدك أن تكون دلك الشحص. إصافة إلى ذلك، إدا قتلتها، سيكون هناك شبحان يطاردانا. لا أعتقد أنني أستطيع تحمل المزيد من الأشباح التي تطاردنا".

"هل تريدين الاستماع إلى المذياع؟"

'عدني أنك لن تقتلها يا جود. مهما كلف الأمر'.

شغل المذياع. ووجد على موجة منخفضة من تردد أف - أم فرقة "فو فايترز". كان ديفيد غرول يغني أنه ينتظر، ينتظر وحسب. خفّض حود الصوت حتى أضحى مجرد تمتمات ضعيفة.

بدأ: "ماري - بث".

ارتعشت.

"أنت بخير؟"

"أحب أن تناديني باسمي الحقيقي. لا تنادني حورجيا بعد الآن، اتفقنا؟"

"اتفقنا".

"أتمنى لو أنك التقيت بي قبل أن أبدأ خلع ملابسي أمام السكارى. أتمنى لو أننا لم نلتق في نادٍ للتعري. أتمنى لو أنك عرفتني قبل أن أبدأ بذلك الشيء، وقبل أن أصبح ما أنا عليه. قبل أن أفعل كل تلك الأشياء التي أتمنى لو أنني لم أفعلها".

"تعرفين كيف يدفع الناس المزيد من الأموال لشراء أثاث مستعمل قليلا؟ ماذا يدعون ذلك؟ أشياء بأسعار مخفّضة؟ هذا لأن شيئاً تم اختباره قليلاً مثير للاهتمام أكثر من شيء جديد كليا لم تتم تجربته بعد'.

قالت: "هذه أنا. مررت بتحارب كثيرة". كانت ترتعش محدداً، بشكل متواصل آنذاك.

"كيف تشعرين الآن؟"

قالت بصوت مرتعش مثلما هو كل شيء آخر فيها: "لا بأس".

استمعا إلى المذياع الذي كان صوته يبدو مشوشاً بشكل خافت. شعر جود بنفسه تهدأ، ورأسه يصحو، وشعر بأن عضلاته - التي لم يكن يعرف أنها متقلصة - بدأت تلين وتسترخي. لم يكن مهما في تلك اللحظة ما ينتظرهما، أو ما ينبغي عليهما فعله في الصباح الآتي. لم يكن مهماً ما خلّفاه وراءهما أيضاً: أيام قيادة السيارة، وشبح كرادوك مكديرموت مع شاحنته القديمة وعينيه بالحربشات فوقهما. كان جود في مكان ما في الجنوب، داخل الموستانغ، والمقعد مطوي للخلف وصوت إيرو سميث يصدر من المذياع.

ثم كان على ماري - بث أن تفسد الأمر.

قالت: "إذا مت يا جود، وبقيت أنت حياً، سأحاول إيقافه. من الجانب الآخر".

"ما الذي تتحدثين عنه؟ لن تموتي".

"أعرف. أقول إذا. إذا لم تسر الأمور كما نشتهي، سأبحث عن آنا، وسنحاول نحن الفتاتان أن نوقفه".

"لن تموتي. لا أكترث بما قاله لوح ويجا أو ما أرتك إياه آنا في المرآة أيضا". كان قد فكّر في ذلك الشيء قبل بضع ساعات عندما كانا على الطريق.

تقطب حاجبا ماري - بث واستغرقت في التفكير. "حالما بدأت التحدث معنا، أصبحت الغرفة باردة. لم أستطع إيقاف ارتعاشي. لم أكن حتى أشعر بيدي على السهم. ثم سألت آنا شيئاً، وكنت أعرف كيف ستجيب، وما كانت تحاول قوله. لم أكن أسمع أصواتاً أو شيئاً من هذا القبيل. عرفت وحسب. كان الأمر يبدو منطقيا عندها، لكنه ليس كذلك الآن. لا أتذكر ما أرادت مني القيام به، أو ما كانت تعنيه بأنها بوابة. عدا... أعتقد أنها كانت تقول إنه إذا كان كرادوك يستطيع العودة، فتستطيع هي ذلك أيضاً. مع القليل من المساعدة. وأستطيع مساعدتها بطريقة ما. كل ما يتطلبه الأمر فقط - فهمت ذلك بكل وضوح - هو أن أموت".

"لن تموتي. ليس إن كان لي يد في هذا".

ابتسمت. كانت ابتسامة متعبة. "ليس لك يد في هذا".

لم يعرف كيف يجيبها، ليس بادئ الأمر. خطر في ذهنه وقتها أن هناك طريقة *واحدة* يستطيع بها ضمان سلامتها، لكنه لم يكن على وشك أن يتحدث عنها. خطر له أنه إذا توفي هو، فسيبتعد كرادوك وتعيش ماري - بث. إن كرادوك يسعى خلفه فقط، وإن لديه شكوى من هذا العالم طالما بقي جود حياً. على كل حال، جود اشتراه، دفع لاقتنائه مع شراء بذلة الرجل الميت. وكان كرادوك قد أمضى معظم الأسبوع آنذاك يحاول دفع جود للانتحار. كان جود مشغولا جدا في مقاومة ذلك، ولم يتوقف ليتساءل فيما إذا كان ثمن البقاء على قيد الحياة سيكون أسوأ من الدفع إلى الرجل الميت بما يريده. لقد كان واثقا من الخسارة، وكلما طالت مقاومته، كان على الأرجح سيسحب ماري - بث معه. لأن الموتى يسحبون الأحياء للأسفل.

حدّقت به ماري - بث، وكانت عيناها مثل حبر جميل رطب يلمع في الظلام. أزاح الشعر بعيدا عن جبينها. كانت يافعة للغاية وجميلة جدا، وجبهتها رطبة بعرق الحمّى. كانت فكرة أن يسبق موتها موته أسوأ من أن يحتملها، لقد كانت كارثة.

تحــرك نحوهـــا، وصل إليها، وأمسك يديها بيده. كان جبينها رطباً وساخناً جداً، بينما كانت يداها رطبتين وباردتين للغاية. قلبهما في الظلام. ما رآه سبب له نوعا شعاً من الصدمة. كانت كلتا يديها متقرحتين، وبيصاوين ودابلتين، ليست اليمنى فقط - رغم أن اليمنى كانت أسوأ - وكان كامل باطن إبهامها متعفناً ويتلألأ من القيح وظفر الإبهام نفســـه قـــد اختــفى، سقط. وتشكّلت على سطح كلتا راحتي يديها خطوط حمراء من العـــدوى على طول تشعبات أوردتها، وصولاً إلى أطراف ساعديها، حيث تنتشر من هناك، لتخلّف آثارا قرمزية تحمل مظاهر المرض حول معصميها.

قال: 'ما الذي يحدث لك؟' كما لو أنه لا يعرف حقا. كانت قصة موت آنا مكتوبة على جلد ماري - بث.

'إنها جزء مني بطريقة ما: إنني أحمل آنا في داخلي. لقد كان الأمر على هذا الحال منذ مدة، كما أعتقد". عبارة كان ينبغي أن تفاجئه، ولكنها لم تفعل. شعر بذلك، على مستوى معين، بأن ماري - بث وآنا تسيران معاً، متحدثتان بطريقة ما. سمع ذلك بالطريقة التي عاودت لهجة ماري - بث الظهور بها، وأصبحت مثل طريقة آنا المقتضبة، الريفية في الكلام. رآها في الطريقة التي تلعب بها ماري -

بث بشعرها آنذاك، كما اعتادت أنا فعل ذلك. تابعت ماري – بث: "تريديني أن أساعدها على العودة إلى عالمنا، حتى تستطيع إيقافه. أنا البوابة؛ أخبرتني بذلك".

بدأ القول: "ماري – بث". ثم لم يجد شيئاً آخر يقوله.

أغلقت عينيها وابتسمت. "ذاك هو اسمي. لا تستعمله. في الواقع. عند التفكير مجدداً. امض قدماً واستعمله. أحب أن تلفظه. أحب الطريقة التي تلفظه بها كاملاً. ليس مقطع ماري فقط".

قال: "ماري – بث". وترك يديها وقبّلها فوق مرفقها الأيسر تماما. ماري – بث. قبّل وجنتها اليسرى. ارتعشت بسعادة هذه المرة. ماري – بث. قبّل فمها.

"هذا أنا. هذا ما أنا عليه. هذا ما أريد أن أكون عليه. "ماري". "بث". كما لو أنك تحصل على فتاتين مرة واحدة. ياه، ربما لديك فتاتان فعلاً الآن. إذا كانت آنا داخلي". فتحت عينيها ووجدته يحدق بها. "عندما تحسي، ربما تكون تحبها، أيضاً. أليس ذلك اتفاقاً عادلاً يا جود؟ ألست أنا سيدة المساومة؟ كيف تستطيع المقاومة؟"

قال: "أفضل اتفاق أبرمته على الإطلاق".

قالت، وهي تردّ له القبل: "لا تنس ذلك".

فتح الباب، وطلب من الكلبين أن يخرجا، وأصبح جود وماري – بث لوحدهما في الموستانغ لبرهة من الزمن، فيما استلقى كلانا الرعي على أرضية المرآب الإسمنتية.

36

بدأ يفيق، وقلبه يخفق بسرعة، على أصوات الكلبين ينبحان، وأول ما خطر له كان، *إنه الشبح. الشبح قادم.*

كـــان الكلبان في السيارة، فلقد ناما في المؤخرة. وقف أنغوس وبون على المقعد الخلفـــي معـــاً، يحدّقـــان عبر النافذة بكلبة لابرادور صفراء بشعة. وقفت الكلبة على مؤخرتها وقد ارتفع ذيلها في الهواء، تنبح بشكل مستمر على الموستانغ. راقبها أنغوس وبـــون بتعبيرات متحفزة ونبحا بشكل متقطع أيضاً، بصوت حاد مدوٍ سبب الألم لأذني جـــود في مقصورة الموستانغ المغلقة. تقلبت ماري – بث في مقعد الراكب، وكشّرت، ثم أفاقت من النوم، ولكنها كانت تتمنى أن تكون نائمة.

طلب منهما جود أن يخرسا. ولكنهما لم يخرسا.

نظر من خلال الزجاج الأمامي إلى الشمس مباشرة، وكانت مثل حفرة نحاسية مثقوبة في السماء، كشّاف قوي يسطع في وجهه دون رحمة. تذمر من الوهج، لكن قبل أن يستطيع رفع يده ليحمي عينيه، وقف رجل أمام السيارة، وحجب الشمس برأسه.

نظر جود إلى شاب يضع حزام عدّة جلدي. كان عاملاً بسيطاً، وقد تحول لون وجهه إلى قرمزي غامق. عبس بوجه جود. لوّح له جود، وأومأ برأسه، وشغّل الموستانغ. وعندما عملت أضواء واجهة المذياع، شاهد أنها السابعة صباحاً.

تنحى النجار جانباً، وقاد جود السيارة إلى خارج المرآب، وحول شاحنة النجار المتوقفة. طاردتهم الكلبة على طول المدخل، وكانت ما تزال تنبح، ثم توقفت على طرف الحديقة. نبحت بون عليها مرة أخيرة بينما كانت السيارة تبتعد. مرّ جود ببطء أمام منـــزل برايس. ولم يكن أحد قد أخرج القمامة بعد.

قرّر أنه ما يزال أمامهما وقت، وخرج من المنطقة التي يوجد بها منــزل جيسيكا برايس. خرج في نزهة مع أنغوس أولاً، ثم مع بون، في ساحة البلدة، واشترى شايا ودوناتس من محل هوني - ديو. أعادت ماري - بث تضميد يدها اليمنى ببعض الشاش من التجهيزات المتناقصة في علبة الإسعافات الأولية. بينما تركت يدها الأخرى، التي لم يكن فيها تقرحات ظاهرة، كما كانت. ملأ جود السيارة بالوقود في محطة موبيل، ثم توقفا عند أحد جنبات الساحة الإسمنتية وتناولا الإفطار. ورمى بقطع صغيرة من الحلوى للكلبين.

قاد جود السيارة عائداً بهم إلى منــزل حيسيكا برايس. توقف عند الزاوية، على بعد نصف مبنى سكني من المنــزل، على الجانب الآخر من الشارع وعلى مسافة بعيدة من موقع البناء. لم يكن يرغب بأن يراه العامل الذي كان يحوم حول السيارة عندما أفاقا.

تجاوزت الساعة السابعة والنصف، وكان يأمل بأن تُخرج جيسيكا القمامة قريباً. فكلما طال انتظارهما، كلما زاد احتمال أن يلفتا الانتباه، وكلاهما يجلسان في الموستانغ السوداء، ويرتديان سترة سوداء وبنطال جينــز أسود، مع جروحهما وأوشامهما الظاهرة. كان منظرهما يوحي بأنهما مجرمان خطيران يتربصان بشخص يخططان لقتله. وكان في مواجهتهما لوحة للحي معلقة على عمود إنارة.

بحلول ذلك الوقت، كان دمه يتدفق وذهنه صافياً. كان مستعداً، لكنه لم يكن يستطيع فعل شيء سوى الانتظار. تساءل إذا تعرّف عليه النجار، وما قد يقوله للرجال الآخرين عندما يصلون إلى الموقع. *ما زلت لا أصدق ذلك. هذا الرجل الذي يبدو مثل جودا كوين تماماً، ينام في المرآب. هو وفتاة مثيرة مذهلة. يبدو مثله تماماً، وكدت أسأله فيما إذا كان يقبل الطلبات الخاصة.* وفكر جود عندها أن النجار كان أيضا شخصاً آخر يمكن أن يتعرف عليه، بعد أن يفعلا ما هما على وشك القيام به. كان من الصعب عيش حياة خارجة عن القانون عندما يكون المرء مشهوراً.

تساءل في قرارة نفسه عمن أمضى من نجوم الروك بعض الوقت في السجن. ربما ريك جيمس، كان هو بالفعل. ماذا؟ ثلاث سنوات؟ سنتان؟ كما أن إلك تورنر قضى سنتين على الأقل. أما ليدبيلي فكان في السجن لاقترافه جريمة قتل، ويقضي عقوبة بالأشغال الشاقة لعشر سنوات، ثم حصل على عفو بعد أن أقام حفلا رائعا

للحاكم وعائلته. حسناً، فكّر حود أنه إذا لعب أوراقه بشكل صحيح، فسيدخل السجن لمدة تفوق ما أمضوه ثلاثتهم.

.لم يكن السجن يخيفه بشكل خاص. كان لديه الكثير من المعجبين هناك.

فُتح باب المرآب في نهاية مدخل جيسيكا مكديرموت برايس الإسمنتي مصدرا صوت قرقعة. وسحبت فتاة نحيلة، في نحو الحادية أو الثانية عشرة من العمر، سرّحت شعرها الذهبي على شكل ضفيرة قصيرة، سلة قمامة إلى جانب الطريق. فاجأته رؤيتها قليلاً، لأن الشبه مع آنا كان كبيرا. مع ذقنها القوي المدبب، وعينيها الزرقاوين الواسعتين، بدت كما لو أن آنا خرجت من طفولتها في الثمانينيات في صبيحة ذلك اليوم المشرق الجميل.

تركت سلة القمامة، وعبرت الحديقة إلى الباب الأمامي، ودخلت المنـــزل. قابلتها أمها في الداخل. تركت الفتاة الباب مفتوحا، مما سمح لحود وماري - بث بمشاهدة الأم والابنة معاً.

كانت جيسيكا مكديرموت برايس أطول من آنا، وشعرها أغمق، وكانت التجاعيد تحيط بفمها. كانت ترتدي قميصا ريفيا، بردنين فضفاضين مزخرفين، وتنورة بلون الزهور ذات ثنيات، وهو لباس كان حود يظن بأنه يجعلها تبدو مثل روح حرّة، وغجرية فظّة. لكن وجهها كان مزينا بعناية شديدة وحرفية عالية، وما استطاع رؤيته من المنـــزل كان أثاثاً يبدو ثمينا بلون أحمر داكن، ولوحات خشبية عتيقة. كان ذلك منـــزل زوجة مصرفية تعمل في الاستثمار، وليس قارئة كف.

أعطت جيسيكا فتاتها الصغيرة حقيبة ظهر - شيء أرجواني ووردي اللون يناسب لون معطفها وحجمها إضافة إلى الدراجة في الخارج - وأرسلت قبلة عبر الهواء إلى جبين ابنتها. خرجت الفتاة على رؤوس أصابعها، وأغلقت الباب، وأسرعت عبر الحديقة، تحمل الحقيبة على كتفيها. عبرت الشارع أمام حود وماري - بث، وألقت عليهما نظرة في طريقها، تتفحصهما. تغضن أنفها، كما لو أنهما نفاية لاحظتها في حديقة أحدهم، ثم دارت حول الزاوية، واختفت.

في اللحظة التي اختفت فيها عن الأنظار، بدأ حود يحس بوخزة في جانبيه، تحت ذراعيه، وأصابه القلق من العرق الذي بلل قميصه إلى آخره.

قالت: "ها نحن ذا".

كان يعرف أن التردد ومنح نفسه فرصة للتفكير سيكون خطيراً. خرج من السيارة. ووثب أنغوس خلفه، وخرجت ماري - بث من الجانب الآخر.

قال جود: "انتظري هنا".

"قطعاً لا".

دار جود إلى الخلف حتى وصل إلى صندوق السيارة.

سألته ماري - بث: "كيف سندخل؟ هل سنطرق على الباب ببساطة؟ مرحباً، أتينا لنقتلك؟"

فتح الصندوق الخلفي، وسحب قضيبا معدنياً. أشار به نحو المرآب، الذي كان ما يـــزال مفتوحاً. ثم أغلق الصندوق، ومشى عبر الشارع. اندفع أنغوس للأمام، ثم عاد، وسار للأمام مجدداً، رفع إحدى قوائمه وقضى حاجته على صندوق بريد أحدهم.

كان الوقت ما يزال مبكراً، لكن الشمس كانت تلفح مؤخرة عنق جود. أمسك بأحد طرفي القضيب المعدني في قبضته - الطرف المثقوب الملتوي - وضم بقيته على الجزء الداخلي من ذراعه، محاولاً إخفاءه على طول جسده. سمع خلفه صوت إغلاق باب سيارة. اندفعت بون أمامه. ثم كانت ماري - بث إلى جانبه، تلهث وتهرول لتلحق به.

"جود. جود. ماذا إذا حاولنا... حاولنا التحدث إليها؟ ربما نستطيع... إقناعها بمساعدتنا بملء إرادتها. قل لها إنك لم ترعب أبداً... إطلاقا بأن تؤذي آنا. لم تكن تريدها أن تنتحر".

"آنا لم تنتحر، وشقيقتها تعرف ذلك. الأمر لا يتعلق بهذا السبب. لم يكن له علاقة بذلك أبداً". ألقى جود نظرة على ماري - بث، ورأى أنها تتأخر بضع خطوات عنه، وتنظر إليه بعين الحزن والصدمة. "لطالما كان هناك أكثر مما نعتقد في هذا الأمر. لست واثقاً تماماً أننا الأشرار في هذه القصة".

مشى على الممر، والكلبان يقفزان حوله، كل واحد منهما إلى أحد جانبيه، مثل حرس الشرف. ألقى نظرة سريعة على واجهة المنـــزل، وعلى النوافذ التي تغطيها ستائر بيضاء مزركشة تلقي بالظلال خلفها. لم يكن يعرف فيما إذا كانت تراقبهما. ثم وصلا إلى عتمة المرآب، حيث تتوقف سيارة مكشوفة ذات بابين، كرزية اللون، تحمل لوحة صغيرة مكتوب عليها هيبنويت على أرضية إسمنتية نظيفة.

وحد الباب الداخلي، ووضع يده على المقبض، وأدار رأسه نحو المنـــزل، وأطرق السمع. كان المذياع يعمل. كان الصوت الأكثر إثارة للملل في العالم يقول إن أسهم الشركات انخفضت، والمخزونات انخفضت، وأن التوقعات المستقبلية تشير كلها إلى الانخفاض. ثم سمع وقع أقدام على البلاط، على الجانب الآخر من الباب تماماً، وقفز للخلف بشكل غريزي، لكن الوقت كان قد فات، فلقد فُتح الباب، وخرجت منه جيسيكا مكديرموت برايس.

سارت نحوه مباشرة تقريباً. لم تكن تنظر إليه. كانت تحمل مفاتيح سيارتها في إحدى يديها ومحفظة مزخرفة ملونة من نوع ما في الأخرى. حالما رفعت بصرها، أمسك بها جود من قميصها، وحرم جزءاً من القماش الحريري في قبضته، ودفعها للخلف نحو الباب.

استدارت جيسيكا للخلف، تتمايل على عقبيها، ثم لوت كاحلها، وخرجت قدمها من الحذاء. أفلتت محفظتها الصغيرة من يدها رغماً عنها، فسقطت عند أقدامهم، وركلها جود جانباً، وتابع السير.

دفعها عبر الغرفة نحو المطبخ الذي تغمره أشعة الشمس في مؤخرة المنـــزل، وخارت ساقاها هناك. تمزق القميص عندما وقعت أرضاً، وأفلتت الأزرار، وتبعثرت في أرجاء الغرفة. ضرب أحدها عين جود اليسرى، فأحسّ بألم مبرّح فيها. دمعت عينه، فحرّك رمشه بسرعة ليزيل عنها الغشاوة.

ارتطمت جيسيكا بعنف بطاولة في وسط المطبخ، وأمسكت بطرفها لتتوقف عن السقوط. اهتزت الأطباق. كانت المنضدة خلفها - لم تكن تنظر إلى جود حتى ذلك الوقت - ووصلت إليها دون أن تنظر، وأمسكت بأحد الأطباق، وكسرته على رأس جود حالما وصل إليها.

لم يشعر بذلك. كان طبقاً متسخاً، وتطايرت بقايا الخبز المحمص والبيض المحفوق في الأرجاء. مدّ جود يده اليمنى، وترك القضيب المعدني ينـــزلق عنها، وأمسك به من الأعلى، ولوّح به مثل هراوة، وضربها بعنف على ركبتها اليسرى، تحت حافة تنورتها تماما.

سقطت، كما لو أن كلتا ساقيها اهترتا تحتها. بدأت تدفع نفسها للأعلى، ثم أوقعها أنغوس أرضاً مجدداً، ووثب عليها، وأنشب مخالبه في صدرها.

قالت ماري – بث: "ابتعد عنها". وأمسكت بأنغوس من طوقه، وسحبته بقوة جعلته ينقلب للخلف، ويتدحرج مؤدياً إحدى حركات الكلاب السخيفة الضعيفة تلك، وركل بقائمتيه الخلفيتين في الهواء للحظة قبل أن ينتصب على مخالبه مجدداً.

رمى أنغوس بنفسه على جيسيكا مرة أخرى، لكن ماري – بث أمسكت به. كانت بون تسير على مهل في الغرفة، وألقت نظرة متوترة على جيسيكا برايس، ثم داست على قطع الطبق المحطم وبدأت تشم قطعة خبز محمص.

قال الصوت المدمدم عبر المذياع، الذي كان عبارة عن علبة وردية صغيرة على المنضدة: "نوادي القراءة للأطفال تناسب الوالدين اللذين يبحثان عن كلام مكتوب يكون ملاذاً آمناً لأطفالهم من المحتوى الجنسي غير المبرر والعنف الواضح في زحمة ألعاب الفيديو، وبرامج التلفاز والأفلام".

تمزق قميص جيسيكا كاشفاً عن جسدها إلى الخصر. كانت ترتدي صدرية مزركشة بلون الدراق تكشف أعلى نهديها اللذين كانا يصعدان ويهبطان مع أنفاسها. كشفت عن أسنانها – هل كانت تكشّر؟ – وكانت ملطخة بالدماء.

قالت: "إذا جئت لتقتلني، فينبغي أن تعرف أنني لا أخشى الموت. سيكون زوج والدتي على الطرف الآخر لاستقبالي بذراعين مفتوحتين".

قال جود: "أراهن أنك تتطلعين لذلك. فهمت أنكما كنتما مقرّبين كثيراً. على الأقل حتى كبرت أنا بما فيه الكفاية، وبدأ يقيم معها علاقة بدلاً منك".

37

ارتعش أحد جفني جيسيكا مكديرموت برايس بشكل غير منتظم، وظهرت نقطة عرق على أهداب عينها، وكانت على وشك السقوط. وكانت شفتاها، المطليتان بلون الكرز الأحمر الداكن الأسود تقريباً، مفتوحتين بشكل واسع لتظهر أسنانها من بينهما، ولكنها لم تكن تكشّر آنذاك؛ بل كانت تدل على الغضب والحيرة.

"لست مؤهلاً لتتكلم عنه. لقد واجه مشاكل أبشع من التي واجهتها، وعالجها بنفسه".

قال جود: "لست محقة بذلك". كان يلتقط أنفاسه بسرعة أيضاً، لكنه تفاجأ قليلا من توازن صوته. "لقد أخطأتما عندما عبثتما معي. قولي لي شيئاً، هل ساعدته في قتلها، حتى تمنعاها من الكلام عمّا فعله؟ هل كنت تراقبين فيما كانت شقيقتك تنـــزف حتى الموت؟"

"الفتاة التي عادت إلى هذا المنـــزل لم تكن شقيقتي. لم تكن تشبهها إطلاقا. كانت شقيقتي ميتة بحلول الوقت الذي التقيتها فيه. لقد دمرتها. كانت الفتاة التي عادت إلينا مسممة من الداخل. الأشياء التي قالتها. التهديدات التي أطلقتها. إرسال زوج والدتنا إلى السجن. إرسالي إلى السجن. وكرادوك لم يؤذ شعرة من رأسها الخائن اللعين. كان كرادوك يحبها. كان الأفضل، أفضل الرجال".

"كان زوج والدتك يحب إقامة علاقات مع فتيات صغيرات. أولا أنت، ثم آنا. كانت الحقيقة أمام ناظريّ طوال الوقت".

كان ينحني فوقها آنذاك، فشعر بدوار بسيط. سطع ضوء الشمس عبر النافذة على حوض غسل الصحون، وكان الهواء دافئاً وعليلاً، وشم رائحة عطرها رغما

عنه، وكان بشذا الياسمين. وراء المطبخ تماماً، كان هناك باب زجاجي منـزلق مفتوح جزئياً ويطل على الشرفة الخلفية المغلقة، التي كانت أرضيتها من الخشب الأحمر البالي وتشغلها طاولة مغطاة بقماش مزركش. كان هناك قطة رمادية طويلة الشعر، تنظر إليهم بخوف من أعلى الطاولة، وفراؤها منتصب. كان صوت المذياع يتمتم آنذاك حول المحتويات القابلة للتحميل. كان الأمر مثل أزيز النحل في الخلية، وقد يدفع صوت مثل ذلك بالمرء إلى النوم.

بحث جود في الأرجاء عن المذياع، يريد أن يحطمه بالقضيب المعدني، ويسكته. ثم شاهد الصورة بجانبه، ونسي أمر تحطيم المذياع. كانت صورة بقياس ثمانية - بعشرة موضوعة في إطار فضي تظهر كرادوك مبتسما. كان يرتدي بذلته السوداء، وأزرارها الفضية بحجم الدولار تلمع في الأمام، وإحدى يديه على قبعته، كما لو أنه على وشك رفعها لإلقاء التحية. كانت يده الأخرى على كتف فتاة صغيرة، ابنة جيسيكا، التي تشبه آنا، بجبينها العريض وعينيها الواسعتين الزرقاوين. كان وجهها الذي لفحته الشمس، في الصورة، متجهما وخالياً من أي تعبير، وجه شخص ينتظر الخروج من مصعد بطيء، ونظرتها خالية من أي مشاعر تماما. كانت الفتاة تشبه آنا أكثر من أي شخص آخر نتيجة ذلك التعبير على وجهها، آنا في ذروة إحدى حالات إحباطها. ووجد جود التشابه مزعجا.

كانت جيسيكا تزحف للخلف على الأرض، وتستفيد من انشغاله في محاولة للابتعاد عنه قليلاً. أمسك بقميصها مجدداً فيما كانت تحاول الابتعاد، وطار زر آخر. كان قميصها يتدلى فوق كتفيها آنذاك، كاشفا عن جسدها حتى خصرها. مسح جود العرق عن جبينه بظاهر إحدى ذراعيه. لم يكن قد انتهى من كلامه بعد.

"لم تقل آنا بصراحة أبدا أنها كانت تتعرض للتحرش وهي طفلة، لكنها عملت بجد لتفادي الإجابة عن مثل هذا السؤال، لقد كان الأمر واضحا. ثم، في رسالتها الأخيرة لي، قالت إنها تعبت من الاحتفاظ بالأسرار، ولا تستطيع التحمل أكثر من ذلك، ويبدو الأمر في ظاهره مثل عبارة انتحار. استغرق مني الأمر بعض الوقت لأكتشف ما كانت تعنيه حقاً بذلك، وأنها تريد إخراج الحقيقة من مكنونات صدرها، وكيف أن زوج والدتها اعتاد على تنويمها حتى يستطيع فعل ما يريد فعله. كان طبيبا؛ كان يحملها على النسيان لفترة، لكنه لم يستطع أن يمحو ذكريات ما فعله تماما. بقي الأمر يطفو على السطح من جديد، كلما عانت من إحدى مشاكلها

النفسية. أخيراً، في سنين مراهقتها، على ما أعتقد، أدركت الأمر، وفهمت ما كان يرمي إليه. قضت آنا سنوات كثيرة تهرب مما جرى، وتهرب منه. أما أنا فوضعتها على متن قطار أعادها إليه، ولم تكن تجرؤ على مواجهته محدداً. شاهدت كم هو عجوز وعلى حافة قبره. وربما قررت أنها لم تعد بحاجة للهروب من أي شيء آخر.

لهذا هدّدت بإفشاء ما كان كرادوك يفعله بها. هل هذا صحيح؟ قالت إنها ستقول كل شيء، وتقاضيه. لهذا السبب قتلها. جعلها تغفو مرة أخرى، وقطع رسغيها في الحمام. أمسكها من رأسها ووضعها في حوض الحمام، وشاهدها تنــزف حتى الموت، جلس هناك وراقبها...".

قالــت جيســيكا بصوت واخزٍ، وحادٍ وقاسٍ: "لا تعل شيئاً عنه، كانت تلك الليلة الأخــيرة مرعــبة. الأشياء التي قالتها وفعلتها له كانت مرعبة، بصقت عليه، حاولت قــتله، وحاولــت دفعه عن السلالم، ذلك العجوز الضعيف. هدّدتنا، جميعنا. قالت بأنها ستأخذ ريز بعيداً عنا. قالت إنها ستستخدمك، وأموالك، ومحاميتك وترسله إلى السجن".

قال جود: "كان يقوم بما ينبغي عليه القيام به فقط، صحيح؟ كان ذلك دفاعاً عن النفس في الواقع".

ظهر تعبير على قسمات وجه جيسيكا، ثم احتفى بسرعة حتى أن جود اعتقد أنه تخيله. لكن للحظة واحدة، بدا أن زوايا فمها ترسم ابتسامة معرفة ساخرة. عدّلت من جلستها قليلاً. وعندما تكلمت مجددا، كانت نبرتها كمن يلقي محاضرة بصوت خافت. "كانت شقيقتي مريضة، كانت مشوشة، كانت تفكر بالانتحار منذ وقت طويل. قطعت آنا رسغيها في حوض الاستحمام بالطريقة نفسها التي كان الجميع يعرف بأنها ستفعلها، ولا يوجد أحد يستطيع قول شيء مختلف".

قال جود: "أنا تقول شيئا مختلفا". وعندما رأى الحيرة على وجه جيسيكا، أضاف: "كنت أستمع إلى عدد كبير من الموتى مؤخرا. كما تعرفين، لا يبدو الأمر منطقياً أبداً. إذا كنت تريدين إرسال شبح لمطاردتي، لماذا لم ترسليها هي؟ إذا كان موتها حطئي، لماذا أرسلت كرادوك؟ لكن روج والدتك لا يطاردني بسبب ما فعلته *أنا*، بل بسبب ما فعله هو".

"من تظن نفسك، بأي حال، حتى تدعوه بمتحرش الأطفال؟ كم سنة عرفت تلك الغانية؟ ثلاثون؟ أربعون".

قال جود: "حاذري". وشدّ قبضته على القضيب المعدني.

تابعت جيسيكا الكلام، ولم تستطع السكوت آنذاك: "يستحق زوج والدتي كل ما طلبه منا، لطالما فهمت ذلك، ابنتي فهمت ذلك، أيضاً. لكن آبا جعلت كل شيء مخيفا ومرعبا وعاملته مثل مغتصب عندما كان يفعل أي شيء لريز لا يروق لها. لقد أفسدت آخر أيام كرادوك على هذه الأرض، فقط لتحصل على عطفك مجدداً، لتجعلك تهتم بها ثانية. وتستطيع أن ترى الآن إلى أين أوصلك هذا، وكيف أثرت الناس ضد عائلاتهم. بتدخلك في ما لا يعنيك".

قالت ماري – بث: "آه، يا الله. إذا كانت تقول ما أعتقد أنها تقوله، سيكون هذا أسوأ حديث سمعته على الإطلاق".

وضـــع جـــود ركبـــته بين قدمي جيسيكا، وسحبها للخلف على الأرض بذراعه اليســـرى المصابة. "هذا يكفي. إذا سمعت المزيد عما يستحقه زوج والدتك وكم أحبكم جمـــيعاً، ســـأتقيأ. كـــيف أتخلص منه؟ أخبريني كيف أبعده عني، وسنخرج من هنا، وستكون تلك نهاية الأمر". كان يقول ذلك دون أن يعرف ما إذا كان قوله حقيقيا.

سألته جيسيكا: "ماذا حدث للبذلة؟"

"ما أهمية هذا الأمر؟"

"لقد اختفت، أليس كذلك؟ اشتريت بذلة الرجل الميت، وقد اختفت الآن، وليس هناك وسيلة تخلصك منه. البيع قطعي. لا إعادة، خصوصا بعد تعرض البضاعة للتلف. انتهى الأمر. أنت ميت. أنت وتلك الغانية التي معك. لن يتوقف حتى يأخذكما إلى القبر".

انحنى جود للأمام، ومرّر القضيب المعدني على عنقها، وضغط قليلا. بدأت تختنق. قال جود: "لا. لن أقبل ذلك. الأفضل أن تكون هناك طريقة أخرى لعينة، وإلا أبعدي هذا الشبح عني". كانت يداها تسحبان مشبك حزامه. تراجع من لمستها، وأبعد القضيب المعدني عن حنجرتها، فبدأت تضحك.

قالت: "هيا. لقد مزقت قميصي للتو. ألم تكن ترغب بأن تقول أيها الشقيقتان اللعينتان؟ أراهن أن صديقتك ستحب أن تشاهد".

"لا تلمسيني".

"أصغِ إلى نفسك. رجل ضخم قاسٍ. نجم الروك الكبير. أنت خائف مني، خائف من زوج أمي، خائف من نفسك. جيـــد. ينبغي أن تكون خائفاً. ستموت.

على يديك. أستطيع رؤية علامات الموت على عينيك". نقلت نظرها إلى ماري – بث: "أستطيع رؤيتها عليك أيضا، يا عزيزتي. سيقتلك صديقك قبل أن يقتل نفسه، كما تعرفين. أتمنى أن أكون موجودة لأشاهد ما يحدث. أحب أن أشاهد كيف يقوم بذلك. آمل أن يقطّعك، آمل أن يقطع وجهك الفاجر الصغير...".

أعاد جود وضع القضيب المعدني على حنجرة جيسيكا، وكان يضغط بأقصى ما يستطيع. اتسعت عينا جيسيكا واندفعتا للأمام، وخرج لسانها من فمها. حاولت النهوض على مرفقيها. ضربها لتجلس من جديد، وارتطم رأسها بالأرض.

قالت ماري – بث: "جود. لا تفعل يا جود".

خفف الضغط على القضيب المعدني، وسمح لها بالتقاط أنفاسها؛ فصرخت. كانت المرة الأولى التي تصرخ فيها. ضغط مجدداً، وأوقف صراخها.

قال جود: "المرآب".

"جود".

"أغلقي باب المرآب. سيسمع كل من بالشارع".

هشمت جيسيكا وجهه. كانت يداه أسرع منها، فانحنى إلى الخلف مبتعدا عن يديها، اللتين تحولتا إلى مخالب، ودقّ رأسها بالأرض مرة ثانية.

"إذا صرخت مجددا، سأضربك حتى الموت هنا. سأغرز هذا الشيء في حنجرتك، لهذا من الأفضل أن تبدئي الكلام، ومن الأفضل أن تقولي لي كيف أتخلص منه. ما رأيك بأن تتواصلي معه مباشرة؟ عبر لوح ويجا أو شيئا من هذا القبيل؟ هل تستطيعين إبعاده عنك؟"

خفف الضغط مجدداً، وصرخت مرة ثانية؛ صرخة طويلة حادة تحولت إلى ضحكة صاخبة. دفع بقبضته في ضفائرها الذهبية ولطمها على رأسها فأخرسها.

قالت ماري – بث مجدداً، من خلفه: "جود". كانت قد ذهبت لتغلق باب المرآب، وعادت في ذلك الوقت.

"لاحقا".

"جود".

قال: "ماذا؟" ودار من وسطه لينظر إليها.

كانت ماري – بث تحمل في إحدى يديها محفظة يد جيسيكا اللامعة، المربعة، الزاهية الألوان، وترفعها أمامه لينظر إليها. لكنها لم تكن محفظة على الإطلاق.

كانت علبة غداء، مع صورة "هيلاري دوف" لامعة على جانبها.

كان ما يزال يحدق بماري – بث وعلبة الغداء بارتباك – لم يفهم لماذا أرادته أن يراها، وما أهميتها – عندما بدأت بون بالنباح، بصوت قوي مدوٍ يخرج من أعمق جزء في صدرها. عندما أدار جود رأسه كي يرى ما تنبح عليه، سمع صوتاً آخر، حركة فولاذية حادة، والتي كانت دون أدنى شك صوت شد زناد مسدس إلى الخلف من قبل شخص ما.

كانت الفتاة، ابنة جيسيكا برايس، قد دخلت عبر باب الشرفة الزجاجي المنـــزلق. لم يعرف جود من أين جاء المسدس. كان من نوع كولت الضخم عيار 45 ملم، مرصعاً بالعاج وماسورته طويلة، وثقيلاً جدا لدرجة أنها لا تكاد تستطيع رفعه. كانت قطرات عرق تبلل شفتها العليا. وعندما تحدثت، كان صوت آنا هو الذي يتحدث، والمدهش أنها كانت تبدو هادئة جداً.

قالت: "ابتعد عن والدتي".

38

قال الرجل عبر المذياع: "ما هي المادة الأكثر إنتاجاً في فلوريدا؟ ربما تقولون البرتقال. لكن إذا قلتم ذلك، ستكونون مخطئين".

كان صوته الوحيد في الغرفة للحظة. كانت ماري – بث تمسك أنغوس من طوقه مجدداً، وتشده للخلف، ولم تكن تلك مهمة سهلة. كان يندفع للأمام بملء إرادته وكامل قوته، وكان على ماري – بث أن تحافظ على ثبات عقبيها لمنعه من الذهاب إلى أي مكان. بدأ أنغوس ينبح، بصوت منخفض مختنق فيما بدا أنه رسالة تهديد صامتة لكنها واضحة. صوته جعل بون تنبح نبحة عالية إثر أخرى.

كانت ماري – بث أول من تحدث. "لا تريدين استخدام ذلك. سنذهب. هيا بنا يا جود. لنخرج من هنا. لنأخذ الكلبين ونغادر".

صرخت جيسيكا: "راقبيهما يا ريز! لقد جاءا إلى هنا ليقتلانا".

التقت نظرات جود وماري – بث، وأشار برأسه نحو باب المرآب. "اخرجي من هنا". نهض، وهو يعاني من إحدى ركبتيه – نتيجة إصابته بخلع قديم – ووضع يداً على المنضدة ليوازن نفسه. ثم نظر إلى الفتاة، وأقام اتصالاً بصرياً جيدا معها، محدّقاً مباشرة بالمسدس عيار 45 ملم الموجه إلى وجهه.

قال: "أريد أن آخذ كلبتي فقط. ولن نسبب لكما المشاكل بعد الآن. بون. تعالي إلى هنا".

نبحت بون، باستمرار، في المسافة بين جود وريز. خطا جود خطوة نحوها ليمسك بطوق بون.

صرخت جيسيكا: "لا تدعيه يقترب منك كثيراً! سيحاول أخذ المسدس منك".

قالت الفتاة الصغيرة: "ابق بعيداً".

قال: "ريز". مستخدماً اسمها لإرضائها وبناء الثقة معها. كان جود رجلاً يعرف شيئا عن طرق الإقناع النفسي. "سأصبح هذه جانبا". أمسك بالقضيب المعدني بطريقة تستطيع معها رؤيته، ثم وضعه على المنضدة. "هنا. لديك الآن مسدس، وأنا غير مسلح. أريد كلبتي وحسب".

قالت ماري – بث: "لنذهب يا جود. ستلحق بنا بوني. دعنا نخرج من هنا".

كانت ماري – بث في المرآب آنذاك، تحدّق عبر المدخل. نبح أنغوس في المرآب للمرة الأولى، فتردد صدى صوته في الفراغ الموجود بين الأرضية الإسمنتية والسقف العالي.

قال جود: "هيا بنا يا بون". لكن بون تجاهلته، وكادت في الواقع تقفز بعصبية على ريز بدلاً من ذلك.

اهتز كتفا ريز فزعا. وصوّبت المسدس نحو الكلبة للحظة، ثم سددته صوب جود.

مشى جود خطوة متثاقلة أخرى نحو بون، وكان قريباً من الوصول إلى طوقها.

صرخت جيسيكا: "ابتعد عنها!" ولمح جود ظل حركة من خلال نظرة جانبية.

كانت جيسيكا تزحف على الأرض، وعندما استدار جود، اندفعت على عقبيها وألقت بنفسها عليه. رأى وميض شيء مصقول وأبيض في إحدى يديها، ولم يعرف ماهيته حتى وصل إلى وجهه؛ خنجر خزفي، قطعة عريضة من الطبق المكسور. دفعت به إلى عينه، لكنه أدار رأسه فطعنته في وجنته عوضاً عن ذلك.

رفع دراعه اليسرى عاليا، وأطبق على فكها بمرفقه. سحب نصل الطبق المكسور من وجهه ورماه بعيداً. وجدت يده الأخرى القضيب المعدني على المنضدة، وضرب به جيسيكا على عنقها، فصدر عنها صوت مكتوم، وشاهد عينيها تبرزان من محجريهما.

صرخت ماري – بث: "لا يا جود، لا".

دار على نفسه، وتراجع عندما صرخت. ألقى نظرة على الفتاة، التي كان وجهها فزعاً وعيناها متسعتين ومذهولتين، ثم انطلق مقذوف من المسدس الذي تحمله بيدها. كان صوته يصمّ الآذان. انفجرت مزهرية، مليئة بالحصى وبعض

أزهار الأوركيد الاصطناعية الشمعية المغروسة بها، على منصدة المطبخ. وتناثرت شظايا الزجاج وقطع الحجارة في الهواء حوله.

تعثرت الفتاة الصغيرة، وتراجعت للخلف. علق كعب قدمها بحافة السجادة، وكادت تقع. قفزت بون عليها، لكن ريز تمالكت نفسها، وعندما ضربتها الكلبة – اصطدمت بها بقوة كافية لتطرحها أرضاً – فانطلق المسدس مجدداً.

أصابت الرصاصة أسفل بون، في البطن، وقلبت مؤخرتها في الهواء، ودار جسدها رأساً على عقب، فارتطمت بأبواب الخزانة تحت حوض غسل الصحون. انقلبت عيناها للأعلى حتى لم يعد ظاهراً سوى بياضهما فقط، وتدلّى فمها مفتوحاً، ثم قفز الكلب الأسود الذي كان داخلها من بين فكيها، مثل مارد يخرج من قمقم، واندفع عبر الغرفة، وتخطى الفتاة الصغيرة، نحو الشرفة.

شاهدته القطة التي كانت رابضة على الطاولة قادماً نحوها فزعقت، وانتصب شعرها الرمادي على ظهرها. نزلت إلى اليمين عندما وثب الكلب الأسود بحفة على الطاولة. انفضت بون الظل على ذيل القطة، ثم وثبت تلاحقها. ما إن اندلقت روح بون نحو الأرض، حتى امتزجت مع شعاع أشعة شمس الصباح، واختفت عن الوجود.

حدّق جود بالمكان الذي اختفى فيه الكلب الأسود الظل، مذهولاً لدرجة أنه لم يستطع فعل شيء سوى الإحساس باختلاجات نفسه. وما أحس به كان رعشة الاستغراب، القوية للغاية حتى لكأنها صدمة كهربائية. شعر بأنه تشرّف برؤية لمحة عن شيء جميل وأبدي.

ثم نظر إلى جسد بون الميت الخالي. كان منظر الجرح في بطنها مرعبا، ومعدتها مليئة بالدماء، وعقدة زرقاء من الأحشاء تخرج منها. وتدلّى شريط لسانها الوردي الطويل بشكل بشع من فمها. لم يكن محتملاً أن يبدو بطنها مفتوحاً بشكل كامل، ولهذا لم تكن تبدو كأنها تعرضت لإطلاق نار وإنما حرجت أحشاؤها منها. كانت الدماء في كل مكان، على الجدران، والحزائن، وعليه، ومنتشرة على الأرض في بركة قاتمة اللون. كانت بون ميتة عندما ارتطمت بالأرض. كانت رؤيتها بمثابة صدمة كهربائية أخرى، وهزّة لنهاياته العصبية.

أعاد جود نظره باستنكار إلى الفتاة الصغيرة. وتساءل فيما إذا شاهدت الكلب

الأسود عندما مرّ بجانبها. كاد أن يسألها لكنه لم يستطع الكلام، وكانت تنقصه الكلمات لحظتها. ارتكزت ريز على مرفقيها، تسدد الكولت عيار 45 ملم نحوه بيد واحدة.

لم يكن أحد يتحدث أو يتحرك، وانبثق من السكون صوت رتيب عبر المذياع: "خيول برية في منتزه يوزمايت تتصور جوعا بعد شهور من القحط، ويخشى الخبراء أن يموت الكثير منها إذا لم تتحرك الجهات المعنية سريعا. ستموت أمك إذا لم تطلقي عليه النار. ستموتين".

لم يبدُ على ريز أنها قد سمعت ما كان يقوله الرجل عبر المذياع. ربما لم تسمع، عن قصد. نظر جود نحو المذياع. وكان كرادوك، في الصورة التي كانت موضوعة بجانب المسجل الكبير، ما يزال واقفاً وهو يضع يده على كتف ريز، لكن عينيه كانتا ملطختين بعلامات الموت.

قال صوت المذياع: "لا تدعيه يقترب منك. إنه هنا ليقتلكما. أطلقي عليه النار يا ريز. أطلقي عليه النار".

كان بحاجة لإسكات المذياع، لقد كان عليه أن يتبع حدسه ويحطمه في وقت سابق. استدار نحو المنضدة، متحركا بسرعة، وصدر عن عقبيه صوت من تحته، وانزلق في الدماء تحت قدميه محدثا صريرا حادا. ترنّح واندفع إلى الأمام، وفقد توازنه للخلف باتجاه ريز. اتسعت عيناها منذرة بالخطر عندما مال نحوها. رفع يده اليمنى، في إشارة كان يقصد بها إشاعة الهدوء والطمأنينة، ثم أدرك في اللحظة الأخيرة أنه يحمل القضيب المعدني وسيبدو لها كما لو أنه يرفعه ليلوّح به.

سحبت الزناد، وأصابت الرصاصة القضيب المعدني بصوت رنين مدو، كما لو أن قارورة تُفتح، ثم ضربت سبابته. أصابه رذاذ من الدماء الحارة في وجهه. أدار رأسه وحدّق بيده، وكان مذهولا من منظر إصبعه المفقود مثلما ذهل من منظر الكلب الذي تلاشى. اليد التي تضرب الأوتار. فقد كل الإصبع تقريباً. كان ما يزال يمسك بالقضيب المعدني بأصابعه الباقية. فأفلته من يده، ووقع القضيب على الأرض محدثا رنينا.

صرخت ماري - بث باسمه، لكن صوتها كان بعيدا جدا كما لو أنه قادم من الشارع. استطاع بالكاد أن يسمعه من خلال الطنين الذي صم أذنيه. شعر بدوار في

رأسه، وكان بحاجة لأن يجلس. لم يجلس. وضع يده اليسرى على منصدة المطبخ، وبدأ يتراجع للخلف، يتقهقر رويدا رويداً باتجاه ماري - بث والمرآب.

امتلأ المطبخ برائحة البارود المحترق، والمعدن الساخن. رفع يده اليمنى عالياً، وأشار إلى السقف. لم يكن حذر سبابته ينــزف بشدة، لقد رطّبت الدماء راحة كفه، وسالت على طول ذراعه من الداخل، لكن ببطء، وذلك ما أدهشه. لم يكن الألم مبرحاً أيضا. كل ما أحس به كان ثقلا غير مريح، نتيجة الضغط المتمركز في الجذر. لم يشعر بوجهه المجروح على الإطلاق، ألقى نظرة على الأرض، وشاهد أنه يخلّف وراءه ذيلاً من قطرات الدم الكبيرة وعلامات حمراء من حذائه.

كانت رؤيته مكثّرة ومشوّهة، كما لو أنه يضع قناع غوص على وجهه. كانت جيسيكا برايس تحثو على ركبتيها، وهي تمسك بحنجرتها. وكان وجهها داكنا ومتورماً، كما لو أنها تعاني من نوبة حساسية شديدة. كاد أن يضحك. من لم يكن حساساً لضربة بقضيب معدني على العنق؟ ثم فكّر أن كلتا يديه ستتشوهان في غضون ثلاثة أيام فقط، وقاوم رغبة تشنجية بالقهقهة. ينبغي عليه أن يتعلم عزف الغيتار بقدميه.

حدّقت به ريز عبر سحاب الدخان الذي خلّفه المسدس، بعينين واسعتين مصدومتين - تعتذر نوعا ما - والمسدس على الأرض إلى جانبها. لوّح بيده المضمدة نحوها، رغم أنه لم يكن واثقاً تماما مما تعنيه تلك الإشارة. خطر له أنه يحاول أن يؤكد لها بأنه على ما يرام. كان قلقا من مظهرها الشاحب. لم تكن الطفلة ستتخطى ما حدث أبدا، رغم أن أياً من ذلك لم يكن خطأها.

ثم أمسكت به ماري - بث من ذراعه. كانا في المرآب. لا، كانا خارج المرآب تحت أشعة الشمس اللاهبة. وضع أنغوس قائمتيه الأماميتين على صدره، وكاد جود أن يقع أرضاً.

صرخت ماري - بث: "ابتعد عنه!" لكن صوتها كان ما يزال بعيداً.

لم يكن جود يرغب بأن يجلس فعلا هناك في الممر، حيث تسقط أشعة الشمس على وجهه.

قالت ماري - بث عندما بدأ ينهار نحو الإسمنت: "لا تفعل. لا. السيارة. هيا بنا". سحبته من ذراعه بكلتا يديها ليستمر في المشي على عقبيه.

ترنح للأمام، ثم مال عليها، ووضع دراعاً فوق كتفها، وتمايل الاثنان فوق الممر المنحدر، مثل مراهقين ثملين في حفلة راقصة، يحاولان رقص ستيروي. ضحك فعلاً هذه المرة. نظرت إليه ماري - بث برعب.

"جود. ينبغي أن تساعدني، لا أستطيع حملك، لن ننجح إذا سقطت".

أقلقه الإلحاح في صوتها، وجعله يرغب بأن يكون أداؤه أفضل. سحب نفساً عميقاً ثابتاً، وحدّق في حذاء دوك مارتن. ركّز على أن يدفع قدميه للأمام. كان المشي على الإسفلت تحت قدميه يتطلب البراعة والحذر. انتابه شعور بأنه يحاول المشي ثملاً على ترامبولين. بدت الأرض تنثني وتتمايل نحوه، والسماء تنحدر بشكل خطير.

قالت: "المستشفى".

"لا. تعرفين السبب".

"هل نذهب إلى...".

"لا ضرورة لذلك. سأوقف النـزيف". من كان يجيبها؟ بدا كأنه صوته المنطقي مما أدهشه.

نظر للأعلى، وشاهد الموستانغ. دار العالم من حوله، مشكال (منظار فيه صور تتحرك) من باحتين خضراوين شديدتي اللمعان، وحدائق أزهار، ووجه ماري - بث الكالح المرتعب. كانت قريبة جداً منه لدرجة أن أنفه كان ملتصقاً عملياً بشعرها الداكن المنثور. أخذ نفساً عميقاً، ليستنشق عبيرها الجميل الباعث على الاطمئنان، ثم فزع من الرائحة الكريهة للبارود والكلبة الميتة.

دارا حول السيارة، ورمت به على مقعد الراكب. ثم أسرعت بالدوران حول مقدمة الموستانغ، وأمسكت أنغوس من طوقه، وبدأت تسحبه نحو الباب بجانب مقعد السائق.

كانت تتحسس القفل لتفتح الباب عندما زعقت شاحنة كرادوك لدى خروجها من المرآب، وإطاراتها تدور بسرعة على الإسمنت، مخلّفة وراءها دخاناً ملوثاً بالشحم، وكرادوك خلف المقود. قفزت الشاحنة عن جانب الممر، ووثبت عبر المرج الأخضر. ضربت السياج الخشبي محدثة جلبة وحطمت جزءاً منه، وارتطمت بعنف على رصيف المشاة، لتصل إلى الطريق بصوت مدوٍ.

أفلتت ماري – بث أنعوس، ورمت بنفسها على سطح السيارة، وانزلقت على بطنها، قبل أن تصطدم شاحنة كرادوك بجانب الموستانغ تماماً. دفعت قوة الصدمة جود إلى الباب بجانب مقعد الراكب. أدار الاصطدام الموستانغ، بحيث أصبح الطرف الخلفي في الشارع فيما اندفع الأمامي فوق الرصيف، وحدث كل ذلك بسرعة كبيرة لدرجة أن ماري – بث انقذفت عن السطح وارتمت على الأرض. وصدر نتيجة ارتطام الشاحنة بسيارتهما صوت بلاستيكي غريب، امتزج بنباح حاد.

وقعت شظايا الزجاج المكسور ترن على الشارع. نظر جود وشاهد سيارة جيسيكا مكديرموت برايس الكررية المكشوفة في الشارع بجانب الموستانغ. كانت الشاحنة قد اختفت. لم تكن هناك إطلاقا في المقام الأول. انفتحت نواة كيس الهواء من المقود، وكانت جيسيكا جالسة وهي تمسك رأسها بيديها الاثنتين.

كان جود يعرف بأن عليه أن يشعر بشيء ما – شيء عاجل، شيء ينذر بالخطر – لكنه عوضا عن ذلك كان هادئاً وقليل النشاط. كانت أذناه مغلقتين، وابتلع ريقه عدّة مرات ليفتحهما.

دفع نفسه بعيداً عن الباب بجانب مقعد الراكب، ونظر كي يرى ما حلّ بماري – بث. كانت تجلس على رصيف المشاة. لم يكن هناك داعٍ للقلق. كانت بخير. كانت تبدو في حالة ذهول مثل جود، عيناها تطرفان في أشعة الشمس، وكشط كبير يبدو على ذقنها، وشعرها في عينيها. نظر مجدداً نحو السيارة المكشوفة. كانت النافذة بجانب السائق مفتوحة – أو سقطت على الطريق – ويد جيسيكا تتدلى بارتخاء خارجها. وقد توارى باقي جسدها عن الأنظار.

بدأ شخص ما يصرخ في مكان ما. بدا أنها فتاة صغيرة. كانت تصرخ لأمها.

نزلت نقطة عرق، وربما دم، على عين جود اليمنى، وسببت له الألم. رفع يده اليمنى، دون تفكير، ليمسحها ومرّر جذر سبابته المبتورة على جبينه. شعر كما لو أنه وضع يده على مشواة ساخنة. اندفع الألم على طول ذراعه حتى وصل إلى صدره، حيث تحول إلى شيء آخر، إلى لهاث ووخز جليدي خلف قفصه الصدري؛ شعور مروّع وساحر معا بشكل ما.

مشت ماري – بث بترنح حول مقدمة الموستانغ، وفتحت باب السائق الذي أطلق رعيق معدن ملتو. ووقفت مع ما بدا أنه حقيبة قماشية سوداء كبيرة بين

ذراعيها. كانت الحقيبة مبتلة. لا لم تكن حقيبة بل كان أنغوس. دفعت مقعد السائق للأمام ووضعته في الخلف قبل أن تصعد إلى السيارة.

استدار جود عندما شغلت المحرك، ينتابه شعور ممزوج بالحاجة وعدم الرغبة في الوقت نفسه لينظر إلى كلبه في الخلف. رفع أنغوس رأسه ليحدّق به بعينين رطبتين، لامعتين، حمراوين. نبح بلطف. كانت قائمتاه الخلفيتان محطمتين. وتبرز عظمة حمراء من خلال فراء إحداهما، فوق المفصل بقليل.

نقّل جود بصره من أنغوس إلى ماري - بث، التي كان فكها مكشوطاً، وكانت ترتسم على شفتيها ابتسامة رقيقة. كانت الضمادة حول يدها اليمنى المصابة الذابلة مبللة. سيعانقان بعضهما بالخطّافات قبل أن ينتهي هذا الأمر.

قال جود: "انظري إلى ثلاثتنا. ألسنا منظرا جميلا؟" سعل. كان شعور الدبابيس والإبر في صدره يخفت... ولكن ببطء فقط.

"سأعثر على مستشفى".

"لا مستشفيات. قودي إلى الطريق العام".

"يمكن أن تموت دون مستشفى".

"إذا ذهبنا إلى مستشفى، سأموت بالتأكيد، وأنت، أيضا. سيقضي كرادوك علينا بسهولة. طالما أن أنغوس حي، لدينا فرصة".

'ما الذي يستطيع أنغوس أن...'.

"كرادوك ليس خائفا من الكلب. إنه خائف من الكلب *الذي بداخل* الكلب".

"ما الذي تتحدث عنه يا جود؟ إنني لا أفهم".

"تابعي السير. أستطيع إيقاف نزيف إصبعي. إنه مجرد إصبع واحد. قودي نحو الطريق العام. اذهبي غربا". رفع يده اليمنى في الهواء، إلى جانب وجهه، لإبطاء النـــزيف. كان قد بدأ يفكر آنذاك. لم يكن بحاجة للتفكير في المكان الذي سيقصدانه؛ المكان الوحيد الذي يستطيعان الذهاب إليه.

سألت ماري - بث: "أي مكان في الغرب؟"

قال: "لويزيانا. البيت".

39

كانت أول علبة إسعافات أولية رافقتهما من نيويورك موصوعة على المقعد الخلفي. كان هناك لفة شاش صغيرة متبقية، ودبابيس، وحبوب مورتن مُسكّنة في علب صعبة الفتح. تناول علبة المورتن أولاً، وفتح الغطاء بأسنانه، وابتلع ست حبات دفعة واحدة، 1200 ميلغرام. لم تكن كافية. كان يشعر بيده كما لو أنها كتلة من الحديد الساخن تقبع على سندان، حيث تهبط عليها مطرقة ببطء ولكن بشكل منهجي.

في الوقت نفسه، لم يكن الألم يتسبب بتعكير صفو ذهنه، بل عمل كمرساة تثبت وعيه، وكطوق نجاة يشده إلى عالم الحقيقة: الطريق العام، العلامات الخضراء التي يتجاوزانها وتشير إلى المسافات بالأميال، صوت قرقعة جهاز التكييف.

لم يكن جود واثقاً من المدة التي سيبقى فيها ذهنه متيقظاً، وأراد الاستفادة من الوقت المتبقي له لشرح الأمور. تحدّث بشكل متقطع، عبر أسنانه التي تصطك على بعضها، فيما كان يشد الضمادة حول يده المصابة.

"مزرعة والدي قريبة من حدود لويزيانا، في مورز – كورنر. يمكن أن نصل إلى هناك في أقل من ثلاث ساعات. لن ينـــزف كل دمي في ثلاث ساعات. والدي مريض، ونادراً ما يستيقظ. هناك امرأة عجوز تعتني به، إنها قريبة لنا، وهي ممرضة مجازة. إنها موظفة. هناك مورفين لتهدئة آلامه. وسيكون لديه كلاب. أعتقد أن لديه – آه، ابنة الغانية. آه، ابنة. الغانية. كلبا. رعي، مثل كلبيّ. حيوانات متوحشة لعينة".

عندما انتهى من لف الشاش، أحكم تثبيته بمشابك قوية. واستعمل أنامله لخلع

حذائه. وشدّ جوربا على يده اليمنى، بينما شد الجورب الآخر حول معصمه وعقده بقوة كانت كافية لإبطاء الدورة الدموية دون أن تقطعها. حدّق بضمادة الجورب على يده وحاول التفكير فيما إذا كان يستطيع أن يتعلم ضبط الأوتار دون سبابة. إنه دائما يستطيع العزف سانداً الغيتار على جنبه. أو يستطيع العودة لاستخدام يده اليسرى، مثلما كان يفعل عندما كان طفلا. بدأ يضحك عندما خطرت له تلك الفكرة.

قالت ماري – بث: "توقف عن ذلك".

شدّ أضراسه على بعضها البعض، وأرغم نفسه على التوقف، وكان عليه الاعتراف بأنه يبدو مصاباً بالهيستيريا، حتى هو شعر بذلك.

"هل تعتقد أنها ستستدعي الشرطة من أجلنا؟ قريبتك تلك؟ هل تعتقد أنها ستستدعي طبيباً من أجلك؟"

"لن تفعل ذلك".

"لماذا؟"

"لن نسمح لها".

بعد ذلك، لم تقل ماري – بث أي شيء لبعض الوقت. قادت السيارة بسلاسة، وبطريقة آلية، متجاوزة الناس على مسلك عبور المشاة، ثم عادت إلى مسلك سير السيارات، وحافظت على سرعة سبعين. أمسكت المفقود بحذر شديد بيدها اليسرى البيضاء المصابة المتغضنة، ولم تلمسه بيدها اليمنى المتقرحة إطلاقاً.

أخيراً، قالت: "كيف ترى نهاية كل هذا؟"

لم يكن لدى جود جواب عن ذلك. أجاب أنغوس بدلاً عنه بنباح خافت يائس.

40

حاول إبقاء بصره على الطريق خلفه، يراقب منتظراً ظهور الشرطة، أو شاحنة الرجل الميت، لكن مع بداية فترة بعد الظهر، وضع خود رأسه على النافذة الحاسية وأغلق عينيه للحظة. كانت حركة الإطارات على الطريق تسبب النعاس، ويصدر عنها صوت ثم – ثم – ثم رتيب. مكيف الهواء، الذي لم يحشخش من قبل أبدا، قعقع بشكل مفاجئ. كان تأثير الطريقة الدورانية التي تهتز بها المروحة بعنف ثم تصمت تماما، ثم تهتز وتصمت، يدفع للنوم أيضا.

كان قد أمضى شهوراً في بناء الموستانع، وحولتها حيسيكا مكديرموت برايس إلى خردة مجدداً في لحظة واحدة. فعلت له أشياء لم يكن يعتقد أنها تحدث سوى للشخصيات في أغاني الريف الغربي، فقد دمرت سيارته، وقتلت كلبته، وأحرحته من منـــزله، وحعلته خارحا عن القانون. من يقول إن خسارة إصبع وفقدان نصف وحدة من الدم أمر حيد ومسل؟

لا. لم يكن الأمر مسليا. كان من المهم عدم الضحك مجدداً. لم يكن يريد أن يخيف ماري – بث، ولم يكن يرغب بأن يحعلها تعتقد أنه فقد رشده.

قالت جيسيكا برايس: "لقد فقدت رشدك. لن تذهب إلى أي مكان. ينبغي أن تهدأ. سآتي بشيء يحعلك تسترخي، وسنتحدث".

على وقع صوتها، فتح خود عينيه.

كان يجلس على كرسي مصنوع من أعصان الصفصاف، مقابل الجدار، في ممر الطابق العلوي المعتم لمنـــزل حيسيكا برايس. لم ير الطابق العلوي من قبل، ولم يدخل إلى ذلك المكان من منـــزلها أبداً، لكنه عرف فوراً مكان تواجده. كان يستطيع تحديد ذلك من الصور، اللوحات في الأطر الكبيرة التي تتدلى على

الجدران المعطاة بالخشب. كان يوجد في أحدها صورة مدرسية لريز، بعمر الثماني سنوات تقريبا، وهي تقف أمام ستارة زرقاء، وتظهر ابتسامتها جهاز تقويم الأسنان، كما كانت أذناها بارزتين من رأسها، وبدت بلهاء ولطيفة.

كانت الصورة الأخرى أقدم، والألوان باهتة نوعا ما. ويظهر فيها نقيب يقف منتصب القامة، بمنكبين عريضين، والذي يحمل بوجهه الطويل الضيق، وعينيه اللازورديتين، وفمه الدقيق الشفتين أكثر من مجرد تشابه عابر مع تشارلتون هيستون. كانت نظرة كرادوك في تلك الصورة بعيدة ومتغطرسة في الوقت نفسه.

كان هناك سلالم مركزية عريضة في نهاية الممر إلى يسار جود، والتي تصعد من البهو. كانت آنا في منتصف الطريق على الدرجات، وجيسيكا خلفها تماما. كانت آنا نضرة، ورشيقة جدا، وعظام معصميها ومرفقيها بارزة تحت جلدها، وكانت ثيابها ترفرف فضفاضة عليها. لم تكن فتاة غوث آنذاك. لا تبرّج، لا طلاء أظفار أسود، لا أقراط في الأذنين أو الأنف. كانت ترتدي قميصا أبيض، وسروالا رياضيا ورديا باهت اللون، وتنتعل خفّي لاعبي كرة المضرب. بدا شعرها كما لو أنه لم يسرح أو يمشط منذ أسابيع. كان ينبغي أن تبدو مروّعة، ومتسخة وتتضور جوعاً، لكنها لم تكن كذلك. كانت جميلة آنذاك كما كانت طوال الصيف الذي أمضياه معا في المخزن يعملان على الموستانغ مع الكلبين بين أقدامهما.

أحس جود، لدى رؤيتها، بمشاعر جياشة تنتابه: صدمة، وحيرة، وإعجاب كل ذلك في آنٍ معا. واستطاع أن يتحمل كل تلك المشاعر مرّة واحدة بصعوبة. ربما لم تكن الحقيقة حوله تستطيع تحمل تلك المشاعر أيضا فانزوى العالم عند حدود رؤيته، وأصبح مشوشا ومشوهاً. تحولت القاعة إلى ممر في ***أليس في بلاد العجائب***، كانت الأبواب على أحد جانبيه صغيرة جدا، ولا تستطيع سوى قطة منــــزلية أن تلجها، بينما كانت الأبواب على الجانب الآخر كبيرة، وقد تمددت صورة كرادوك حتى أضحت بالحجم الطبيعي. ابتعدت أصوات المرأتين على السلالم، وتراجعت حتى أصبحت غير واضحة. كانت مثل الاستماع إلى أسطوانة تباطأت بعد أن تمّ فصل المسجل عن الكهرباء فجأة.

كان جود على وشك أن يصرخ لآنا، ويرغب بأن يذهب إليها أكثر من أي شيء آخر؛ لكن عندما فقد العالم شكله، أرجع نفسه إلى الكرسي، وازدادت نبضات

قلبه سرعة. وفي لحظة أخرى، اتضحت رؤيته واستقام الممر، وأخذ يسمع آنا وجيسيكا بوضوح مجدداً. عندئذ فهم أن رؤيته للمحيط غير صحيحة وأنه لا يستطيع الاعتماد عليها كثيراً. كان مهماً أن يحافظ على هدوئه، وألا يتسرع في القيام بأي عمل. وأن تكون أفعاله ومشاعره بالحدّ الأدنى؛ وأن يراقب ما يجري ببساطة.

كانت يدا آنا معلقتين على شكل قبضتين صغيرتين نحيلتين، وصعدت السلالم باندفاع كبير، لهذا تعثرت شقيقتها أثناء محاولتها اللحاق بها، وأمسكت الدرابزين لتتفادى السقوط عن السلالم.

قالت جيسيكا: "انتظري – آنا – توقفي!" فيما كانت تستعيد توازنها، ثم تندفع على السلالم لتمسك بردن قميص شقيقتها. "تبدين هستيرية...".

قالت آنا: "لا لست كذلك لا تلمسيني". وسحبت ذراعها بعيداً عنها.

وصلت آنا إلى الممر، واستدارت نحو شقيقتها الكبرى، التي وقفت متجمدة على بعد درجتين أسفل منها، ترتدي تنورة حريرية باهتة وقميصاً حريريا بلون القهوة السوداء. كانت عضلات ساقي جيسيكا بارزة والعروق ظاهرة في عنقها. كانت تكشّر، وبدت في تلك اللحظة عجوزاً وليست امرأة في الثلاثين بل امرأة تقترب من الخمسين وبدا الخوف عليها. كانت شاحبة خاصة في منطقة الصدعين، وكانت زوايا فمها متغضنة وخطوط التجاعيد واضحة للعيان حولها.

"أنت. تتخيلين أشياء، وتمرّين بإحدى نوباتك الرهيبة. لا تعرفين ما هو حقيقي مما هو خلاف ذلك. لا يمكنك الذهاب إلى أي مكان على هذه الحالة".

قالت آنا: "هل هذا غير حقيقي؟" كانت تمسك بمغلف في يدها. "هذه الصور؟" سحبت صوراً، ولوّحت بها بإحدى يديها أمام جيسيكا، ثم ألقتها عليها. "يا الله! إنها ابنتك. إنها في الحادية عشرة".

أبعدت جيسيكا برايس نفسها عن الصور المتطايرة. فوقعت تلك الصور على الدرجات، حول قدميها. لاحظ جود أن آنا ما تزال تمسك بإحداها، والتي أعادتها إلى المغلف.

قالت آنا: "أعرف ما هو حقيقي. ربما هذه هي أول مرة أعرف بها ما هو حقيقي".

قالت جيسيكا بصوت ضعيف خافت: "كرادوك".

تابعت آنا: "سأرحل. المرة القادمة التي ستشاهديني بها، سأكون مع حشد من محاميه. لآخذ ريز".

قالت جيسيكا: "هل تعتقدين *أنه* سيساعدك؟" بهمس يرتعش. *هو؟ محاموه؟* استغرق الأمر من جود لحظة حتى يدرك أنهما كانتا تتحدثان عنه. بدأت يده اليمنى تحكه. وشعر بأنها متورمة وساخنة.

"سيفعل بالتأكيد".

حينها قالت جيسيكا بصوت أعلى ومرتعش: "كرادوك".

انفتح باب في الممر العاتم على يمين جود. ألقى نظرة عليه، متوقعاً أن يرى كرادوك، لكنها كانت ريز بدلاً منه. نظرت خلسة من داخل الباب، طفلة لها شعر آنا الذهبي الباهت، وتتدلى ضفيرة طويلة منه فوق عينيها. كان جود آسفاً لرؤيتها، وشعر بوخزة ألم عند رؤية عينيها الكبيرتين المذهولتين. هناك أشياء ينبغي على بعض الأطفال رؤيتها. رغم ذلك؛ افترض أن ذلك لم يكن سيئاً مثل بعض ما تعرضت له.

قالت آنا: "سينكشف ذلك يا جيسي. كله. أنا مسرورة. سأفصح ما يجري. آمل أن يذهب إلى السجن".

صرخت جيسيكا: "كرادوك!"

وفُتح الباب المواجه لغرفة ريز مباشرة، وخرج شخص طويل، وشديد النحول إلى الممر. كان كرادوك شكلاً أسود في الظل، خالي المعالم عدا نظارة بإطار بلاستيكي، والتي كان يبدو أنه يستعملها بين الفينة والأخرى فقط. التقطت عدستا نظارته السوداء الضوء، وركّزتا الضوء الموجود، لهذا توهجت النظّارة بلون وردي باهت شاحب في الظلمة. كان هناك مكيف هواء خلفه، في غرفته، يخشخش، ويطلق صوت طنين دوران ثابت، مألوف بشكل غريب.

سأل كرادوك، بصوت خشن أجش: "لماذا هذه الجلبة؟"

قالت جيسيكا: "آنا راحلة. تقول إنها ستعود إلى نيويورك إلى جودا كوين، وأنها ستذهب إلى محاميه...".

نظرت آنا إلى الأسفل صوب القاعة، نحو زوج والدتها. لم تر جود. بالطبع لم تره. كان خدّاها متوردين غضباً، وتظهر بقعتان خاليتان من أي لون على وجنتيها. وكانت ترتعش.

"... ستأتي بالمحامين، والشرطة، وتخبر الجميع بأنك وريز...".

قال كرادوك: "ريز هنا يا جيسي. هدّئي من روعك. اهدئي".

"... و... وجدت بعض الصور". أنهت جيسيكا جملتها بتردد، ونظرت إلى ابنتها للمرة الأولى.

قـــال كـــرادوك، الذي كان يبدو مسترخيا تماما: "هل فعلت؟ آنا، حبيبتي. آسف لذلـــك. لكن هذا ليس وقتا مناسبا حتى ينـــزعج المرء كما أنت الآن. الوقت متأخر يا فتاة. كاد الظلام يخيّم. لماذا لا تجلسين معي، وسنتحدث عمّا يزعجك. أرغب بأن أرى إذا كنت أستطيع تهدئة خواطرك. إذا منحتني الفرصة، فأراهن بأنني أستطيع".

بدا فجأة أن آنا تواجه مشاكل في إيجاد صوتها. كانت عيناها متسعتين ولامعتين وخائفتين. نقلت ناظريها من كرادوك إلى ريز، وأعادتها أخيراً إلى شقيقتها.

قالت آنا: "أبعديه عني. وإلا قسماً سأقتله".

قالت جيسيكا لكرادوك: "لا يمكنها الذهاب. ليس بعد".

ليس بعد؟ تساءل جود عمّا قد يعنيه ذلك. هل كانت جيسيكا تعتقد أن هناك أموراً أخرى ينبغي التحدث عنها؟ بدا له أن المحادثة انتهت آنذاك.

ألقى كرادوك نظرة جانبية على ريز.

"اذهبي إلى غرفتك يا ريز". كان يحاول الوصول إليها فيما كان يتكلم، ليطمئنها بوضع يده على رأسها الصغير.

صرخت آنا: *"لا تلمسها!"*

توقفت يد كرادوك عن الحركة، وبقيت معلقة في الهواء، فوق رأس ريز تماماً؛ ثم نزلت إلى جانبه.

عندها تغيّر شيء ما. في ظلمة القاعة، لم يكن جود يستطيع رؤية معالم كرادوك جيداً، لكنه شعر بتغيير بسيط في لغة الجسد، في وضعية كتفيه أو إيماءة رأسه أو طريقة وقوفه. كان جود يفكر برجل يجهّز نفسه للإمساك بأفعى من بين الأعشاب.

أخيراً، تحدث كرادوك إلى ريز مجدداً، دون أن يشيح بناظريه عن آنا. "اذهبي يا عزيزتي. دعي الكبار يتحدثون الآن. لقد حلّ الليل، وحان الوقت ليتحدث الكبار دون وجود فتيات صغيرات بينهم".

ألقت ريز نظرة نحو أسفل القاعة على آنا وأمها. قابلتها آنا بنظرة مماثلة، وحرّكت رأسها بإيماءة صغيرة.

قالت آنا: "اذهبي يا ريز. إنه حديث للكبار فقط".

أدخلت الفتاة الصغيرة رأسها في غرفتها مجدداً، وأغلقت بابها. انطلق صوت موسيقاها بعد لحظة مدوّياً عبر الباب، قرع طبول وزعيق غيتار مثل قطار يخرج عن سكته، تبع ذلك صوت أطفال مبتهجين يصرخون على إيقاع مضطرب. كانت تلك نسخة فرقة "كيدز بوب" من أغنية جود الأخيرة الشهيرة "سأضعك في مكانك".

ارتعش كراودك لدى سماعه الأغنية، وأغلق يديه بشكل قبضتين.

همس: "ذلك الرجل".

عندما كان يقترب من آنا وجيسيكا، حدث شيء غريب. اختفت قمة السلالم عندما سقطت عليها أشعة الشمس التي عبرت من النافذة الكبيرة في مقدمة المنــزل، وهكذا فيما كان كرادوك يقترب من ابنتي زوجته، سطع الضوء على وجهه، كاشفاً عن تفاصيل دقيقة، عن بروز عظام وجنتيه، والتجاعيد الغائرة حول فمه. لكن عدستي نظارته أصبحتا أعتم، وأخفتا عينيه خلف دوائر من السواد.

قال الرجل العجوز: "لم تعودي إلى طبيعتك منذ عدت إلينا من عند ذلك الرجل. لا أعرف ما حلّ بك، يا عزيزتي آنا. لقد مررت بأوقات صعبة - لا أحد يعرف ذلك أفضل مني - لكن يبدو أن هذا الشخص كوين استغل تعاستك وضخّم حجمها. ضخّمها كثيراً حتى لم تعودي تستطيعين سماع صوتي عندما أحاول التحدث إليك. أكره أن أراك تعيسة ومضطربة للغاية".

"لست مضطربة، ولست عزيزتك. إنني احذرك إذا إقتربت أكثر مني، ستندم على ذلك".

قالت جيسيكا: "عشر دقائق".

حرّك كرادوك أصابعه نحوها بإشارة تدعوها للصمت، وتدل على نفاد صبر.

رمقت آنا شقيقتها بنظرة، ثم عادت إلى كرادوك. "كلاكما مخطئ إذا اعتقدتما أنكما تستطيعان إبقائي هنا بالقوة".

قال كرادوك، فيما خطا متجاوزا جود: "لن يرغمك أحد على ما لا تريدينه".

كان وجهه مكفهراً ولونه شاحبا، ويبدو النمش ظاهرا على جلده الأبيض مثل

الشمع. كان يمشي متثاقلاً، ومنحنياً مما اعتقد جود أنه تقوس دائم في عموده الفقري. كانت ملامح الموت بادية على وجهه.

تابع كرادوك: "هل تعتقدين أن كوين سيقدم لك أي خدمة؟ يبدو أنني أسترجع ذكريات طرده لك. لا أعتقد أنه يجيب عن رسائلك حتى. لم يساعدك من قبل؛ ولا أرى سبباً يدعوه لمساعدتك الآن".

"لم يكن يعرف ما يحدث. لم أكن أعرف ذلك بنفسي. لكنني الآن أعرف. سأخبره بما فعلته. سأخبره أن مكانك السجن. وهل تعرف أمراً؟ سيحشد المحامين ليضعوك هناك". رمقت جيسيكا بنظرة سريعة. "هي، أيضاً ما لم يضعوها في مستشفى المجانين. لا يشكل ذلك فارقاً بالنسبة لي، طالما أنهم سيبعدونها عن ريز".

صرخت جيسيكا: "أبي!" لكن كرادوك هز رأسه بسرعة قائلاً: "اخرسي".

"هل تعتقدين أنه سيراك حتى؟ أو سيفتح الباب عندما تطرقين عليه؟ أتخيل أنه يعيش مع أخرى الآن. هناك الكثير من الفتيات الجميلات اللواتي يسعدن بخلع ملابسهن لأجل نجم روك. لا يوجد شيء تستطيعين تقديمه له ولا يمكنه الحصول عليه من أخرى، هذا إذا أغفلنا الصداع الذي تسببينه له".

عند ذلك، ظهرت إشارة ألم على وجه آنا، وضعفت قليلاً مثل عدّاءة تعبت وتقرحت قدماها من السباق.

قالت بصوت خفيض: "لا يهم إن كان مع أخرى. إنه صديقي".

قال كرادوك، وهو يخطو نحوها: "لن يصدّقك. لن يصدّقك أحد، لأن ذلك ليس صحيحاً يا عزيزتي. لا توجد كلمة صحيحة واحدة في ما تقولينه. إنك مشوشة الذهن مجدداً يا آنا".

قالت جيسيكا بانفعال: "ذلك صحيح".

"حتى الصور ليست كما تعتقدين. أستطيع شرح ذلك لك إذا سمحت لي. أستطيع مساعدتك إذا...".

لكنه كان قد اقترب كثيراً، عندها وثبت آنا نحوه، ووضعت إحدى يديها على وجهه، وانتزعت نظارته المدورة ذات الإطار البلاستيكي وحطمتها. ووضعت اليد الأخرى، التي كانت ما تزال تمسك بالمغلف، في وسط صدره ودفعته. ترنّح، وصرخ. والتوى كاحله الأيسر، وسقط أرضاً. وقع بعيداً عن الدرجات، وليس نحوها. لم تدفعه آنا عن السلالم، بغض النظر عمّا يمكن أن تقوله جيسيكا حول الأمر.

كان صوت هبوط كرادوك على مؤخرته الهزيلة مكتوماً، لكنه تردد في الممر كله وهزّ صورته المعلقة على الجدار. بدأ ينهض، ووضعت آنا عقب قدمها على كتفه ودفعته، مما أسقطه على ظهره هذه المرة. كانت ترتجف من الغضب.

زعقت جيسيكا، واندفعت مسرعة على الدرجات القليلة المتبقية، ودارت حول آنا لتجثو على ركبة واحدة، وتكون إلى جانب زوج والدتها.

وجد جود نفسه ينهض على قدميه. لم يكن يستطيع الجلوس ساكناً بعد ما حدث. توقع أن يدور العالم من حوله مجدداً، ودار فعلاً، منتفخاً على نحو يخالف العقل، مثل صورة تنعكس عن حافة فقاعة صابون متمددة. شعر بأن المسافة بين رأسه وقدميه طويلة جداً؛ أميالاً. وعندما خطا أولى خطواته للأمام، شعر بنشاط غريب، كما لو أنه عديم الوزن تقريباً، مثل غوّاص يمشي في قاع المحيط، وشق طريقه عبر الممر، و/ستشعر المسافة حوله ليستعيد إحساسه الصحيح بالأشكال والأبعاد، وهذا ما كان. كانت إرادته تعني شيئاً عندها. كان يمكنه الانتقال عبر عالم فقاعة الصابون حوله دون أن يفقعها، إذا توخّى الحذر.

آلمته كلتا يديه وليس اليمنى فقط. وشعر بأنهما تورمتا وأصبحتا بحجم قفازي الملاكمة. كان الألم يأتي على شكل موجات مستمرة ومتتابعة، ويضرب بالتزامن مع نبضه، ثم - ثم - ثم، مثل إطارات على الإسفلت. واختلط ذلك مع صوت خشخشة وأزيز مكيف الهواء في غرفة كرادوك، نجم عن هذا الخليط من الأصوات خلفية لطيفة بشكل غريب.

كان يشعر بحاجة شديدة ليطلب من آنا أن تخرج، وأن تنـــزل السلالم وتفر من المنـــزل. كان لديه إحساس قوي، رغم ذلك، أنه لا يستطيع إقحام نفسه في المشهد الذي يحدث أمامه دون أن يعبر غلاف الحلم الرقيق. وبكل الأحوال، يبقى الماضي ماضياً. لم يكن يستطيع تغيير ما حدث بالطريقة نفسها التي لم يستطع فيها إنقاذ شقيقة بامي، روث، عند صراخه باسمها.

تساءل جود لماذا صعدت آنا السلالم أصلاً، ثم فكّر أنها ربما كانت تريد وضع بعض الملابس في حقيبة قبل مغادرتها. لم تكن خائفة من كرادوك وجيسيكا، ولم تكن تعتقد أنهما يمتلكان أي سيطرة عليها؛ وكان لديها ثقة بالنفس جميلة، وآسرة، وقاتلة.

قالت آنا: "قلت لك ابق بعيداً".

سألها كرادوك: "هل تفعلين ذلك من أجله؟" حتى تلك اللحظة، كان يتحدث بلهجة جنوبية مجاملة. أما الآن فلم تكن هناك أي مجاملة في صوته، وأضحت نبرته خشنة قاسية، مثل رجل عجوز لا خير فيه. "هل هذا جزء من فكرة جنونية لتستعيديه؟ هل تعتقدين أنك ستحظين بتعاطفه، إذا زحفت عائدة إليه، بقصتك العاطفية الحزينة حول قيام والدك (زوج أمك) بإجبارك على فعل أشياء مريعة دمرتك طوال حياتك؟ أعتقد أنك لا تطيقين صبراً لتتباهي أمامه حول معاملتك لي ودفعك إياي أرضاً، أنا الرجل العجوز الذي اهتم بك في أوقات المرض وحماك من نفسك عندما كدت تفقدين عقلك. هل تعتقدين أنه سيكون فخوراً بك إذا كان واقفاً هنا الآن ورآك تهاجمينني؟"

قالت آنا: "لا. أعتقد أنه سيكون فخوراً بي إذا شاهد هذا". مشت خطوة للأمام وبصقت في وجهه.

فزع كرادوك، ثم أطلق صرخة مكتومة، كما لو أن شيئاً حارقاً دخل عينه. بدأت جيسيكا تنهض على قدميها، وقد تحولت أصابعها إلى مخالب، لكن آنا أمسكت بها من كتفها ودفعتها بعيداً لتسقط أرضاً بجانب زوج والدتهما.

وقفت آنا فوقهما، ترتعش، لكن ليس بنفس الدرجة التي كانت عليها قبل لحظة. رفع جود يديه بتردد نحو كتفها، ووضع يده اليسرى المضمدة عليها، وضغط قليلاً. تجرأ أخيراً على لمسها. لم يبدُ أن آنا لاحظت الأمر. غيرت الحقيقة شكلها للحظة عندما استقرت يده عليها، لكنه اعتقد بأن كل شيء سيعود إلى طبيعته بالتركيز على الأصوات في الخلفية، موسيقى اللحظة: ثم – ثم – ثم، الحشخشة، والأزيز.

قال: "مرحباً بك يا فلوريدا". خرجت منه الكلمات قبل أن يستطيع إمساك نفسه. لم ينته العالم.

هزّت آنا رأسها ذهاباً وإياباً، بإشارة صغيرة تدل على الرفض. عندما تحدثت، كانت نبرتها مرهقة: "وكنت خائفة منك".

استدارت، وانسلت من قبضة جود، وسارت في الممر، وصولاً إلى غرفة في نهايته، ثم أغلقت الباب خلفها.

سمع جود شيئاً يطقطق، ويتمّ إغلاقه. كانت يده اليمنى الملتفة بالجورب، غارقة بالدماء التي تقطر على الأرضية. كانت الأزرار الفضية على مقدمة سترة

جوني كاش تلمع في آخر أضواء النهار البرتقالية اللون. لم يلاحظ أنه يرتدي بذلة الرجل الميت حتى ذلك الوقت. كان مقاسها يناسبه تماما. لم يتساءل جود للحظة واحدة كيف استطاع رؤية ذلك المشهد أمامه، لكن الإجابة عن ذلك السؤال الذي لم يطرحه من قبل خطرت على باله الآن. لقد اشترى بذلة الرجل الميت والرجل الميت. كما اقتنى أيضا الشبح وماضي الشبح. أصبحت تلك اللحظات تنتمي إليه، أيضا، الآن.

جثمت جيسيكا بجانب زوج والدتها، وكلاهما يلهثان بصعوبة، ويحدّقان بباب غرفة آنا المغلق. سمع جود أصوات فتح وإغلاق أدراج هناك، وباب خزانة يُغلق بعنف.

همست جيسيكا: "الليل. أخيراً، حلّ الليل".

أومأ كرادوك برأسه. كان لديه ندبة في وجهه، تحت عينه اليسرى تماماً، حيث أنشبت آنا أحد أظفارها بعد أن حطمت نظارته. كان هناك قطرات من الدم تسيل على كل أنفه. كان قد ضربها بظاهر يده بعنف، ونتج عن ذلك لطخة حمراء على طول خدّه.

ألقى جود نظرة من النافذة الكبيرة نحو الردهة. كانت السماء زرقاء صافية، تتحول إلى اللون الأسود مع حلول الليل. وعلى طول الأفق، خلف الأشجار وأسطح المنازل على الجانب الآخر من الشارع، كان هناك خط من اللون الأحمر الداكن، حيث اختفت الشمس للتو آنذاك.

سأل كرادوك: "ماذا ستفعلين؟" تكلم بهدوء، وكان صوته أعلى من الهمس بقليل، وكان لا يزال يرتجف من الغضب.

قالت له جيسيكا، بصوت خافت مثله: "سمحت لي بتنويمها مغناطيسيا عدّة مرات. لمساعدتها على النوم في الليل. لدي اقتراح".

كان هناك سكون لفترة قصيرة في غرفة آنا. ثم ميّز جود صوت طق، قارورة تنقر بكأس، تبعه قرقرة رقيقة.

سأل كرادوك: "أي اقتراح؟"

"قلت لها إن الليل توقيت مناسب للشرب. قلت إنها مكافأتها لتماسكها خلال النهار. إنها تحتفظ بقارورة في الدرج العلوي".

ساد هدوء مخيف في غرفة نوم آنا.

"ما علاقة ذلك بما نقوله؟"

قالت جيسيكا: "هناك فينوباربتين (مسكّن للصرع) في شرابها. إنها تنام بعمق هذه الأيام".

صدر صوت ارتطام شيء ما على أرضية غرفة آنا الخشبية. سقوط الكأس.

تنفس كرادوك الصعداء: "عرفت أنك ستدبرين شيئاً".

قالت جيسيكا: "ينبغي أن تجعلها تنسى: الصور، وما وجدته، *كل شيء*. كل ما حدث. ينبغي أن تزيله كله".

قال كرادوك: "لا أستطيع القيام بذلك. لم أستطع القيام بذلك منذ وقت طويل. عندما كانت أصغر... عندما كانت ثقتها بي أكبر. ربما أنت...".

كانت جيسيكا تهزّ رأسها. "لا أستطيع الغوص بها إلى ذلك العمق. لن تسمح لي؛ لقد حاولت. آخر مرة نوّمتها مغناطيسياً، لمساعدتها في التغلب على الأرق، حاولت طرح أسئلة عليها حول جود كوين، وما كتبته في رسائلها له، وفيما إذا قالت له أي شيء حول... حولك. لكن كلما كان الحديث شخصياً، كلما سألتها شيئاً لا ترغب بأن تخوض فيه، كانت تشدو بإحدى أغانيه. تصدّني. لم يسبق أن رأيت شيئاً مماثلاً من قبل".

قال كرادوك مجدداً، وشفته العليا ترتجف: "كوين فعل ذلك. لقد أفسدها. *أفسدها*. قلبها ضدنا. استعملها لما كان يريده، وحطّم عالمها بأكمله، ثم أعادها إلينا ليحطم عالمنا. ربما يكون قد أرسل قنبلة في البريد أيضاً".

"ماذا سنفعل؟ لابد من طريقة لإيقافها. لا يمكنها مغادرة المنــزل على هذا الحال. سمعتها. ستأخذ ريز بعيداً عني. ستأخذك، أيضاً. سيعتقلونك، ويعتقلونني، ولن نرى بعضنا مجدداً أبداً، إلا في قاعة المحكمة".

كان كرادوك يتنفس بصعوبة آنذاك، وقد خلا وجهه من أي تعبير، ولم يظهر عليه سوى نظرة عدائية بليدة ساخرة. "أنت على حق بشيء واحد أيتها الفتاة. لا يمكنها مغادرة هذا المنــزل".

مرّت لحظة قبل أن تستطيع جيسيكا استيعاب تلك الجملة. ألقت نظرة فزعة مشوشة على زوج والدتها.

تابع قائلاً: "الجميع يعرف بشأن آنا. التعاسة التي تعيشها دائماً. الجميع يعرفون كيف سينتهي بها الأمر. وأنها ستشرط رسغيها يوماً ما في الحمام".

بدأت جيسيكا تهزّ رأسها. استطاعت الوقوف على قدميها، لكن كرادوك أمسك بها من معصميها، وسحبها لتجثو مجدداً على ركبتيها.

قال: "الشراب والممنوعات سيجعلان الأمر يبدو منطقيا. الكثيرون منهم يتجرعون الشراب وبعض الحبوب قبل قيامهم بذلك. قبل أن ينتحروا. إنها الطريقة التي تهدأ بها محاوفهم وتسكن آلامهم".

كانت جيسيكا ما تزال تهزّ رأسها، خائفة قليلا، وكانت عيناها لامعتين ومذعورتين ومشوشتين، ولم تعد ترى زوج والدتها. كانت تلتقط أنفاسها بصعوبة؛ وكانت قريبة من الاحتناق.

عندما تحدث كرادوك مجدداً، كان صوته ثابتاً، وهادئاً. "أوقفيها الآن. هل تريدين أن تأخذ آنا ريز بعيداً؟ هل تريدين قضاء عشر سنوات في سجن المقاطعة؟" ضغط يده على معصميها وقرّبها منه، وأصبح يتحدث في وجهها مباشرة. وركّزت عيناها على الأقل عليه، وبدأ رأسه يهتز ذهاباً وإياباً. قال كرادوك: "هذا ليس خطأنا. إنه خطأ كوين. إنه من حصرنا في هذه الزاوية، هل سمعت؟ إنه من أعاد لنا هذه الغريبة التي تريد تمزيق شملنا الآن. لا أعرف ماذا حدث لآنا التي نعرفها. لم أر آنا الحقيقية منذ وقت لم أعد أذكره. آنا التي ترعرعت معها ماتت. لقد سعى كوين إلى ذلك. بالنسبة لي، لقد أجهز عليها. ربما يكون قد قطع رسغيها بنفسه. وينبغي أن يدفع ثمن ذلك. صدقيني. سأعلّمه ألا يتدخل في شؤون عائلة رجل آخر. صه، الآن. التقطي أنفاسك. أصغي إلى صوتي. سنتجاوز هذا. سأجعلك تتجاورين هذا، تماماً كما جعلتك تتجاوزين كل أمر سيئ آخر في حياتك. ثقي بي الآن. حذي نفساً عميقاً. حذي نفساً آخر الآن. أفضل؟"

اتسعت عيناها الزرقاوان الشاحبتان طمعاً وهي مذهولة. أطلقت زفرة بطيئة نتج عنها صفير، أتبعتها بأخرى.

قال كرادوك: "تستطيعين فعل ذلك. أعرف أنك تستطيعين. لأجل ريز، يمكنك فعل ما ينبغي فعله".

قالت جيسيكا: "سأحاول. لكن ينبغي عليك إرشادي. ينبغي أن تقول لي ما يتوجب عليّ فعله. لا أستطيع التفكير".

قال كرادوك: "لا بأس بذلك. سأفكر نيابة عن كلينا. ولا ينبغي عليك فعل أي شيء سوى النهوض وأخذ حمام ساخن".

"نعم. حسنا".

بدأت جيسيكا تقف مجدداً، لكن كرادوك أمسك بها من معصميها، وأبقاها إلى جانبه لحظة أخرى.

قال كرادوك: "وعندما تنتهين، انزلي إلى الأسفل واجلبي قلادتي القديمة. سأحتاج شيئاً لرسغي آنا".

بعد ذلك، أفلتها من قبضته. نهضت جيسيكا على قدميها بسرعة كبيرة لدرجة أنها ترنحت، ووضعت يدها على الجدار لتسند نفسها. حدّقت به للحظة، ثم استدارت بنوع من النشوة وفتحت باباً إلى يسارها تماماً، ودخلت إلى حمام مكسو بالسيراميك الأبيض.

بقي كرادوك على الأرض حتى سمع صوت المياه تتدفق في حوض الاستحمام. ثم نهض على قدميه بصعوبة، ووقف كتفاً بكتف مع جود.

قال جود: "أيها العجوز اللعين". تلوّى عالم فقاعة الصابون وتمايل. صكّ جود أسنانه على بعضها البعض، وأعاد عالمه الفقاعي إلى شكله الأصلي.

كانت شفتا كرادوك رقيقتين وشاحبتين، وتفسحان المجال لظهور أسنانه في تكشيرة مريرة بشعة. كان اللحم القديم على ظاهر ذراعيه مترهلاً. شق طريقه ببطء نحو غرفة آنا، مشى مترنحاً مما تسبب بوقوع شيء منه، فتح الباب، وكان جود في أعقابه.

كان هناك نافذتان في غرفة آنا، لكن كلتاهما كانتا تواجهان مؤخرة المنـــزل، في الجهة المقابلة لمكان غروب الشمس. كان الليل مخيماً هناك، وتغرق الغرفة في ظلال زرقاء. جلست آنا على طرف السرير، وكان هناك كأس فارغة على الأرض بين خفيها. كانت حقيبتها القماشية على الفراش خلفها، وبعض الثياب مرمية فيها على عجل، وردن كنـــزة حمراء يبرز منها. كان السرور بادياً على وجه آنا، وتضع ساعديها على ركبتيها، وعيناها تلمعان وثابتتان على نقطة. كان المغلف الأصفر اللون مع صور رير داخله - دليلها - في إحدى يديها، ويبدو أنها نسيت أنها تحمله. رؤيتها على تلك الحال أزعجت جود كثيرا.

غاص جود في السرير بجانبها. أصدر الفراش صوت صرير تحته، لكن لم يبدُ أن أحداً - ليس آنا، ولا كرادوك - لاحظ ذلك. وضع يده اليسرى فوق يد آنا اليمنى. كانت يسراه تنـــزف مجددا من الجرح المفتوح، وكانت الضمادة متسخة

ومهلهلة. متى بدأ ذلك؟ لم يستطع حتى رفع يده اليمنى، والتي كانت ثقيلة جداً ومؤلمة جداً آنذاك. وأصابته فكرة تحريكها بالدوار.

توقف كرادوك أمام ابنة زوجته، وانحنى ليتأمل ملياً في وجهها.

"آنا؟ هل تستطيعين سماعي؟ هل تستطيعين سماع صوتي؟"

بقيت تبتسم، ولم تجب في البداية. ثم طرفت عينيها وقالت: "ماذا؟ هل قلت شيئاً يا كرادوك؟ كنت أستمع إلى جود. عبر المذياع. إنها أغنيتي المفضلة؟"

عضّ على شفتيه حتى لم يعد هناك لون فيهما. "ذلك الرجل". قالها مجددا كما لو أنه يبصق. أمسك بإحدى زوايا المغلف، وسحبه من يدها.

انتصب كرادوك واقفاً، واستدار نحو إحدى النافذتين ليغلق الستائر.

قال جود: "أحبك يا فلوريدا". انتفخت الغرفة من حوله عندما تكلم، وتمددت فقاعة الصابون لدرجة أنها كادت تنفجر، ثم تقلصت مجدداً.

قالت آنا برقّة: "أحبك يا جود".

عند ذلك، هزّ كرادوك كتفيه استهجاناً. نظر للخلف، مستغرباً. ثم قال الرجل العجوز: "أنت وهو ستعودان معاً قريباً. هذا ما تريدينه، وهذا ما ستحصلين عليه. سأعمل على ذلك. سأجمعكما معاً بأسرع ما يمكنني".

قال جود: "اللعنة عليك". هذه المرة عندما انتفخت الغرفة، وتمددت لتأخذ شكلاً آخر، لم يستطع، بغض النظر عن الجهد الذي بذله في التركيز على ثم – ثم – ثم، أن يعيد سيرتها الأولى. انتفخت الجدران ثم ارتدت نحو الداخل، مثل ملاءة سرير معلقة على سلك وتتحرك عند أدنى نسمة.

كان الهواء في الغرفة دافئاً وثقيلاً وله رائحة العادم والكلاب. سمع جود صوت نباح ناعم خلفه، ونظر إلى الوراء، إلى أنغوس الذي كان مستلقياً على السرير حيث كانت حقيبة آنا القماشية قبل لحظة فقط. كانت أنفاسه مجهدة، وعيناه دبقتين وصفراوين. كان هناك عظمة حمراء حادة الأطراف مغروزة في إحدى قوائمه الملتوية.

نظر جود للخلف نحو آنا، ليكتشف فقط أنها ماري – بث تجلس بجانبه على السرير الآن، ووجهها متسخ، وملامحها قاسية.

سحب كرادوك إحدى الستائر، وأصبحت الغرفة أكثر عتمة. نظر جود عبر النافذة الأخرى، وشاهد المسطحات الخضراء إلى جانب الطريق بين الولايات،

وأشجار النخيل، والنفايات بين الأعشاب الضارة، ثم لافتة خضراء مكتوب عليها "المخرج 9". تحركت يداه ثم – ثم – ثم. صدر عن مكيف الهواء صوت خشخشة، أزيز وخشخشة. تساءل جود للمرة الأولى حول كيفية تحمّله لمكيف هواء كرادوك حتى ذلك الوقت. كانت غرفة الرجل العجوز في آخر الممر. بدأ شيء يطقطق، بصوت متكرر مثل الرقّاص.

انتقل كرادوك إلى النافذة الأخرى، وحجب عن جود رؤية الطريق العام، وأغلق تلك الستارة أيضاً، مغرقاً غرفة آنا بالظلام. أخيراً، لقد حل الليل.

أعاد جود النظر إلى ماري – بث، فمها مغلق وإحدى يديها على المقود. أضاءت المشيرة بشكل متكرر، وفتح فمه، ليقول شيئاً، لم يكن يعرف فحواه، شيء مثل...

41

ماذا تفعلين؟ صوته أجش بشكل غير مألوف. كانت ماري - بث توجه الموستانغ نحو مخرج، وكادت تصل إليه تقريباً. "ليس هذا".

"كنت أهزك منذ نحو خمس دقائق، ولم تستيقظ. اعتقدت أنك في غيبوبة أو شيء من هذا القبيل. يوجد مستشفى هنا".

"تابعي السير. لقد استيقظت الآن".

انحرفت بالسيارة عائدة إلى الطريق العام في آخر لحظة، وزعق بوق خلفها.

سأل جود: "كيف حالك يا أنغوس؟" وألقى نظرة عليه في الخلف.

مدّ جود يده بين المقعدين ولمس محلباً، وللحظة احتدت نظرة أنغوس قليلاً. تحركت مخالبه. ووجد لسانه ظاهر يد جود اليسرى، ولعق أظفاره.

همس جود: "كلب جيد. كلب جيد".

أخيراً، استدار واستقر في مقعده. كان الجورب على يده اليمنى مغطى باللون الأحمر. كان بحاجة شديدة لحقنة من دواء ما تسكن الألم، واعتقد أنه ربما يجدها في المذياع: سكاينيرد أو - في حال عدم وجوده - بلاك كروز. لمس زر التشغيل وانتقل سريعا من سماع تشويش إذاعي إلى دوبلر (تغيير في تردد موجات الصوت) لبثٍّ عسكري مشفّر إلى "هانك ويليامز الثالث"، أو ربما "هانك وليامز" فقط، ولم يكن جود قادراً على التحديد بسبب ضعف الإشارة، وبعدها...

ثم استقر المؤشر على بثٍّ إذاعي واضح جداً: كرادوك.

"لم أعتقد أبداً أن لديك كل هذا الإصرار أيها الفتى". كان صوته لطيفاً وقريباً، يخرج من المكبرات المثبتة على الأبواب. "لا تستسلم أبداً. هذا يناسبني عادة. ليس هذا بالأمر المعتاد، بالطبع. تتفهم ما أقصد". ضحك. "أي مكان سيفي بالغرض. كما

تعرف، معظم الناس يعتقدون أنهم لا يعرفون معنى كلمة /ستسلام، لكن هذا ليس صحيحاً. معظم الناس، إذا عرّضتهم للضغط، لضغط شديد، وربما ساعدتهم على ذلك ببعض الممنوعات، وجعلتهم يغطون في نوم عميق، ثم قل لهم إنهم يحترقون أحياء؟ سيصرخون طلبا للماء حتى تبح حناجرهم. سيفعلون أي شيء لإيقافه. سيفعلون أي شيء مثلك. إنها الطبيعة البشرية. لكن بعض الناس - الأطفال والمجانين، على الأغلب - لا تحصل منهم على جوابٍ شافٍ، حتى عندما يكونون نائمين. كانت آنا مزيجاً من الاثنين، والله يحبها. حاولت جعلها تنسى كل الأشياء التي تجعلها حزينة. كانت فتاة طيبة، كنت أكره الطريقة التي تتعلق بها بالأشياء بما في ذلك تعلقها بك. لكنني لم أستطع تركها على تلك الحال أبداً، رغم أن ذلك كان سيخفف آلامها. بعض الناس يعانون. لا عجب أنها أحبتك. أنت تشبهها. أردت التعامل معك بسرعة. لكن كان عليك الخروج واصطحاب هذا معك. وينبغي أن تتساءل عن السبب الآن. ينبغي أن تسأل نفسك. كما تعرف، عندما يتوقف ذلك الكلب في المقعد الخلفي عن التنفس، ستتوقف أنت أيضا. ولن يكون الأمر سهلاً، كما قد يكون. قضيت ثلاثة أيام تعيش مثل الكلاب، وينبغي أن تموت الآن مثلها، وكذلك غانية الدولارين التي تجلس بجانبك...".

أطفأت ماري - بث المذياع بإبهامها. إلا أنه عاد للعمل فوراً.

"... تعتقد أنك تستطيع تحويل فتاتي الصغيرة ضدي، وأنك ستنجو بفعلتك دون أن تدفع ثمن ذلك...".

رفع جود قدمه، وضرب واجهة المذياع بعقب دوك مارتن. فاصطدم الحذاء به محدثاً صوت تحطم. ضاع صوت كرادوك للحظة في التشويش الذي يصم الآذان. ضرب جود المذياع مجدداً، محطماً الواجهة. فساد صمت تام.

قال لها جود: "هل تتذكرين عندما قلت لكِ إن الرجل الميت لم يظهر ليتحدث إلينا؟ أتراجع عن ذلك. مؤخراً، بدأت أعتقد أن هذا هو كل ما يسعى إليه".

لم تجب ماري - بث. تحدث جود مجددا بعد ثلاثين دقيقة، ليخبرها أن تسلك المخرج التالي.

سارا على طريق ولاية بمسربين، بمحاذاة غابة جنوبية، شبه استوائية تنمو على جانبي الطريق، وتميل أشجارها عليه. تجاوزا دار عرض في الهواء الطلق مغلقة منذ كان جود طفلاً. كانت شاشة العرض العملاقة تطل على الطريق، وفيها

ثقوب، تسمح بمشاهدة السماء من خلالها. كان الدخان الأسود ميزة تلك الأمسية. مرّا بجانب نزل نيو – ساوث، المغلق منذ زمن طويل، وقد نمت حوله الأعشاب الضارة، وبليت نوافذه الخشبية. تجاوزا محطة وقود، المكان الأول الذي شاهداه مفتوحا. كان هناك رجلان بدينان جداً لفحتهما الشمس كثيراً يجلسان أمامها وراقباهما يمرّان. لم يبتسما أو يلوّحا أو يتعرفا على السيارة المارة بأي طريقة، إلا أن أحدهما انحنى للأمام، وبصق على التراب.

وجّه جود ماري – بث لتستدير يساراً خارج الطريق العام، وتبعا طريقا يصعد نحو قمم تلال صغيرة. كان لون بعد الظهر أحمر غريباً، ومعتما بشكل خافت، مثل حمرة الأفق عند الغروب. كان نفس اللون الذي شاهده جود عندما أغلق عينيه، لون صداعه. لم يكن الغروب قريباً، لكن الجو بدا كذلك. كانت الغيوم إلى الغرب معتمة ومتوعدة، وكانت الرياح تتلاعب برؤوس أشجار النخيل.

قال: "وصلنا".

عندما استدارت ماري – بث نحو المدخل، الطويل الصاعد نحو المنـــزل، عصفت الرياح بقوة أكثر من المعتاد، وألقت برشقة من قطرات المطر الكبيرة على الزجاج الأمامي. سقطت الأمطار فجأة، محدثة صوتاً كالصليل، وانتظر جود المزيد، لكنه لم يأت.

يقبع المنـــزل على قمة رابية صغيرة. لم يأت جود إليه منذ أكثر من ثلاثة عقود، ولم يدرك حتى هذه اللحظة الشبه الكبير بين منـــزله في نيويورك ومنـــزل طفولته. بدا الأمر كما لو أنه قفز عشر سنوات في المستقبل، وعاد إلى نيويورك ليجد مزرعته مهملة ومهجورة، وقد تحولت إلى أنقاض. كان لون المكان رماديا مثل فأر، وكان سقفه مكسواً بألواح خشبية سوداء، الكثير منها مكسور أو مفقود، وشاهد جود في الواقع الريح تنـــزع إحداها، وترفع الشكل المربع الأسود في الهواء.

كان قن الدجاج المهجور مرئياً من أحد جانبي المنـــزل، والغربال يتأرجح مفتوحا، ثم ينغلق بقوة محدثاً صوتا مثل العيار الناري. لم يكن هناك زجاج على نافذة في الطابق الأول، وكانت الريح تعصف بقطعة بلاستيكية شبه شفافة مثبته على إطارها. لطالما كان هذا المكان الذي ينبغي التوجه إليه، وكان جود يدرك ذلك آنذاك. لقد كانوا يتجهون إلى هذا المكان منذ اللحظة التي ساروا فيها على الطريق.

ينتهي المسلك الترابي الذي يقود إلى المنــزل بمستديرة صغيرة. سارت ماري – بث حولها، وقادت الموستانغ لتكون في الاتجاه الذي جاءا منه، قبل أن توقفها. كانا يحدّقان في الطريق عندما سطع كاشفا شاحنة كرادوك عند أسفل التل.

قالت ماري – بث: "يا الله". ثم خرجت من الموستانغ، ودارت أمامها وصولاً إلى جانب جود.

بدا أن الشاحنة عند أسفل التل قد توقفت للحظة، ثم بدأت تصعد الطريق نحوهما.

فتحت ماري – بث بابه على عجل، وكاد جود أن يسقط. سحبته من ذراعه.

"انهض على قدميك. ادخل إلى المنــزل".

قال: "أنغوس...". وألقى نظرة خاطفة إلى الخلف على كلبه.

كان رأس أنغوس يرقد على مخالبه الأمامية. وكان يحدّق بجود بشكل غريب، وعيناه حمراوان ورطبتان.

"إنه ميت".

قال جود واثقاً بأنها مخطئة: "لا. كيف حالك أيها الفتى؟"

كان أنغوس ينظر إليه بحزن، دون أن يتحرك. هبت الرياح داخل السيارة، وطار كوب بلاستيكي فارغ ليستقر على الأرض، ويخشخش برقة. حرّك الهواء فراء أنغوس، ودفع به في الاتجاه المعاكس. ولم يكترث أنغوس لذلك.

لم يكن محتملاً أن يموت أنغوس بذلك الشكل، دون جعجعة. كان حيا منذ بضع دقائق مضت، كان جود مقتنعاً بذلك. وقف جود على التراب بجانب الموستانغ، متأكداً أنه إذا انتظر لحظة أخرى، فسيتحرك أنغوس، ويمد مخالبه الأمامية، ويرفع رأسه. ثم أخذت ماري – بث تسحبه من ذراعه مجددا، ولم تكن لديه القوة الكافية لمقاومتها، وكان عليه أن يمشي مترنحاً أو يخاطر بأن يقع أرضا.

وقع على ركبتيه على بعد أقدام من الدرجات أمام الباب. لم يعرف السبب. كان يضع يداً فوق كتفي ماري – بث، وكانت تضع يدها حول خصره، وتئن من شفتيها المطبقتين، تشده للوقوف على قدميه. سمع خلفه شاحنة الرجل الميت تتباطأ لتتوقف عند المستديرة. وتطاير الحصى تحت إطاراتها.

"مرحباً يا فتى". قالها كرادوك من نافذة السائق المفتوحة، ووقف جود وماري – بث عند الباب لينظرا إلى الخلف.

توقفت الشاحنة بجانب الموستانغ. كان كرادوك يجلس خلف المقود، في بذلته الرسمية السوداء المتيبسة بأزرارها الفضية. وكانت يده اليسرى بارزة خارج النافذة. وكان وجهه قاسياً وراء الزجاج الأزرق المقوس.

قال كرادوك: *"هذا منــزلك يا بني؟"* ضحك. *"كيف تطيق أن تعيش هنا؟"* ضحك مجددا.

نزلت الشفرة التي على شكل هلال من اليد التي تبرز من النافذة، وتأرجحت من السلسلة اللامعة.

ستقطع حنجرتها. وستكون سعيدة عندما تفعل ذلك. ستفعل ذلك وحسب. كان عليك الابتعاد عن بناتي الصغيرات يا جود.

أدار جود مقبض الباب، ودفعته ماري - بث بكتفها للداخل، وأصبحا في وسط ظلمة الردهة الأمامية. أغلقت ماري - بث الباب خلفهما بقدمها. ألقى جود نظرة أخيرة عبر النافذة بجانب الباب، وكانت الشاحنة قد اختفت. وكانت الموستانغ تقف وحيدة في الممر. أدارته ماري - بث، ودفعته للحركة مجدداً.

سارا عبر الممر، جنباً إلى جنب، يتكئان على بعضهما البعض. احتكّ وركها بطاولة جانبية فقلبتها، وسقطت أرضاً، وارتطم هاتف كان عليها بالأرض الخشبية، وطارت السماعة بعيداً عن القاعدة.

كان هناك باب في نهاية الردهة، يقود إلى المطبخ، حيث كانت الأضواء تعمل. كان ذلك مصدر الضوء الوحيد الذي شاهداه حتى ذلك الوقت في المنــزل بأكمله. كانت النوافذ معتمة من الخارج، وحالما دخلا، كانت الردهة الأمامية غارقة في الظلال وظلمة حالكة تنتظر في أعلى السلالم.

ظهرت امرأة عجوز، ترتدي قميصاً مخططا بلون الزهور، عند باب المطبخ. كان شعرها أجعد وأبيض، ونظارتها تضخّم عينيها الزرقاوين المندهشتين اللتين ظهرتا كبيرتين بشكل مضحك. عرف جود أنها آرلين ويد بسرعة، رغم أنه لم يستطع تحديد كم مضى من وقت منذ رآها آخر مرة. وبغض النظر عن توقيت ذلك، فقد بدت كما كانت دائماً: هزيلة، ونظرتها وجلة دائما، وعجوز.

صرخت: "ماذا تفعلان؟" ارتفعت يدها إلى القلادة التي على صدرها. تراجعت للخلف عندما وصلا إلى الباب لتسمح لهما بتجاوزها. "يا الله، جوستن. ما الذي حدث لك؟"

كان المطبخ أصفر. أرضيته صفراء، وسيراميكه أصفر، وستائره صفراء وبيضاء، أما الأطباق فكانت موضوعة على شكل زهرة الأقحوان في السلة إلى جانب حوض غسل الأطباق، وحالما استوعب جود ما يجري حوله، حتى سمع تلك الأغنية في ذهنه، تلك التي حققت نجاحاً باهرا لـــ "كولدبلي" قبل عدّة سنوات، الأغنية التي تقول إن كل شيء أصفر اللون.

كان متفاجئا – نظرا للطريقة التي يبدو عليها المنـــزل من الخارج – لأنه وجد المطبخ مليئا بالألوان النابضة بالحياة، ومرتبا للغاية. لم يكن المطبخ مريحا على هذا الشكل عندما كان صغيرا. كان المطبخ المكان الذي تقضي فيه والدته معظم أوقاتها، تشاهد التلفاز طوال النهار بذهول فيما كانت تقشّر البطاطا أو تغسل الفاصولياء. كأن لا مبالاتها، وإرهاقها العاطفي قد استنـــزفا اللون من الغرفة وجعلاها مكاناً من الضروري تبادل أطراف الحديث فيه بأصوات خافتة، ومساحة خاصة حزينة لم يعد المرء يستطيع عبورها دون إثارة فوضى تلفت الانتباه.

لكن والدته ميتة منذ ثلاثين سنة، وهذا مطبخ آرلين ويد الآن. إنها تعيش في المنـــزل منذ أكثر من سنة، وقضت على الأرجح معظم ساعات يقظتها في هذه الغرفة، والتي أكسبتها طابعاً يتماشى مع ما هي عليه أصلا، امرأة عجوز لديها أصدقاء، تتحدث إليهم عبر الهاتف، وتخبز الفطائر للأقارب، وتعتني برجل يحتضر. في الحقيقة، كان المطبخ مريحا *أكثر* من اللازم. شعر جود بالدوار من دفئه، ومن الهواء الذي أضحى فجأة ثقيلا فيه. أدارته ماري – بث نحو طاولة المطبخ. شعر بمخلب عظمي يغرز في ذراعه اليمنى، وكانت آرلين تمسك بأعلى ذراعه، وتفاجأ من قوة أصابعها الكبيرة.

قالت: "هناك جورب على يدك".

قالت ماري – بث: "لقد بتر أحد أصابعه".

سألت آرلين: "ماذا تفعلين هنا، إذا؟ كان ينبغي نقله إلى المستشفى".

تهاوى جود على كرسي. وشعر، حتى وهو جالس بلا حراك، بأنه ما زال يمشي، وأنه يتجاوز حدران الغرفة ببطء، والكرسي يتحرك للأمام مثل سيارة في منتزه لعضاء أوقات الفراغ: *جولة السيد جود البرية*. غاصت ماري – بث على كرسي بجانبه، وركبتاها تلامسان ركبتيه. كانت ترتعش. كان وجهها يتقطر عرقاً، بينما كان شعرها مشعثاً، وكانت عاقدة الجبين مكفهرة. التصقت خصل من الشعر

بصدغيها، بالعرق الذي غطى جانبي وجهها وصولاً إلى مؤخرة عنقها.

سألت ماري – بث: "أين كلابك؟"

بدأت آرلين تفك الجورب حول معصم جود، وأمعنت النظر فيه من خلال عدستي نظارتها. وحتى إذا كانت قد وجدت هذا السؤال غريبا أو محيراً، إلا أنها لم تفعل ما يشير إلى ذلك. كانت منهمكة بالعمل بين يديها.

قالت: "كلبي هناك". وأشارت إلى إحدى زوايا الغرفة. "وكما ترين، فإنه يحميني جيداً. إنه كلب عجوز شرس. لا ترغبين بأن تتجاوزيه".

نظر جود وماري – بث إلى الزاوية. كان هناك كلب عجوز بدين يجلس على وسادة مخصصة للكلاب في سلة من أغصان الصفصاف. كان كبيراً جداً عليها، وقد تدلت مؤخرته الوردية الخالية من الشعر من الطرف. رفع رأسه بوهن، ونظر إليهما بعينين دامعتين محتقنتين، ثم خفّض رأسه مجدداً، وتنهد بلطف.

سألت آرلين: "هل هذا ما حدث لهذه اليد؟ هل عضك كلب يا جوستن؟"

سألها جود: "ماذا حدث لكلاب الرعي التي كان أبي يقتنيها؟"

"لم يستطع العناية بكلب منذ زمن طويل الآن. أرسلت كلينتون وراذر للعيش مع عائلة جيفري". ثم نزعت الجورب عن يده، وشهقت عندما رأت الضمادة تحتها. كانت مبللة – مشبعة – بالدماء. "هل دخلت في نوع غبي من السباقات مع أبيك لترى من يموت أولاً؟" وضعت يده على الطاولة دون أن تنــزع الضمادة لترى المزيد. ثم ألقت نظرة على يد جود اليسرى المضمدة. "هل فقدت أي أجزاء من هذه أيضاً؟"

"لا، إنها تعمل بشكل جيد".

قالت آرلين: "سأطلب الإسعاف". كانت قد عاشت في الجنوب طوال حياتها، وكانت تلفظ الكلمة "إسع – عاف".

رفعت سماعة الهاتف الموجودة على جدار المطبخ. كان هناك صوت طنين قوي متكرر، وأبعدت أذنها عن السمّاعة، ثم أغلقتها.

قالت: "حطمت هاتفي المعلق على الجدار". واختفت في مقدمة المنــزل لتصليحه.

حدّقت ماري – بث بيد جود. رفعها – واكتشف أنها خلّفت أثرا أحمر رطبا على الطاولة – وأعادها بضعف إلى حيث كانت.

قالت: "ما كان ينبغي أن نأتي إلى هنا".

"ليس لدينا مكان آخر نذهب إليه".

أدارت رأسها، ونظرت إلى كلب آرلين البدين. "تقول لي إنه سيساعدنا".

"لا بأس. سيساعدنا".

"هل تعني هذا؟"

"لا".

رمقته ماري – بث بنظرة متسائلة.

قال جود: "آسف. ربما أكون خدعتك قليلاً بخصوص الكلاب. لن يساعدني أي كلب مهما كان. ينبغي أن تكون الكلاب لي. تعرفين كيف تحتفظ كل ساحرة بقطة سوداء؟ كان بون وأنغوس مثل قطة الساحرة بالنسبة لي. لا يمكن استبدالهما".

"متى اكتشفت ذلك؟"

"قبل أربعة أيام".

"لماذا لم تخبرني؟"

"كنت آمل أن أنزف حتى الموت قبل أن يقضي أنغوس نحبه بجانبنا. عندها ستكونين بخير. عندها سيكون على الشبح أن يتركك وشأنك. عندها، ستكون مشكلته معنا قد انتهت. لو كان رأسي صاحياً، ما كنت ضمدت نفسي جيداً".

"هل تعتقد أن الأمور ستكون بخير إذا تركت نفسك تموت؟ هل تعتقد أن الأمور ستكون بخير إذا منحته ما يريد؟ اللعنة عليك. هل تعتقد أنني قطعت كل هذه المسافة لأراك تنتحر؟ اللعنة عليك".

عادت آرلين عبر باب المطبخ، متجهمة، وعاقدة الحاجبين في منظر يدل على الانزعاج أو التفكير العميق أو كليهما.

"هناك خطب ما في ذلك الهاتف. ليس هناك نغمة رنين. كل ما سمعته، عندما رفعت السماعة، كان محطة إي – إم محلية. برنامج زراعي أو ما شابه. رجل يدردش حول كيفية ذبح الحيوانات. ربما عطلت الرياح الخط".

بدأت ماري – بث: "لدي هاتف خلوي...".

قالت آرلين: "أنا، أيضاً. لكن ليس لدينا تغطية شبكة في هذه الأنحاء. لنجعل جوستن يستلقي على الأرض، وسأرى ما يمكنني فعله لديه الآن. ثم سأقود السيارة إلى مكجبيز واتصل من هناك".

دون سابق إنذار، وصلت إليهما، وأمسكت بمعصم ماري - بث، ورفعت يدها المضمدة للحظة. كانت الضمادة قوية وبنية مع بقع دم جافة عليها.

سألت: "ما الذي كنتما تفعلانه أنتما الاثنان؟"

قالت ماري - بث: "إنه إبهامي".

"هل حاولت مجاراته عندما فقد إصبعه؟"

"إنه ملتهب وحسب؟"

وضعت آرلين اليد المضمدة جانباً، ونظرت إلى اليد اليسرى غير المضمدة، المتقرحة المريعة، وجلدها المتغضن. "لم أر أي التهاب مثل هذا من قبل. لقد أصاب كلتا اليدين. هل هناك مناطق أخرى؟"

"لا".

تحسست جبين ماري - بث. "حرارتك مرتفعة جداً. يا الله. كلاكما. تستطيعين الاسترخاء في غرفتي يا عزيزتي. سأضع جوستن مع والده. لقد وضعت سريراً هناك قبل ثلاثة أسابيع، بحيث يمكنني أن أغفو واستمر في العناية به. هيا بنا، أيها الشاب. ينبغي عليك أن تمشي قليلا بعد. ساعد نفسك على النهوض".

قال جود: "إذا أردتني أن أتحرك، ينبغي أن تأتي بالكرسي المدولب وتدفعي بي".

"لدي مسكّن في غرفة والدك".

قال جود: "حسناً". ووضع يده اليسرى على الطاولة، وكافح للنهوض على قدميه.

قفزت ماري - بث خلفه، وأمسكت به من مرفقه.

قالت آرلين: "ابقي حيث أنت". أومأت نحو كلبها والباب خلفه، الذي يؤدي إلى ما كان سابقاً غرفة الخياطة، لكنها الآن غرفة نوم صغيرة. "ادخلي واستريحي هناك. أستطيع الاعتناء به".

قال جود لماري – بث: "كل شيء بخير. آرلين ستعتني بي".

سألت ماري – بث: "ماذا ستفعل بخصوص كرادوك؟"

كانت تقف في مواجهته تقريبا، انحنى جود للأمام، ووضع وجهه في شعرها، وقبّل أعلى رأسها.

قال جود: "لا أعرف. أتمنى لو لم تكوني معي في هذا. لماذا لم تهربي مني عندما كانت الفرصة لا تزال سانحة أمامك؟ لماذا كنت عنيدة جدا؟"

قالت: "بقيت بصحبتك تسعة شهور". عندها وقفت على أطراف أصابعها، ووضعت ذراعيها حول عنقه، وفمها يبحث عن فمه. "أظن أنني أجد صعوبة في ذلك".

بعدها، لبرهة من الوقت، وقفا يتمايلان ذهاباً وإياباً بين ذراعي بعضهما البعض.

42

عندما خطا جود مبتعداً عن ماري - بث، أدارته آرلين بالاتجاه الآخر، ودفعته للمشي. توقع أن تقوده عبر الردهة الأمامية، وأن يصعدا إلى الطابق الأعلى وصولاً إلى غرفة نوم السيد، حيث افترض أن والده يرقد. ولكن، بدلاً من ذلك، استمرا بالسير على طول خط المطبخ إلى الردهة الخلفية، التي تقود إلى غرفة نوم جود القديمة.

كان والده هناك بالطبع، في الطابق الأول. تذكر جود بشكل مبهم أن آرلين أخبرته، في إحدى محادثاتهما الهاتفية، أنها تنقل مارتن إلى غرفة جود القديمة في الطابق الأول، لأن ذلك أسهل من صعود ونزول السلالم للعناية به.

ألقى جود نظرة أخيرة على ماري - بث. كانت تراقبه يمضي، من حيث كانت تقف عند باب غرفة نوم آرلين، وعيناها مرهقتان تلمعان من الحمّى. وعندها كان جود وآرلين يمضيان بعيداً، ويتركانها خلفهما. لم يحب فكرة الابتعاد عن ماري - بث في منــزل أبيه المظلم المحيّر. لم تبدُ فكرة أنهما قد لا يستطيعان العثور على طريق العودة إلى بعضهما غير منطقية إطلاقا.

كانت الردهة إلى غرفته ضيقة وملتوية، والجدران منحرفة بشكل ظاهر للعيان. مرّا بجانب باب منــزلق، معلق إطاره بالمسامير، وكان الجدار صدئا وملتويا في المنتصف. كان يطل على زريبة طينية، يوجد فيها ثلاثة حيوانات متوسطة الحجم. أمعنت الحيوانات النظر في جود وآرلين عندما مرّا بها، ووجوهها اللينة تبدو محسنة وحكيمة.

قال جود: "ما يزال هناك حيوانات؟ من يعتني بها؟"

"من برأيك؟"

"لماذا لم تبيعيها؟"

هزّت كتفيها، ثم قالت: "اعتنى والدك بها طوال حياته. يستطيع سماعها من حيث تقف. أظن أنني فكّرت أنها تساعده على معرفة مكان تواجده. أيا كان". نظرت إلى وجه جود. "هل تعتقد أنني حمقاء؟"

قال جود: "لا".

دفعت آرلين باب غرفة نوم جود القديمة نحو الداخل، فيما كانا يخطوان نحو دفء خانق تنبعث منه رائحة نعناع قوية جعلت عيني جود تدمعان.

قالت آرلين: "تماسك. دعني أبعد ما أخيطه".

شعرت به يميل نحو الباب، وأسرعت إلى السرير الصغير بجانب الجدار، إلى اليسار. نظر جود عبر الغرفة إلى سرير مماثل. كان والده فيه.

كانت عينا مارتن كاورسكي مثل شقين ضيقين، لا يظهر منهما سوى لون فضي لامع من مقلتي العين. كان فاغراً فمه. كانت يداه مثل مخالب هزيلة مشبوكة على صدره، والأظفار مكسورة، صفراء وحادة. لطالما كان نحيلاً وهزيلاً. لكنه فقد، كما ظن جود، ربما ثلث وزنه، ولم يتبق منه بالكاد سوى مئة رطل. كان يبدو مثل الميت فعلاً، رغم أن الأنفاس ما تزال تتحشرج في حنجرته. كان هناك خطوط من الرغوة البيضاء على ذقنه. كانت آرلين قد حلقت له. وكان وعاء الرغوة التي يتم تحضيرها يدوياً على الطاولة، وفرشاة بمقبض خشبي تنغمس فيها.

لم يشاهد جود والده منذ أربع وثلاثين سنة، وسببت له رؤيته - وهو جائع، وبشع، وضائع في حلمه الخاص عن الموت - موجة جديدة من الدوار. كان الأمر مخيباً أكثر لأن مارتن كاوزسكي يتنفس. كان من الأسهل النظر إليه، كما هو آنذاك، إذا كان ميتا. لقد كرهه جود لفترة طويلة جداً بحيث لم يعد مستعدا للإحساس بأي مشاعر أخرى نحوه. شفقة. اشمئزاز. كان الاشمئزاز مغروسا في التعاطف، بالمحصلة، في فهم كينونة معاناة الأسوأ. لم يتخيل جود بأنه قد يشعر سواء بالتعاطف أو التفهم نحو الرجل في السرير قبالته.

سأل جود: "هل يستطيع رؤيتي واقفاً هنا؟"

نظرت آرلين من فوق كتفها نحو والد جود.

"أشك بذلك. لم يستجب لرؤية أي شيء منذ أيام. بالطبع مضت شهور منذ

استطاع التكلم آخر مرة، لكن حتى قبل وقت قليل فقط كان يغير معالم وجهه أحياناً أو يعطي إشارة عندما يريد شيئاً. إنه يستمتع بالحلاقة، لهذا أقوم بذلك كل يوم. يحب الماء الساخن على وجهه. ربما جزء منه ما زال يحبه. لا أعرف". توقفت عن الكلام، تتأمل الجسد الهزيل المتعب في السرير البعيد. "آسفة لأنك تراه يموت على هذا الحال، لكن معالجة إنسان بعد نقطة معينة تجعله أسوأ. إنني على ثقة بما أقوله. هناك وقت يأتي، ويأخذ فيه الموت ما هو له".

أومأ جود برأسه. "الموت يأخذ ما هو له. إنه يفعل ذلك".

نظر إلى ما تمسك به آرلين في يديها، وشاهد عدّة الخياطة التي حملتها عن السرير الآخر. كانت عدّة والدته القديمة، مجموعة من الكشاتبين، والخيوط مختلطة في واحدة من علب الحلوى الصفراء على شكل قلب التي اعتاد والده أن يهديها إياها. أحكمت آرلين إغلاق الغطاء، ووضعت العلبة على الأرض بين السريرين. نظر إليها جود بتوجس، لكنه لم يقم بأي حركة خطرة.

عادت آرلين، وقادته من مرفقه إلى السرير الفارغ. كان هناك مصباح، مثبت على جانب الطاولة الصغيرة. أبعدت المصباح عنه - أصدر صوت صرير وطقطقة عندما دار على ترعي صدئ - وأشعلته. أغلق عينيه من الضوء الساطع المفاجئ.

"لنلق نظرة على تلك اليد".

أحضرت كرسياً صغيراً إلى جانب السرير، وبدأت تــنـزع الشاش المبلل بالدماء، باستعمال ملقطين. وعندما نزعت الطبقة الأخيرة عن جلده، انتشر وخز مؤلم عبر يده، ثم بدأ الإصبع المبتور، بشكل لا يطاق، يؤلمه، كما لو أن نملاً نارياً يعضه منه.

غرزت إبرة في الجرح، وحقنته هنا، وهناك، فيما كان يطلق الشتائم. ثم شعر ببرد شديد لعين، ينتشر عبر يده نحو معصمه، ينبض مع العروق ويحوله إلى رجل ثلجي.

بدت الغرفة معتمة ثم منورة. وبرد العرق على جسده بسرعة. كان مستلقياً على ظهره. لم يتذكر أنه استلقى. شعر بأن أحداً يشد ذراعه اليمنى، وعندما أدرك أن سبب هذا الشد هو أن آرلين تحاول فعل شيء لحذر إصبعه من خلال تثبيت اليد، أو وضع خطافات فيها، أو تغطيتها - قال: "سأتقيأ". قاوم تلك الرغبة حتى

استطاعت وضع كيس نايلون بجانب خده، ثم أدار وجهه وتقيأ فيه.

عندما انتهت آرلين، وضع يده اليمنى على صدره. كانت مغطاة بطبقة إثر أخرى من الضمادات، وقد بلغ حجمها ثلاثة أضعاف ما كانت عليه، مثل وسادة صغيرة. كان يترنح ألما. وكان جسده يرتعش. أدارت المصباح الساطع اللامع نحو عينيه مجددا، وانحنت فوقه لتلقي نظرة على الندبة في وجنته. جاءت بضمادة عريضة بلون الجلد، ووضعتها بحرص على وجهه.

قالت: "لقد كنت تنـــرف كثيرا. هل تعرف نوع زيت المحركات الذي تعمل عليه؟ سأعمل على أن تحمل سيارة "الإسع – عاف" المعدات اللازمة".

"تفقدي ماري – بث من فضلك".

"كنت سأفعل ذلك".

أطفأت المصباح قبل أن تغادر، وكان الاندماج مع الظلمة مصدر راحة له مرة أخرى.

أغلق عينيه، وعندما فتحهما مجددا، لم يكن يعرف فيما إذا مرت دقيقة واحدة أم ستون دقيقة. كان منـــزل والده مكاناً يسوده الصمت والسكينة، ولا صوت فيه عدا هبات الريح العاصفة، وصرير الخشب، وتساقط الأمطار على النوافذ. تساءل فيما إذا كانت آرلين قد ذهبت لاستدعاء "الإسع – عاف". وتساءل فيما إذا كانت ماري – بث نائمة. كما تساءل فيما إذا كرادوك في المنـــزل، يجلس خارج الباب. أدار جود رأسه ووجد والده يحدّق به.

كان والده فاغراً فمه، تبدو منه الأسنان القليلة الباقية بنية اللون من النيكوتين، والتهاب اللثة. حدّق مارتن، وعيناه الشاحبتان مشوشتان. أربعة أقدام من الأرض المكشوفة تفصل الرجلين.

قال مارتن كاورسكي، بصوت مثل الصفير: "لست هنا".

قال جود: "اعتقدت أنك لا تستطيع الكلام".

طرفت عينا والده ببطء. لم تكن هناك دلالة على أنه سمعه. "ستكون قد رحلت عندما أستيقظ". كانت نبرته تدل على الرغبة بذلك تقريبا. بدأ يسعل بضعف. بضيق، وبدا أن صدره يصبح أجوف، وتراجع للخلف، كما لو أنه مع كل سعال مؤلم يهتز ما بداخله، ويبدأ بإخراج الهواء من فمه.

أخبره جود: "لقد فهمت ذلك بشكل خاطئ أيها الرجل العجوز. أنت كابوسي، وليس العكس".

تابع مارتن التحديق به بتلك النظرة السخيفة المستغربة لعدّة لحظات بعد ذلك، ثم نظر إلى السقف مرة أخرى. راقب جود بحرص، ذلك الرجل العجوز في سريره العسكري، يتنفس بصعوبة من حنجرته، وخطوط كريم حلاقة حافة على وجهه.

أغلق والده عينيه تدريجياً. وبعد برهة، فعلت عينا جود الشيء نفسه.

43

لم يكن متأكداً مما أيقظه، لكن جود رفع نظره مجدداً، ونهض من نومه في لحظة، ووجد آرلين عند طرف السرير. لم يكن يعرف منذ متى تقف هناك. كانت ترتدي معطفاً واقياً من المطر أحمر اللون فاقع وقلنسوة الرأس تخرج منه. كانت قطرات المطر تلمع على القماش المشمّع. كان على وجهها العجوز النحيل تعبير آلي تقريباً لم يتعرف عليه جود في بادئ الأمر، واحتاج إلى عدّة لحظات ليعرف أنه خوف. تساءل فيما إذا كانت قد ذهبت وعادت أم لا.

قالت: "انقطعت الكهرباء".

"ماذا؟"

"خرجت، وعندما عدت، كانت الكهرباء مقطوعة".

"آه – ها".

"هناك شاحنة في الممر. تقف هناك وحسب. لم أستطع تمييز لونها. لا أستطيع رؤية من يجلس فيها. بدأت السير نحوها، لأرى إذا كان فيها أحد يستطيع ربما القيادة إلى مكان ما وطلب الإسعاف لنا؛ لكنني خفت بعدها. خفت ممن كان فيها، وعدت أدراجي".

"ينبغي أن تبقي بعيدة عنه".

تابعت كما لو أن جود لم يقل شيئاً. "عندما عدت للداخل، لم يكن هناك كهرباء، وكان هناك بعض أحاديث المذياع المجنونة عبر الهاتف. شيء من المعتقدات الدينية حول مشي طريق المجد. كان التلفاز يعمل في غرفة الجلوس. كان يعمل وحسب. أعرف أن ذلك غير ممكن، لأن الكهرباء معطوعة، لكنه كان يعمل على كل حال. كان هناك قصة. على الأخبار. كانت حولك. كانت حولنا كلنا

تقريبا. كيف أننا جميعاً أموات. أظهروا صورة للمنــزل الريفي وكل شيء. كانوا يغطون جثتي بملاءة. لم يتعرفوا عليّ، لكنني رأيت يدي تبرز منها وسواري. وكان رجال الشرطة يقفون في كل مكان. وتلك الشاحنة الصفراء تسد الممر. وديس ولترينغ يتحدث كيف قتلتنا جميعاً".

"إنها كذبة. لن يحدث شيء من ذلك في الحقيقة أبداً".

"أخيراً، لم أستطع تحمل الأمر. أغلقته. فسطعت شاشة التلفاز فوراً، لكنني أغلقته مجدداً، وسحبت القابس من الجدار، وأنهى ذلك الأمر". توقفت عن الكلام قليلاً، ثم أضافت: "ينبغي أن أذهب يا جوستن. سأستدعي الإسعاف من عند الجيران. يبغي أن أذهب... أنا خائفة فقط من محاولة الدوران حول تلك الشاحنة. من يقود الشاحنة الباهتة اللون؟"

"ليس أحداً ترغبين بلقائه. خذي سيارتي الموستانغ. المفاتيح فيها".

"لا، شكراً لك. رأيت ما يوجد في الخلف".

"آه".

"سأستقل سيارتي".

"لا تتدخلي بتلك الشاحنة. قودي فوق المرجة وعبر السياج إذا كان عليك فعل ذلك. افعلي ما ينبغي فعله حتى تبقي بعيدة عنها. هل ألقيت نظرة على ماري - بث؟"

أومأت آرلين برأسها.

"كيف حالها؟"

"نائمة. إنها فتاة مسكينة".

"أنتِ قلتها".

"الوداع يا جوستن".

"اهتمي بنفسك".

"سآخذ كلبي معي".

"لا بأس".

مشت نصف خطوة نحو الباب.

ثم قالت آرلين: "اصطحبتك وعمك بيت إلى ديزني عندما كنت في السابعة. هل تذكر؟"

"أخشى أنني لا أذكر".

"طوال حياتك كلها، لم أرك تبتسم سوى عندما ركبت الفيلة، وأخذت تدور وتدور بها. جعلني ذلك أشعر بالرضى. عندما رأيتك تبتسم، غمرني شعور أنك حظيت بفرصة لتكون سعيداً. كنت آسفة حول ما أصبحت عليه: فلقد أصبحت يائساً جداً، وترتدي ملابس سوداء، وتقول أشياء مروّعة في أغانيك. كنت حزينة جداً من أجلك. أين ذهب ذلك الفتى، الذي ابتسم في جولة الفيلة؟"

"لقد مات جوعاً. أنا شبحه".

أومأت برأسها، وتراجعت للخلف. رفعت آرلين إحدى يديها في إشارة وداع، ثم استدارت، وذهبت.

بعد ذلك، أصغى جود السمع إلى المنــزل، إلى الأصوات الخافتة المجهدة التي تصدر عنه عندما تعصف به الرياح وإلى رذاذ المطر يتساقط عليه. سمع صوت إغلاق غربال بعنف في مكان ما. ربما كانت آرلين تغادر. ربما يكون الباب الذي يتأرجح في قن الدجاج في الخارج.

لم يكن يشعر بأي ألم مبرّح ما عدا الإحساس بالحرارة العالية في أحد جانبي وجهه، حيث جرحته جيسيكا برايس. كان تنفسه بطيئاً ومنتظماً. حدّق بالباب، منتظراً ظهور كرادوك. لم يبعد ناظريه عن الباب حتى سمع نقراً خفيفاً إلى يمينه.

أمعن النظر. كانت العلبة الكبيرة الصفراء على شكل قلب على الأرض. شيء ما يتحرك داخلها محدثاً صوتا مكتوماً. ثم تحركت العلبة نفسها، كما لو أن أحداً دفعها من الأسفل. تدحرجت بضعة سنتمترات على الأرضية، وقفزت مجددا. تلقى الغطاء ضربة من الداخل مرة أحرى، وكان هناك طرقة على إحدى زواياها التي انخلعت.

خرجت أربعة أصابع هزيلة من داخل العلبة. ضربة أخرى، وتحرر الغطاء، ثم بدأ يرتفع. رفع كرادوك قامته من داخل العلبة، كما لو أنها حفرة على شكل قلب في الأرضية. بقي الغطاء على رأسه، مثل قبعة غريبة سحيقة. رفعها، ورمى بها جانباً، ثم شدّ نفسه خارج العلبة من الخصر في حركة رياضية واحدة مفاجئة

بالنسبة لرجل لم يكن عجوزاً وحسب وإنما ميتاً أيضا. وضع ركبة على الأرض، وتسلق باقي المسافة خروجاً، ووقف منتصبا. كانت الثنيات في سرواله الأسود رائعة.

في الزريبة خارج المنـــزل، بدأت الحيوانات تزعق. أعاد كرادوك يداً طويلة إلى العلبة التي ليس لها قاع، تحسس المكان، ووجد قبعته، ووضعها على رأسه. كانت الخربشات ترقص أمام عينيه. استدار كرادوك وابتسم.

سأله جود: 'ما الذي أخرك؟'

44

قال الرجل الميت: *"ها نحن دا، أنت وأنا"*. كانت شفتاه تتحركان دون أن يصدر عنهما صوت، ولم يكن صوته موجوداً سوى في رأس جود. كانت الأزرار الفضية على بذلته السوداء تلمع في الظلام.

قال جود: "نعم. ينبغي أن يتوقف المرح أحياناً".

"ما تزال راغباً بالقتال. أليس ذلك مميزاً؟" وضع كرادوك إحدى يديه الهزيلتين على كاحل مارتن، ومرّرها فوق الملاءة على ساقه. كانت عينا مارتن مغلقتين، لكنّ فمه كان مفتوحا وما زالت أنفاسه تصعد وتهبط بصفير خافت. *"بعد ألف ميل، وما زلت تشدو الأغنية نفسها"*.

انسلّت يد كرادوك فوق صدر مارتن. كان شيئاً يبدو أنه يقوم به شارد الذهن، ولم ينظر مرة واحدة إلى الرجل العجوز الذي يكافح لالتقاط أنفاسه الأخيرة في السرير بجانبه.

"لم أحبب موسيقاك أبداً. اعتادت آنا أن تعزفها بصوت عالٍ يجعل أذني شخص عادي تنــزفان. هل تعلم أن هناك طريقاً بين هذا المكان والجحيم؟ لقد سرت عليه بنفسي. عدّة مرات حتى الآن. وسأقول لك شيئاً، لا يوجد على تلك الطريق سوى محطة واحدة فقط، وكل ما يعزفونه فيها هو موسيقاك. أظن أنها طريقة الشيطان في معاقبة الآثمين". ضحك.

"اترك الفتاة".

"آه، لا. ستجلس بيننا عندما نسير على طريق الليل. لقد قطعت شوطاً طويلا معك حتى الآن. لا تستطيع تركها خلفك".

"أقول لك ماري - بث لا دخل لها في أي من هذا".

"لكنك لا تقول لي يا بني. أنا أقول لك. ستخنقها حتى الموت، وسأراقب ما يجري. قلها. أخبرني كيف سيكون الأمر".

فكّر جود، *لن أفعل*، لكن فيما كان يفكر، قال: "سأخنقها. ستراقب ما يجري".

"أنت تغني موسيقاي أنا الآن".

فكّر جود في الأغنية التي وضعها في ذلك اليوم، في نزل فيرجينيا، وكيف أن أصابعه عرفت مكان الأوتار الصحيحة، والشعور بالسكينة والهدوء الذي غمره عندما عزفها. شعور بالنظام والسيطرة، وأن باقي العالم بعيد جدا، خلف جدار الصوت الخفي الخاص به. ماذا قالت له نامي؟ الموت يفوز عندما تتوقف عن الغناء. وفي الرؤيا التي شاهدها، قالت جيسيكا برايس إن آنا كانت تغني عندما يغشاها النعاس، حتى لا تفعل أشياء لا ترغب بالقيام بها، حتى تحجب الأصوات التي لا ترغب بسماعها.

قال الرجل الميت: *"انهض. توقف عن التكاسل الآن. لديك عمل في الغرفة الأخرى. الفتاة تنتظر".*

لم يكن جود يصغي إليه آنذاك. كان يركّز كلياً على الموسيقى في رأسه، يسمعها كما ينبغي أن تكون عند تسجيلها مع فرقة، رنين الصنج، وقرع الطبول، وصوت الطبل الكبير العميق البطيء. كان الرجل الميت يتحدث معه، لكن جود وجد أنه عندما يركّز ذهنه على أغنيته الجديدة، يستطيع تجاهله تماماً تقريباً.

فكّر في مذياع الموستانغ، المذياع القديم، الذي سحبه من مكانه واستبدله بآخر إكس - إم وقارئة أقراص دي - في - دي. كان المذياع الأصلي يلتقط موجة إي - إم مع واجهة زجاجية تتوهج بلون أخضر وتضيء مقصورة السيارة كما لو أنها حوض أسماك. كان جود يستطيع أن يسمع في مخيلته الموسيقى التي يعزفها، وصوته الخاص يصدح بكلمات الأغنية التي تطغى على صوت الغيتار المتقطع الذي يردده الصدى. كان ذلك على إحدى المحطات. كان صوت الرجل العجوز على محطة أخرى، متواريا خلف محطة تبث كلاما بلهجة جنوبية، يبدو بعيدا؛ والاستقبال سيئ، وكل ما يمكن سماعه هو كلمة أو اثنتان بين الحين والآخر، فيما تضيع البقية في التشويش الذي يطال البث.

طلب منه كرادوك أن ينهض. مرّت دقيقة قبل أن يدرك جود أنه لم يفعل ذلك.

قلت لك، انهض على قدميك".

بدأ جود يتحرك، ثم أوقف نفسه. في ذهنه، كان مقعد السائق منحنياً للخلف وقدماه تخرجان من النافذة، يستمع إلى أغنيته عبر المذياع، والصراصير تطن في ظلمة الصيف الدافئ. كان يدندن بنفسه، وأدرك ذلك في اللحظة التالية. كانت دندنة ناعمة، لا معنى لها، لكن يمكن تمييزها - بالرغم من ذلك - بأنها الأغنية الجديدة.

سأله الرجل الميت: "هل تسمعني أتحدث إليك يا بني؟" كان جود يعرف ما يقوله، لأنه استطاع رؤية شفتيه تتحركان، وفمه يشكّل الكلمات بوضوح شديد. لكن في الواقع، لم يكن جود يسمعه على الإطلاق.

قال جود: "لا".

عضّ كرادوك على شفته العليا ممتعضاً. كان ما يزال يضع إحدى يديه على والد جود؛ وكانت يده قد تحركت من صدر مارتن نحو عنقه. كانت الرياح تعصف بالمنـــزل، والمطر ينهمر على زجاج النوافذ. ثم سكنت الريح، وفي السكون الذي تبع ذلك، همس مارتن كاوزنسكي.

نسي جود والده مؤقتاً - تركزت أفكار جود على ترديد مقاطع من أغنيته التي تخيلها - لكن الصوت لفت انتباهه. كانت عينا مارتن مفتوحتين وواسعتين، تحدقان بخوف. كان يحملق بكرادوك. أدار كرادوك رأسه نحوه، وكان امتعاضه قد اختفى، فيما بدا على وجهه الهزيل المتغضن تعبير الاستغراق في التفكير.

أخيراً، تحدث والد جود، وكان صوته يصدر خالياً من أي نبرة. "إنه مرسال. إنه مرسال الموت".

بدا أن الرجل الميت يلتفت نحو جود، والعلامات السوداء تفور أمام عينيه. تحركت شفتا كرادوك، وللحظة ارتعش صوته، وأصبح واضحاً، لم يتكلم، ولكنه كان مسموعاً خلف صوت أغنية جود الداخلية الخاصة.

قال كرادوك: *"ربما تستطيع الامتناع عن سماعي. لكنه لا يستطيع"*.

انحنى كرادوك فوق والد جود، ووضع يديه على وجه مارتن، على كلتا وجنتيه. بدأت أنفاس مارتن تضطرب، وكان كل شهيق قصيرا، وسريعا وفزعا. رفّ جفناه. ومال الرجل الميت للأمام، ووضع فمه فوق فم مارتن.

تراجع والد جود نحو وسادته، ووضع عقبي قدميه على السرير، ودفع، كما لو أنه يستطيع دفع نفسه إلى أعماق الفراش بعيدا عن كرادوك. أخذ نفساً أخيرا

يائساً، وسحب الرجل الميت إلى داخله. حدث ذلك في لحظة، وكان الأمر أشبه بمشاهدة ساحر يسحب وشاحا من قبضته ليجعله يختفي. تغضن كرادوك، مثل حشوة دثار سحبها أنبوب مكنسة كهربائية. كان حداؤه الأسود اللامع آخر شيء اختفى في حنجرة مارتن. بدا عنق مارتن، للحظة، متضخماً ومتورماً – منتفخاً مثل أفعى بعد التهام فأر – لكنه تجرّع كرادوك بعدها، وتقلصت حنجرته إلى حجمها الطبيعي، الهزيل، المتهلهل الجلد.

تقيأ والد جود، ثم سعل، وتقيأ مجددا. انتفض وركاه عن السرير، وتقوّس ظهره. لم يستطع جود أن يمنع نفسه، وفكّر مباشرة بذروة العلاقة الحميمة. برزت عينا مارتن من محجريهما. وكانت مقدمة لسانه تخفق بين أسنانه.

قال جود: "ابصقه يا أبي".

لم يبدُ أن والده يسمعه. غاص في سريره مجدداً، ثم انتفض مجدداً، كما لو أن شخصاً ما يجلس عليه، ومارتن يحاول إبعاده عنه. أصدر أصوات غرغرة رطبة مخنوقة في حنجرته. وبرز شريان أزرق في منتصف جبهته. تراجعت شفتاه عن أسنانه بابتسامة تشبه تكشيرة الكلاب.

ثم ارتاح على الفراش برفق مرة أخرى. فتح يديه، اللتين كانتا تتشبثان بالملاءة، ببطء. كانت عيناه حمراوين لامعتين وبشعتين؛ انفجرت الشعيرات الدموية، ولطخت البياض باللون الأحمر. حدّقت عيناه بذهول بالسقف، ولطخت الدماء أسنانه.

راقب جود صدور أي حركة عنه، وأصغى لسماع صوت تنفسه. سمع المنـــزل يهتز نتيجة الرياح، والمطر الغرير ينهمر على الجدار.

نهض جود بصعوبة بالغة، ثم أدار نفسه ليضع قدميه على الأرض. لم يكن لديه شك بأن والده قد مات، الشخص الذي حطم يد جود في باب القبو ووضع بندقية بماسورة واحدة على صدر والدته، والذي لطالما راودت جود أحلام يقظة بأنه يقتله. أحس بأنه يفقد شيئا، رغم ذلك، عندما شاهد مارتن يموت. كانت معدة جود تؤلمه، كما لو أن شيئاً قد خرج منه بعنف، ولفظه جسده، شيئا لم يكن يريد التخلي عنه. الغضب، ربما.

قال جود: "أبي؟" رغم معرفته بأنه لن يتلقى جواباً.

نهض جود على قدميه، يتمايل، ويشعر بالدوار. مشى خطوة للأمام مثل رجل عجوز يرتعش، ووضع يده اليسرى المضمدة على حافة الطاولة الصغيرة بجانبه ليسند نفسه. شعر بأن ساقيه ربما تخذلانه في أي لحظة.

قال جود مجددا: "أبي؟"

أدار والده رأسه نحوه ونظر بعينيه الحمراوين الشعثتين والمذهولتين إلى جود.

قال بصوت أقرب إلى الهمسة المجهدة: "*جوستن*". ابتسم، وكان ذلك شيئا مريعا يراه على وجهه الهزيل المتعب. "*يا بني. أنا على ما يرام. أنا بخير. اقترب مني. تعال وعانقني*".

لم يخطُ جود للأمام، وإنما مشى خطوة مترنحة غير ثابتة للخلف. لم يستطع التنفس للحظة.

ثم عادت أنفاسه، وقال: "لست والدي".

فُتحت شفتا مارتن لتظهر بينهما لثته الملتهبة وأسنانه الصفراء الملتوية، أو ما تبقى منها. انسكبت دمعة من دم من عينه اليسرى، وسالت بخط أحمر متعرج على وجنته. كانت عين كرادوك تذرف الدموع الحمراء بالطريقة نفسها تقريبا، في الرؤيا التي شاهد فيها جود ليلة آنا الأخيرة.

عدّل مارتن جلسته، ومدّ يده إلى وعاء الحلاقة. أمسك بيده موس حلاقته القديم، الذي له مقبض خشبي. لم يكن جود يعرف أنه هناك، لم يره خلف الوعاء الخزفي الأبيض. تراجع جود خطوة إضافية إلى الوراء. لمست مؤخرة ساقيه حافة سريره، وجلس على الفراش.

ثم نهض والده، وانزلقت الملاءة عنه. تحرك بسرعة أكبر مما توقع جود، مثل سحلية، تثبت في مكان ما في لحظة، ثم تندفع بسرعة للأمام، بسرعة كبيرة لا يستطيع المرء متابعتها. كان عاريا، عدا عن سروال أبيض طويل وقديم. كان صدره يهتز مترهلاً، عليه شعر أجعد أبيض مثل الثلج. تقدم مارتن خطوة إلى الأمام، ووضع عقب قدمه على العلبة ذات شكل القلب، وحطّمها.

قال والده، بصوت كرادوك: "*تعال إلى هنا يا بني. سيعلّمك أبوك كيف تحلق*".

وحرّك معصمه بسرعة، ولمع الموس عندما خرج من المقبض، وكان مثل مرآة فاستطاع جود أن يشاهد وجهه المذهول عليه لوقت قصير.

اندفع مارتن نحو جود، محاولا طعنه بموس الحلاقة، لكن جود رفع قدمه، ووضعها بين كاحلي الرجل العجوز. وفي الوقت نفسه، دفع نفسه جانباً بطاقة لم يكن يعرف أنه يمتلكها. اندفع مارتن للأمام، وشعر جود بالموس يخترق قميصه وعضلات ذراعه، في ما بدا أنها سهولة متناهية. تدحرج جود فوق القضيب المعدني الصدئ في نهاية سريره وسقط أرضاً.

كانت الغرفة صامتة تقريباً ما عدا لهاثهما عند محاولتهما التقاطهما لأنفاسهما، وصفير الرياح تحت ألواح السطح. زحف والده إلى نهاية السرير وقفز عن الجانب؛ بنشاط غريب بالنسبة لرجل تعرض لعدّة جلطات ولم يغادر سريره منذ ثلاثة أشهر. في ذلك الوقت، كان جود يزحف للخلف، نحو الباب.

وصل إلى منتصف غرفة الجلوس، بعيداً عن الباب المنـــزلق المطل على زريبة الحيوانات. احتشدت الحيوانات عنده، وتدافعت للحصول على أفضل رؤية للحدث. لفت زعيق إثارتها انتباهه للحظة، وعندما نظر للخلف، كان مارتن يقف فوقه.

انقض والده عليه. أعاد ذراعه إلى الخلف ليضرب بالموس وجه جود. نسي جود نفسه، ورفع يده اليمنى المضمدة إلى ذقن والده، بقوة كافية ليضرب رأس الرجل العجوز ويعيده للخلف. صرخ جود، إذ انتشرت موجة من الألم المبرّح عبر يده المصابة ووصلت إلى أنامله، شعور مثل صدمة كهربائية تنتقل عبر العظم، وتشلّه لشدتها.

أمسك بوجه والده، ودفع به نحو الباب المنـــزلق. اصطدم به مارتن محطماً إياه ومسبباً خروج البراغي منه. انهار الجزء السفلي تماماً، واخترقه مارتن. تبعثرت الحيوانات. لم يكن هناك درجات تحت الباب، وسقط مارتن قدمين، بعيداً عن الأنظار، وارتطم بالأرض محدثاً دوياً مكتوماً.

اهتز العالم، وأظلم، وكاد يختفي. *لا*، فكّر جود، *لا لا لا*. كافح ليستعيد وعيه، مثل رجل غطس عميقاً في الماء، وصعد نحو السطح بسرعة قبل أن ينفد منه الهواء.

أضاء العالم مجدداً، نقطة ضوء اتسعت وتمددت، وظهرت أشكال أشباح رمادية مشوشة أمامه، ثم استطاع التركيز تدريجياً. كانت غرفة الجلوس هادئة. كانت الحيوانات تنخر في الخارج. وكلل عرق غزير بارد وجه جود.

استراح قليلاً، كانت أذناه تطنّان، كذلك كانت يده أيضاً. وعندما أصبح مستعداً، استعان بعقبيه ليدفع نفسه عن الأرضية إلى الجدار، ثم استعان بالجدار ليسند نفسه في وضعية الجلوس، واستراح مجددا.

أخيراً، دفع نفسه بعدميه، ورفع ظهره على الحائط. نظر من خلال شق الباب المنــزلق لكنه لم يستطع رؤية والده. لا بد أنه مستلقٍ إلى جانب المنــزل.

ترنّح جود مبتعداً عن الجدار، خائر القوى نحو الباب المنــزلق. أمسك بالإطار ليمنع نفسه من السقوط هو أيضاً إلى زريبة الحيوانات. كانت قدماه ترتجان بشدة. انحنى للأمام كي يرى فيما إذا كان مارتن على الأرض وقد دُقت عنقه، في تلك اللحظة نهض والده، ووصل إلى الباب المكسور، وأمسك به من ساقه.

صرخ جود، وركل يد مارتن، وتراجع غريزياً إلى الوراء. ثم أصبح مثل رجل يفقد توازنه على سطح من الجليد الأسود، ويلوح بذراعيه بشكل سخيف، وهو يترنح عبر غرفة الجلوس وصولاً إلى المطبخ، حيث سقط مجدداً.

سحب مارتن نفسه عبر الباب المخلوع. زحف نحو جود، وشق طريقه نحوه على يديه وقدميه، حتى أصبح فوقه تماماً. ارتفعت يد مارتن، ثم سقطت، وسقط معها شيء فضي لامع. رفع جود ذراعه اليسرى، وضرب موس الحلاقة ساعده، وكشط لحمه. تناثر الدم في الهواء. المزيد من الدماء.

كانت راحة كف يد جود اليسرى مضمدة، لكن الأصابع كانت حرّة، وتبرز من الشاش الذي يبدو مثل قفاز دون أصابع. رفع والده الموس في الهواء ليضرب به مجدداً، لكن قبل أن يستطيع إنزاله، غرز جود أصابعه في عيني مارتن الحمراوين اللامعتين. صرخ الرجل العجوز، وأعاد رأسه للخلف، محاولاً التخلص من يد ابنه. تأرجح موس الحلاقة أمام وجه جود دون أن يمس جلده. أبعد جود رأس والده بالقوة إلى الخلف، كاشفاً عن حنجرته الهزيلة، ومتسائلا فيما إذا كان يستطيع الدفع بقوة تكفي لكسر العمود الفقري لذلك اللعين.

استطاع إبعاد رأس مارتن إلى المسافة التي كان عليها عندما ضربت سكين مطبخ جانب عنق والده.

كانت ماري - بث على بعد عشرة أقدام، تقف بجانب منضدة المطبخ، إلى جانب شريط ممغنط على الجدار كانت السكاكين معلقة عليه. كانت تنشج. أدار والد جود رأسه ليحدّق بها. تدفقت فقاعات هوائية في الدماء التي سالت حول مقبض

السكين. أمسكها مارتن بإحدى يديه، وأغلق أصابعه بوهن حولها، ثم أصدر صوت شهيق متحشرج، مثل طفل يهز حجرا في كيس ورقي، وانهار على جانبه.

سحبت ماري - بث سكيناً أخرى عريضة النصل من الشريط الممغنط، ثم أخرى. أمسكت بالأولى من نصلها وغرزتها في ظهر مارتن فانحنى للأمام. اخترقته بصوت عميق أجوف، كما لو أنها تغرز النصل في حبة من البطيخ. لم يصدر عن مارتن أي صوت عند تلك الضربة الثانية، ما عدا أنه سحب أنفاسه بصعوبة. بدأت ماري - بث تمشي نحوه، وهي تمسك بالسكين الأخيرة أمامها.

قال لها جود: "ابتعدي. لن يخرّ أرضاً ويموت". لكنها لم تسمعه.

بعد لحظة، وقفت فوق مارتن، نظر والد جود للأعلى، وضربت ماري - بث السكين على وجهه بشدة. وصلت قريباً من زاوية شفتيه وتجاوزت الزاوية الأخرى، واتسع فمه بضربة حمراء لامعة.

عندما ضربته، ضربها، بيده اليمنى، اليد التي تحمل الموس. رسم الموس خطاً أحمر على فخذها فوق الركبة اليمنى، وانحنت الساق.

دفع مارتن نفسه عن الأرض حالما بدأت ماري - بث تسقط أرضاً، وصرخ ألماً عندما نهض على قدميه. أمسك بها من بطنها بطريقة شبه مثالية، ودفع بماري - بث إلى زاوية المطبخ. غرزت سكينها الأخيرة في كتف مارتن، ودفعتها فيه حتّى المقبض، وربما تكون طعنته بها حتّى آخرها.

وقعت على الأرض، ووالد جود فوقها، وبينما كانت الدماء تسيل من السكين المغروزة في عنقه. لوّح بسكينه نحوها مجدداً.

أمسكت ماري - بث بعنفها، وضغطت عليه بضعف بيدها المصابة. سالت الدماء من بين أصابعها. كان هناك ثقب أسود عميق في حنجرتها البيضاء.

انزلقت على جانبها، وارتطم رأسها بالأرض. كانت تحدّق بجود خلف مارتن، وامتلأ جانب وجهها بالدم.

سقط والد جود على يديه وقدميه. كانت يده ما تزال تمسك بالمنطقة حول السكين المغروزة في عنقه، وأصابعه تتحسسها بدقة، وتستكشف أبعادها، لكنها لا تفعل شيئاً لتسحبها. كان مثل وسادة الدبابيس، سكين في الكتف، سكين في الظهر، لكنه لم يكن مهتماً سوى بتلك الموجودة في عنقه، ولم يبدُ أنه لاحظ قطع الفولاذ الأخرى التي تنغرز فيه.

زحف مارتن باضطراب بعيداً عن ماري - بث، وبعيداً عن جود. خذلته ذراعاه أولاً، وسقط رأسه على الأرض، وارتطم ذقنه بقوة كانت كافية لجعل أسنانه تصطك معاً بشكل مسموع. حاول النهوض، وكاد ينجح بذلك، لكن ذراعه اليمنى خذلته، وتدحرج على جانبه عوضاً عن ذلك بعيداً عن جود، الذي شعر بالقليل من الراحة. لم يكن على جود النظر إلى وجهه فيما هو يحتضر. مجدداً.

كانت ماري - بث تحاول أن تتكلم. خرج لسانها من فمها، وتحرك فوق شفتيها. التمست عيناها من جود أن يقترب منها. تقلص بؤبؤا العين إلى نقطتين سوداوين.

دفـــع نفســـه علـــى الأرضية، مرفقاً إثر مرفق، يجر نفسه نحوها. كانت تهمس آنـــذاك. كان صعباً سماعها بسبب صوت والده، الذي كان يسعل مختنقاً مجدداً ويركل عقبي قدميه بصوت عالٍ على الأرضية، يعاني ألماً مبرحاً وتشنجاً من نوع ما.

قالت ماري - بث: "لم... ينتهِ. سيعود... مجدداً. لن... ينتهي أبداً".

نظر جود حوله بحثاً عن شيء يمكنه بوساطته إغلاق الجرح في حنجرتها. كان قريباً بما يكفي آنذاك حتى أن يديه كانتا على بركة الدم المحيطة بها، التي تسبح فيها. شاهد خرقة لتنشيف الأطباق تتدلى من مقبض الفرن، فسحبها للأسفل.

كانت ماري - بث تحدق في وجهه، لكن جود كان لديه انطباع بأنها لا تراه؛ وبأنها تحدق من خلاله نحو نقطة غير معروفة.

"سمعت... آنا. سمعتها... تنادي. ينبغي... أن نصنع... بوابة. ينبغي أن... ندعها تمر. نصنع بوابة. اصنع بوابة... وسأفتحها".

"توقفي عن الكلام". رفع يدها وضغط بخرقة تنشيف الأطباق على عنقها.

أمسكت ماري - بث به من معصمه.

قالت: "لا أستطيع فتحه... حالما أصبح... على الطرف... الآخر. ينبغي فتحه الآن. سأذهب قريباً. آنا ذهبت. لا تستطيع... إنقاذنا... كلينا". الكثير من الدماء. "دعنا. ننقذك. نحن".

سمع جود نوبة سعال عبر الغرفة، ثم تنحنح والده. كان يحاول إخراج شيء ما. عرف جود ماهيته.

حدّق بماري - بث بإنكار أشد من الحزن. وجد يده تغطي وجهها، الذي كان

بارداً عند ملمسه. قطع وعداً. قطع وعداً على نفسه، إن لم يكن لها، بأنه سيعتني بها، فهي بالرغم من الجرح الذي في حنجرتها كانت تقول بأنها ستعتني به. كانت تعاني مع كل نفس، وترتعش بشكل يائس.

قالت: "افعل ذلك يا جود. افعل ذلك وحسب".

رفع يديها، ووضعهما على خرقة الأطباق، لإبقاء الضغط على حنجرتها المفتوحة. ثم استدار وزحف على دمائها، إلى الحافة. سمع نفسه يتمتم مجدداً، أغنيته، أغنيته الجديدة، لحن مثل ترنيمة جنوبية، مرثية ريفية. كيف تصنع بوابة للموتى؟ هل يكفي أن ترسم واحدة؟ كان يحاول التفكير ماذا يرسم معها، عندما شاهد الآثار الحمراء التي تركها على الأرضية. غمس إصبعاً في دمائها، وبدأ يرسم خطاً على طول الأرضية.

عندما أدرك أن الخط أصبح طويلاً بما يكفي، بدأ خطاً جديداً، بزاوية صحيحة مع الأول. جفّت الدماء على طرف إصبعه. استدار متثاقلاً، وعاد إلى ماري - بث وبركة الدماء الواسعة التي تسبح فيها.

نظر وراءها وشاهد كرادوك، يسحب نفسه خارج فم والده الفاغر. كان وجه كرادوك يتلوى ألماً، وأنزل ذراعيه، ووضع يداً على جبين مارتن، والأخرى على كتف مارتن. عندما وصل الأمر إلى خصره، أصبح جسده مثل حبل سميك - فكّر جود مجدداً بكمية كبيرة من ورق السلوفان، الملفوف والمجدول على بعضه بشكل سلك - ملأ فم مارتن وبدا أنه يمتد إلى حنجرته المحتقنة. بدا كرادوك مثل جندي قفز إلى خندق لكنه يسحب نفسه منه مثل رجل غاص إلى خصره في طين لزج.

قال كرادوك: *"ستموت، الغانية ستموت وأنت ستموت سنسلك جميعنا طريق الليل معاً حيث ستغني لا - لا - لا سأعلّمك أن تغني سأعلّمك".*

غمس جود يده في دماء ماري - بث، بللها كلها، واستدار مبتعداً مجدداً. لم يكن يفكر بشيء. كان آلة تزحف بغباء إلى الأمام وبدأ يرسم مرة أخرى. أنهى أعلى الباب، تحول جانباً، وبدأ خطاً ثالثاً، والتمس طريقه عائداً إلى ماري - بث. كان خطاً متموجاً متعرجاً، سميكاً في بعض الأماكن، ويكاد يختفي في أخرى.

كان الباب ينتهي عند بركة الدماء. حالما وصل إلى هناك، ألقى نظرة على وجه ماري - بث. كانت مقدمة قميصها مبللة بالدماء. وكان وجهها شاحباً وخالياً

من أي تعبير، واعتقد للحظة أن الوقت قد فات، وأنها ميتة، لكن عينيها تحركتا بعدها، قليلاً فقط، تراقبه وهو يقترب، بنظرة مشوشة.

بدأ كرادوك يصرخ محبطاً، كان قد سحب نفسه خارجاً عدا ساق واحدة، وكان يحاول الوقوف آنذاك، لكن قدمه علقت في مكان ما من مريء مارتن، وكاد ذلك يفقده توازنه. وكانت الشفرة التي على شكل هلال في يد كرادوك، والتي تتدلى من السلسلة تلمع وتتأرجح.

أدار جود ظهره له مرة أخرى، ونظر إلى البوابة غير المنتظمة الشكل المرسومة بالدم. حدّق بغباء بالإطار الأحمر الطويل الملتوي، مثل علبة فارغة لا تضم سوى بضعة أشكال يد قرمزية. لم تكن قد انتهت بعد، وحاول التفكير في ما ينقصها. ثم خطر له أنها لن تكون بوابة إذا لم تكن هناك طريقة لفتحها، وزحف للأمام، ورسم دائرة كمقبض لها.

وقع ظل كرادوك عليه. هل للأشباح ظلال؟ تساءل جود. كان متعباً. كان التفكير صعباً. ركع عند الباب، وشعر بشيء يرتطم بالجانب الآخر منه. كأن الرياح، التي كانت ما تزال تعصف بالمنـــزل بهبات غاضبة مستمرة، تحاول الدخول عبر البوابة.

سطع ضوء قوي على طول حافة البوابة اليمنى، وكان لونه أبيض مشعاً متلألئاً. ارتطم شيء بالجهة الأخرى مجدداً، مثل سبع جبلي محصور تحت الأرضية. ضرب مرة ثالثة، وكان يصدر عن كل ضربة دوي يهز المنـــزل، ويجعل الأطباق على الصينية البلاستيكية قرب حوض غسل الصحون تخشخش. شعر جود أن مرفقيه متعبان قليلاً، وقرر أن لا حاجة للبقاء على يديه وقدميه بعد ذلك، إضافة إلى الجهد الذي يكابده. وقع على جانبه، وترك نفسه يتدحرج على ظهره بعيداً عن البوابة.

وقف كرادوك فوق ماري – بث مرتدياً بذلة الرجل الميت السوداء، وقد انحرفت إحدى جانبي ياقته، واختفت قبعته. لم يكن قد تقدم للأمام، رغم ذلك، وإنما وقف على آثاره. حدّق بنظرة يملؤها الشك بالبوابة المرسومة باليد تحت قدميه، كما لو أنها فتحة سرية كاد يدوس عليها ويقع فيها.

"ما هذا؟ ماذا فعلت؟"

عندما تحدث جود، بدا صوته آتياً من مسافة بعيدة، مثل خدعة التكلم من البطن. "الموتى يأخذون ما لهم للأسفل يا كرادوك. عاجلاً أم آجلا سيأخذون ما لهم للأسفل".

انتفخت البوابة المشوهة، ثم تراجعت نحو الأرضية. انتفخت مجدداً. وبدا وكأنها تتنفس. ظهر خط الضوء في أعلى البوابة، شعاع شديد السطوع لا يمكن النظر إليه بشكل مباشر. التف، وتابع طريقه نزولاً على الجانب الآخر من البوابة.

عصفت الرياح، أقوى من ذي قبل، بصوت عالٍ وحاد. بعد لحظة، أدرك جود أنها ليست الرياح خارج المنـــزل وإنما عاصفة تدور حول حواف إطار البوابة المرسومة بالدم. لم تكن تهب للخارج، وإنما تسحب للداخل، عبر تلك الخطوط البيضاء الشديدة السطوع. طنّت أذنا جود، وفكّر في طائرة تهبط بسرعة كبيرة. اختلطت الأوراق، ثم ارتفعت عن طاولة المطبخ، وبدأت تدور مثل الدوامة فوقها، تطارد إحداها الأخرى. انتشرت موجات صغيرة ورقيقة من بركة الدماء حول وجه ماري - بث المذهول.

كانت ذراع ماري - بث اليسرى ممدودة، عبر بركة الدماء، نحو البوابة. فعندما لم يكن جود ينظر، كانت قد سحبت نفسها على جانبها، ووصلت إليه بالاستناد إلى ذراع واحدة فقط. استقرت يدها على الدائرة الحمراء التي رسمها لتكون مقبضاً للبوابة.

بدأ كلب ينبح في مكان ما.

في اللحظة التالية، فُتحت البوابة المرسومة على الأرضية. كان ينبغي أن تسقط ماري - بث عبرها - كان نصف جسدها ممدداً عليها - لكنها لم تسقط. طافت عوضاً عن ذلك، كما لو أنها ممددة على لوح من الزجاج المصقول. ملأ متوازي الأضلاع وسط الغرفة، مثل شرك مكشوف، ومغمور بضوء ساطع، وظهر لمعان يخطف الأبصار حولها.

أصبحت الغرفة، التي غمرها ذلك الضوء الشديد القادم من الأسفل، مثل صورة سلبية، بياضها وظلالها صارخان جداً. كانت ماري - بث جسداً خالي المعالم، مسجّى فوق ملاءة من الضوء. كان كرادوك، يقف فوقها، يفرد ذراعيه ليحمي وجهه، ويبدو مثل أحد ضحايا القنبلة الذرية التي سقطت على هيروشيما، مجرد هيكل تجريدي بالحجم الطبيعي لرجل، مرسوم بالرماد على جدار أسود.

كانت الأوراق ما تزال تدور وتغزل فوق طاولة المطبخ، إلا أنها أصبحت سوداء، وبدت مثل سرب من الغربان.

انقلبت ماري – بث على جانبها ورفعت رأسها، إلا أنها لم تكن ماري – بث عندها، وإنما آنا، وأشعة من الضوء تخرج من عينيها.

سألت: *"لماذا؟"*

هسّ كرادوك. ابتعدي. عودي. هزّ سلسلة القلادة الذهبية بدوائر، وكانت الشفرة الهلالية تئز في الهواء، وتطلق شرارة فضية دائرية.

وقفت آنا على قدميها، عند قاعدة البوابة المتوهجة. لم يرَها جود تنهض. ففي لحظة كانت منكبة على وجهها، وفي اللحظة التالية كانت واقفة. ربما قفز الزمن، لم يعد الوقت مهماً بعد ذلك. رفع جود يده ليحجب الوهج الباهر عن عينيه، لكن الضوء كان منتشراً في كل مكان، ولم يكن هناك مفر منه. كان يستطيع رؤية العظام في يده، والجلد فوقها بلون العسل الصافي. نبضت جروحه، في الندبة في وجهه، وجذر سبابته المبتورة، بالألم الذي كان عميقاً ومبرّحاً، وفكّر أنه ربما يصرخ، خائفاً، وفرحاً، ومصدوماً من كل تلك الأشياء، أو مما هو أكثر من كل تلك الأشياء. النشوة.

قالت آنا مجدداً: *"لماذا؟"* عندما كانت تقترب من كرادوك. رمى السلسلة نحوها، ورسمت الشفرة الهلالية في طرفها ندبة عريضة على وجهها، من زاوية عينها اليمنى، عبر أنفها، وصولاً إلى فمها، لكن لم يظهر منها سوى شعاع جديد ساطع، وأينما وقع عليه الضوء، كان كرادوك يبدأ بالتحول إلى دخان. وصلت إليه آنا. *"لماذا؟"*

صرخ كرادوك عندما أمسكت به بذراعيها، صرخ وضربها مجدداً، على صدرها، وفتح شقاً آخر، ولمع في وجهه ضوء جميل، ضوء أحرق معالمه، ومحا كل شيء لمسه. كان عويله عالياً جداً حتى أن جود اعتقد أن طبلتي أذنيه ستنفجران.

قالت آنا: *"لماذا؟"* قبل أن تضع فمها على فمه، وقفز من البوابة خلفها كلبان أسودان، كلبا جود، وكلاب عملاقة، من الظلال لها أنياب من حبر.

كافح كرادوك مكديرموت، محاولاً دفعها بعيداً عنه، لكنها كانت تقع للخلف معه، نحو البوابة، ودارت الكلاب حول قدميه، وفيما كانت تركض، كانت أجسادها

تتمدد وتتغير أشكالها، وتنحل مثل كرات الغزل، وتصبح أوشحة طويلة من الظلام الذي يلفه، ويصعد حول ساقيه، ويلتف حول خصره، ويشد وثاق الرجل الميت إلى الفتاة الميتة. وعندما كان يتم سحبه للأسفل، إلى سطوع الجانب الآخر، رأى جود مؤخرة رأس كرادوك تزول، وانطلق منه شعاع من الضوء الأبيض الشديد لدرجة أنه كان أزرق عند أطرافه، وضرب السقف، حيث أحرق الجص، وجعله يغلي ويفور بالفقاعات.

سقطا عبر البوابة المفتوحة واختفيا.

45

استقرت الأوراق التي كانت تغزل فوق طاولة المطبخ بصوت خشخشة ضعيف، وتجمعت في كومة، في الموقع نفسه تقريباً الذي انطلقت منه. في السكون الذي تلا ذلك، انتاب جود القلق من صوت همهمة رقيقة، مثل نبض موسيقي عميق، لم يكن يسمعه بقدر ما كان يشعر به في عظامه. ارتفع وانخفض وارتفع مجدداً، وكان نوعاً من الموسيقى غير الإنسانية؛ غير إنسانية، لكنها ليست بغيضة. لم يسبق لجود أن سمع مطلقاً من قبل أي أداة تنتج أصواتاً مثل تلك. كانت أشبه بموسيقى عارضة لإطارات تهدر على الإسفلت. يمكن الإحساس بتلك الموسيقى القوية المنخفضة التواتر عبر الجلد أيضا. كان الهواء ينبض معها. وبدا كما لو أنها إحدى خصائص الضوء، الذي يتدفق عبر المستطيل المثقوب في الأرضية. طرفت عينا جود عندما وقع عليهما الضوء، وتساءل إلى أين ذهبت ماري – بث. *الموتى يأخذون ما هو لهم*، فكّر، وارتعش.

لا. لم تكن ميتة قبل دقيقة مضت عندما فتحت الباب. لم يقبل أن تكون قد ذهبت ببساطة، دون أثر يدل عليها على الأرض. زحف. كان الشيء الوحيد الذي يتحرك في الغرفة آنذاك. بدا سكون المكان، بعد ما حدث، صاخباً ولا يصدّق أكثر من ثقب بين عالمين. كان يتألم، ويده تؤلمه، ووجهه يؤلمه، وصدره يخزه، وخزا قاتلا جليديا – حاراً، رغم أنه كان واثقا تقريباً أنه إذا كان على وشك التعرض لأزمة قلبية بعد ظهيرة ذلك اليوم، فإن ذلك لن يحدث آنذاك. وباستثناء الهمهمة المستمرة التي كانت في كل مكان حوله، لم يكن هناك صوت على الإطلاق، ما عدا نشيج تنفسه، وصرير أظفار يده على الأرض. سمع نفسه يلفظ اسم ماري – بث مرة.

وكلما اقترب من الضوء، كان النظر إليه يصبح أصعب. أغلق عينيه، ووجد نفسه ما يزال قادراً على رؤية الغرفة أمامه، كما لو أنه ينظر إليها عبر ستارة شاحبة من الحرير الفضي، والضوء يخترق جفنيه المغلقين. نبضت الأعصاب خلف مقلتي عينيه بوقت متزامن مع ذلك الصوت الذي ينبض بشكل متواصل.

لم يستطع تحمّل كل الضوء، فأدار رأسه جانباً، واستمر بالزحف للأمام، وبتلك الطريقة لم يدرك جود أنه وصل إلى حافة البوابة المفتوحة حتى وضع يديه فيها فلم يكن هناك شيء يسنده. كانت ماري - بث - أم كانت آنا؟ - قد تمددت فوق البوابة المفتوحة، كما لو أنها لوح زجاج، لكن جود تهاوى مثل رجل مدان في قبضة الجلاد، ولم يكن لديه وقت حتى للصراخ قبل أن يسقط نحو الضوء.

46

اختفى الشعور بالسقوط والإحساس المزعج بانعدام الوزن في تجويف معدته وجذور شعره بسرعة قبل أن يدرك أن الضوء لم يعد شديداً آنداك. رفع يده ليحجب عينيه، ويختلس نظرة على أشعة الشمس الصفراء الباهتة. كان الأصيل قد حلّ. ومن زاوية الشمس عرف أنه في الجنوب. كان جود في الموستانغ محدداً، يجلس في مقعد الراكب. وآنا خلف المقود، تدندن لنفسها أثناء القيادة. كان المحرك يهدر بصوت منخفض ومنظّم؛ وكانت الموستانغ بحالة جيدة. بدت كما لو أنها خرجت من معرض السيارات سنة 1965.

قطعا ميلا أو نحو ذلك، دون أن يتحدث أي منهما، قبل أن يتعرف أخيرا على الطريق الذي كان يسلكانه وهو طريق الولاية العام 22.

أخيرا، سألها: "إلى أين نحن ذاهبان؟"

قوّست آنا ظهرها، وتمطّت. أبقت كلتا يديها على المقود. "لا أعرف. اعتقدت أننا سنقوم بجولة وحسب. إلى أين تريد الذهاب؟"

"لا يهم. ما رأيك برصيف شينشوبا؟"

"ماذا يوجد هناك؟"

"لا شيء. مجرد مكان نجلس فيه، ونستمع إلى المذياع، ونستمتع بالمنظر. كيف يبدو ذلك؟"

"يبدو مثل الفردوس. لا بد أننا في الفردوس".

عندما قالت ذلك، بدأ صدغه الأيسر يؤلمه. تمنّى لو أنها لم تقل ذلك. لم يكونا في الفردوس. لم يكن يريد سماع كلام مشابه.

سارا لبعض الوقت على طريق مسفلتة متصدعة متهالكة بمسربين. ثم رأى

الطريق الجانبية تظهر أمامه على اليمين وأشار إليها، أدارت ماري – بث الموستانغ نحوها دون أن تنبس ببنت شفة. كانت الطريق ترابية، والأشجار تنمو بالقرب منها وتنحني فوقها، وتشكل نفقاً من الضوء الأخضر الزاهي. تعاقبت الظلال وأشعة الشمس الساطعة على معالم ماري – بث الرقيقة المرهفة. بدت هادئة، وساكنة خلف مقود سيارة تحتاج لعضلات قوية، وسعيدة بأنها مقبلة على فترة بعد الظهر، ولا شيء محدد تقوم به عدا الوقوف في مكان ما مع جود والإصغاء إلى الموسيقى. متى أصبحت ماري – بث؟

كما لو أنه طرح السؤال بصوت عالٍ، لأنها استدارت ورسمت ابتسامة عريضة محرجة. "حاولت تحذيرك، أليس كذلك؟ فتاتان مرة واحدة".

"أنت حذرتني".

قالت ماري – بث: "أعرف الطريق التي نسلكها". دون أي أثر للهجة الجنوبية التي كانت قد طغت على صوتها في الأيام القليلة الماضية.

"أخبرتك. تلك التي تذهب إلى رصيف شينشوبا".

ألقت نظرة دراية، مسلية، مشفقة قليلاً عليه. ثم، كما لو أنه لم يقل شيئاً، تابعت ماري – بث: "اللعنة. بعد كل ما سمعته عن هذه الطريق، توقعت أن تكون أسوأ. إنها ليست سيئة. في الواقع، إنها لطيفة نوعاً ما. مع اسم مثل طريق الليل، يتوقع المرء على الأقل أن تكون مظلمة. ربما هي مظلمة لبعض الناس فقط".

انكمش؛ موجة ألم أخرى في الرأس. يريد أن يفكّر بأنها تاهت، وأخطأت بخصوص المكان الذي يقصدانه. يمكن أن تكون على خطأ. ليست مظلمة وحسب، وإنما بالكاد هي طريق.

بعد دقيقة، كانا يقفزان على طول أخدودين في التراب؛ قناتين ضيقتين مع حوض واسع من الأعشاب والأزهار البرية التي تنمو بينهما، والتي ضربت المصد، واحتكت بأسفل السيارة. تجاورا هيكل شاحنة بالية، موضوعة تحت شجرة صفصاف، سقفها مفتوح والأعشاب تنمو منها. لم يلق عليها جود أكثر من نظرة جانبية.

لم تعد هناك أشجار نخيل وأغصان مقطوعة عند المنعطف التالي، لكن ماري – بث أبطأت السرعة، بحيث أصبحت الموستانغ بالكاد تسير، وحتى تلك اللحظة كانا ما يزالان في ظل الأشجار التي تنحني فوق الرؤوس. طقطقت الحصى تحت

الإطارات، وكان ذلك صوتاً لطالما أحبه جود، وصوتاً يحبه الجميع. خلف الفسحة المليئة بالأعشاب، كان هناك بحر طيني بني اللون لبحيرة بونتشارتريان، والماء يتموج نتيجة الهواء، وحواف الأمواج تلمع مثل فولاذ مصقول جديد. كان جود مشغولاً قليلاً بالنظر إلى السماء، التي ارتدت حلّة من البياض الساطع. إنها سماء مغمورة بالضياء، ويستحيل النظر إليها بشكل مباشر، حتى لمعرفة مكان الشمس. أدار جود رأسه بعيداً عن المنظر، نظر شزرا ورفع يده ليحجب الشمس عن عينيه. اشتدّ الألم في صدغه الأيسر، وضرب بنبض متواصل.

قال: "اللعنة. تلك السماء".

"ليست شيئاً؟" قالت آنا من داخل جسد ماري – بث. "تستطيع الرؤية لمسافة بعيدة. تستطيع الرؤية حتى النهاية".

"لا أستطيع رؤية شيء".

قالت آنا: "لا". لكن ماري – بث ما تزال خلف المقود، وفم ماري – بث يتحرك. "ينبغي أن تحمي عينيك من الضوء. لا تستطيع أن تنظر إليه فعلاً. ليس بعد. نعاني من مشاكل في النظر خلفنا إلى عالمكم، مهما كانت قيمته. ربما لاحظت الخطوط السوداء فوق أعيننا. اعتبرها نظارة الموتى الأحياء". جملة جعلتها تضحك، ضحكة ماري – بث القوية الفظة.

أوقفت السيارة على حافة الفسحة تماما، في موقف السيارات. كانت النوافذ مفتوحة. وكان الهواء الذي يهب عليه يحمل رائحة الأغصان المقطوعة التي لفحتها الشمس، ورائحة الأعشاب البرية. كان يستطيع تمييز عطر بحيرة بونتشارتريان، وشذا المستنقعات المنعش.

انحنت ماري – بث نحوه، ووضعت رأسها على كتفه، ووضعت إحدى يديها على خصره، وعندما تحدثت مجددا، كانت تتحدث بصوتها هي. "كنت أتمنى العودة معك يا جود".

انتفض بارتعاش مفاجئ. "ماذا يعني ذلك؟"

نظرت بشغف إلى وجهه. "ياه. كدنا ننجح. كدنا ننجح، أليس كذلك يا جود؟"

قال جود: "توقفي عن هذا. لن تذهبي إلى أي مكان. ستبقين معي".

قالت ماري – بث: "لا أعرف. أنا متعبة. طريق العودة طويلة، ولا أعتقد

أنني أستطيع اجتيازها. أقسم أن هذه السيارة تستنـــزف جزءا مني كوقود، وأنا على وشك الانتهاء تماما".

"توقفي عن الحديث بتلك الطريقة".

"هل سنستمع إلى بعض الموسيقى؟"

فتح صندوق السيارة الداخلي، وتحسس بحثاً عن شريط. هناك مجموعة من الأشرطة، مجموعته الخاصة. أغانيه الجديدة. أراد أن تسمعها ماري – بث. أرادها أن تعرف أنه لم يستسلم. بدأت الأغنية الأولى. إنها "شراب للموتى". صدح الغيتار بلحن ريفي، ترنيمة عذبة منفردة، أغنية للأسى. اللعنة، رأسه يؤلمه، كلا صدغيه الآن، وهناك نبض متواصل خلف عينيه. يا لتلك السماء بضوئها الساطع.

عدلت ماري – بث جلستها، لكنها لم تكن ماري – بث عندها، وإنما آنا. كانت عيناها مشبعتين بالضوء، مشبعتين بالسماء. "كل العالم مصنوع من الموسيقى. جميعنا أوتار على قيثارة. نرد الصدى، ونغني معا. كان ذلك لطيفاً. مع تلك الريح على وجهي. عندما تغني، أغني معك يا عزيزي. تعرف هذا، أليس كذلك؟"

قال: "توقفي". استقرت آنا خلف المقود مجدداً، ووضعت السيارة على الطريق. "ماذا تفعلين؟"

انحنت ماري – بث من المقعد الخلفي، وأمسكت بيده. آنا وماري – بث منفصلتان الآن؛ إنهما شخصيتان متمايزتان ربما للمرة الأولى منذ أيام. "ينبغي أن أذهب يا جود'. انحنت فوق المقعد لتضع فمها على فمه. شفتاها باردتان ومرتعشتان. "ينبغي أن تخرج من هنا".

قال: "نحن". وعندما حاولت سحب يدها، لم يتركها، وضغط بشكل أقوى، حتى شعر بالعظام تتحرك تحت الجلد. قبلها مجددا، وقال في فمها: "ينبغي أن نخرج. نحن. نحن".

تحركت الموستانغ للأمام، تحت السماء المكشوفة، كان هناك حصى تحت الإطارات مجدداً. غمر الضوء المتوهج المقعد الأمامي، بسطوع يخفي كل العالم خلف السيارة، ولا يترك شيئا سوى ما بداخلها، وحتى ذلك لا يستطيع جود رؤيته سوى بصعوبة، حدق جود عبر السطوع بعينيه. كان الألم الذي يتوهج خلف مقلتي عينيه مذهلاً، ورائعاً. وكان ما يزال يمسك ماري – بث من يدها، ولا تستطيع

الذهاب إذا لم يتركها، والضوء - آه، يا الله، هناك ضوء شديد. هناك خطب ما بمسجل السيارة، أغنيته تتذبذب بين الوضوح والتشويش، وتختفي تحت نغمات موسيقية منخفضة، نفس الموسيقى العربية التي سمعها عندما سقط عبر البوابة بين العالمين. أراد أن يقول لماري - بث شيئا، أراد أن يعبر لها عن أسفه لأنه لم يستطع الوفاء بوعوده، الوعود التي قطعها لها، والوعود التي قطعها على نفسه، أراد أن يقول كم يحبها، لكنه لم يجد صوته، ولم يستطع التفكير والضوء ساطع في عينيه وذلك الطنين في رأسه. يدها. ما زال يمسك يدها. ضغط على يدها مرة، وثانية، محاولاً أن يقول لها ما يريد قوله باللمس، فبادلته الضغط.

عبر الضوء، رأى آنا، رآها تضيء، وتشع مثل يراعة، وراقبها تترك المقود، وتبتسم، وتقترب منه، ثم تضع يدها فوق يده ويد ماري - بث، وتقول: "يا شباب، أعتقد أن هذا اللعين الكثيف الشعر يحاول النهوض".

على قيد الحياة

47

طرفت عينا جود في الضوء الساطع المؤلم لمنظار يركز على عينه اليسرى. كان يحاول النهوض، لكن شخصاً ما كان يضع يداً على صدره، ويثبته بالأرض. شهق بالهواء، مثل سلحفاة خرجت للتو من بحيرة بونتشارتريان ورمت بنفسها على الشاطئ. كان قد قال لأنا إنهما قد يذهبان للصيد هناك، كلاهما. أم كانت تلك ماري - بث؟ لم يعد يعرف.

رُفع المنظار، وحدّق بذهول على سقف المطبخ المزين. يصنع المجانين أحياناً ثقوباً في رؤوسهم لإخراج العفاريت منها، لتخفيف ضغط الأفكار التي لا يستطيعون احتمالها. كل حفقة من قلبه كانت نفحة جديدة مذهلة، شعر بها خلف عينيه في صدغيه، مثل دليل عذاب على الحياة.

انحنى فوقه وجه متجهم ومتورد، ورسم ابتسامة عريضة على وجهه، وقال: "يا للهول. هل تعرف من هذا؟ إنه جود كوين".

قال شخص آخر: "هل نستطيع إخراج الحيوانات من الحظيرة؟"

كانت الحيوانات محصورة جانباً، تزعق ساخطة. انحنى رجل بلحية بنية شاحبة مشذبة وأنيقة، وذو عينين يقظتين فوق مجال رؤية جود.

"سيد كوين؟ ابق مستلقياً. فقدت الكثير من الدماء. سننقلك على حمالة".

قال جود، بصوت مرتعش يصفر: "آنا".

لمعت نظرة ألم قصيرة وشيء يدل على الأسف في عيني الشاب الزرقاوين: "هل كان ذلك اسمها؟"

لا. لا، ما قاله جود كان خاطئا. لم يكن ذلك اسمها، لكن جود لم يستطع سحب نفس لتصحيح ما قاله. ثم أدرك أن الرجل الذي ينحني فوقه أشار لها بالزمن الماضي.

تحدثت آرلين ويد نيابة عنه. "أخبرني أن اسمها ماري – بث".

انحنت آرلين من الجانب الآخر نحو الأسفل، تحدّق به، وتبدو عيناها كبيرتين بشكل مضحك خلف نظارتها. كانت تتحدث حول ماري – بث بالزمن الماضي، أيضاً. حاول الجلوس مجدداً، لكن المسعف الملتحي ثبّته بقوة على الأرض.

قالت آرلين: "لا تحاول النهوض يا عزيزي".

صدرت جلبة قاسية قربهم، ونظر إلى آخر جسده متجاوزاً قدميه، وشاهد حشداً من الرجال يجرّون حمالة نحو غرفة الجلوس. كيس أسود، مليء بالدماء، يتأرجح ذهابا وإياباً من قضيب معدني يتصل بالسرير. من زاويته على الأرض، لم يستطع جود رؤية أي شيء من الشخص على الحمّالة، ما عدا يد تتدلى من الجانب. اختفى الالتهاب الذي جعل راحة كف ماري – بث متغضنة وبيضاء، ولا أثر باقٍ له. تأرجحت يدها الصغيرة النحيلة، تماشياً مع حركة العربة، وفكّر جود في الفتاة التي تظهر في فيلمه المحروق، والطريقة التي بدت فيها مسترخية عندما فارقت الحياة. ألقى أحد المسعفين الذي يدفعون الحمّالة نظرة للأسفل، وشاهد جود يحدّق. أمسك بيد ماري – بث، وأعادها إلى جانبها. كان الرجال الآخرون الذين يدفعون الحمّالة متوارين عن الأنظار، ويتكلمون مع بعضهم البعض بأصوات منخفضة ومنفعلة.

"ماري – بث؟" نطقها جود، بهمس خافت، حمله زفير مؤلم.

قالت آلين: "ينبغي أن تذهب الآن. هناك مركبة إسع – عاف أخرى قادمة من أجلك يا جود".

سأل جود: "تذهب؟" لم يستوعب ذلك فعلاً.

"لا يستطيعون فعل شيء لها في هذا المكان، هذا كل ما في الأمر. حان الوقت لنقلها الآن". ربتت آرلين على يده. "مركبتها هنا".

48

خلال أربع وعشرين ساعة غاب جود عن الوعي وأفاق عدة مرات.

أفاق مرة وشاهد محاميته، نان شريف، واقفة عند باب غرفته الخاصة، تتحدث مع جاكسون براون. كان جود قد التقاه قبل سنوات، في حفل جوائز غرامي. وكان جود قد انسل في منتصف الحفل ليذهب إلى الحمامات، وفيما كان يقضي حاجته، صدف أنه نظر حوله ليجد جاكسون براون يقضي حاجته أيضاً في المبولة بجانبه. أومأا فقط برأسيهما لبعضهما، ولم يقولا مرحباً أبداً، وهكذا لم يتخيل جود سبب وجود جاكسون في لويزيانا الآن. ربما لديه قضية في نيوأورليانز، لقد سمع جاكسون أن جود كاد يلقى حتفه، وجاء ليعبر عن تعاطفه. ربما سيزور سيل من نجوم الروك – آند – رول جود الآن، وسيتقاطرون إليه ليشدّوا من أزره. كان جاكسون براون يرتدي ملابس رسمية – سترة زرقاء، ربطة عنق – ولديه شارة ذهبية معلقة بحزامه، إلى جانب قراب المسدس. سمح جود لجفني عينيه بالإغلاق.

كان لديه شعور غامض بمرور الوقت. عندما أفاق مجددا، كان هناك نجم روك آخر يجلس بجانبه: ديزي، عيناه كلها خربشات سوداء، ووجهه شديد النحول نتيجة إصابته بالإيدز. مدّ يده، وأمسك بها جود.

قال ديزي: *"ينبغي أن تأتي يا رجل. كنت هناك من أجلي"*.

قال له جود: "أنا سعيد لرؤيتك. اشتقت إليك".

قالت الممرضة الواقفة على الجانب الآخر من السرير: "عفواً؟"

نظر إليها جود، ولم يكن يعرف بوجودها هناك. عندما نظر مجدداً إلى ديزي، اكتشف جود أن يده خالية.

سألت الممرضة: "مع من تتكلم؟"

"صديق قديم. لم أرَه منذ مات".

تنهدت. "ينبغي أن نخفف من مسكناتك يا عزيزي".

لاحقاً، جال أنغوس عبر الغرفة، واختفى تحت السرير. ناداه جود، لكن أنغوس لم يخرج مطلقاً، وبقي تحت السرير، يضرب ذيله على الأرض، بتواتر متواصل يتماشى مع خفقات قلب جود.

لم يكن جود واثقاً من هوية الشخص الميت أو المشهور الذي سيراه تالياً، وكان متفاجئاً عندما فتح عينيه، ووجد نفسه في غرفة لوحده. كان في الطابق الرابع أو الخامس في مستشفى خارج سليديل. كانت بحيرة بونتشارتريان تبدو خارج النافذة، زرقاء كئيبة في ضوء بعد الظهيرة، وساحلها مزدحم بطيور الكركي (نوع من اللقالق)، وناقلة نفط صدئة تمخر عبابها نحو الشرق. أدرك، للمرة الأولى، أنه يستطيع شم رائحتها، رائحة طحلب الماء المالح، فبكى.

وعندما استطاع تمالك نفسه، استدعى الممرضة. جاء طبيب عوضاً عنها، رجل أسود نحيل، بعينين حزينتين متورمتين ورأس حليق. بدأ يشرح لجود عن حالته بصوت خافت أجش.

قاطعه جود: "هل استدعى أحد بامي؟"

"من تكون؟"

قال: "جدة ماري – بث. إذا لم يستدعها أحد، أريد أن أكون من يتصل بها. ينبغي أن تعرف بامي بما حدث".

"إذا كان لديك لقبها ورقم هاتفها أو عنوانها، يمكنني الطلب من إحدى الممرضات استدعاءها".

"ينبغي أن أقوم أنا بذلك".

"لقد عانيت الأمرّين. أعتقد، نظراً للحالة العاطفية التي تمر بها، أن اتصالاً منك ربما يقلقها".

حدّق به جود. "حفيدتها ماتت. الشخص الذي تحبه أكثر من أي شيء آخر في العالم. هل تعتقد أنه لن يقلقها تلقّي الخبر من غريب؟"

قال الطبيب: "لهذا السبب بالتحديد سنقوم نحن بالاتصال. إنه الشيء الذي لا

ترغب بأن تسمعه عائلتها. في المكالمة الهاتفية الأولى مع الأقارب، نفضّل التركيز على الأمور الإيجابية".

خطر لجود أنه ما يزال مريضاً. تبدو المحادثة غريبة حتى أنه ربطها بتأثير الحمّى. هزّ رأسه وبدأ يضحك. ثم لاحظ أنه يبكي مجدداً. مسح وجهه بيدين مرتعشتين.

سأل: "تركيز على أي إيجابي؟"

قال الطبيب: "ربما يكون الخبر أسوأ. على الأقل، حالتها مستقرة الآن. وقلبها لم يتوقف سوى لدقائق معدودة. هناك أشخاص كانوا أمواتاً لوقت أطول. لن يكون هناك سوى أقل...".

لكن جود لم يسمع البقية.

49

خرج إلى الردهة، رجل بطول ستة أقدام، يزن 120 كلغ، ويبلغ من العمر أربعاً وخمسين سنة، شعر لحيته السوداء الكثيف مشعث، ولباس المستشفى الذي يرتديه مفتوح من الخلف وتظهر منه مؤخرته الهزيلة الخالية من الشعر. هرول الطبيب خلفه، وتجمعت الممرضات حوله، يحاولن إعادته إلى غرفته، لكنه تابع السير، وحقنة السيروم ما تزال في ذراعه، يجر الكيس وراءه على حاملها المعدني المدولب. كان صافي الذهن، وصاحياً تماماً، ويداه لا تزعجانه، وتنفسه منتظم. حالما خرج من غرفته، بدأ ينادي باسمها. كان صوته جيداً بشكل مفاجئ.

قال الطبيب: "سيد كوين. سيد كوين، إنها ليست على ما يرام. لست على ما يرام...".

أسرعت بون بتخطي جود، عبر الردهة، وانعطفت يميناً عند الزاوية التالية. سرّع خطاه. وصل إلى الزاوية، ونظر في ممر آخر في وقت مناسب ليرى بون تتسل عبر باب مردوج، على بعد عشرين قدم. أُغلق الباب خلفها، بشكل آلي. اللافتة المضاءة فوق الأبواب تقول **وحدة العناية المركزة**.

اعترض ضابط أمن قصير مربوع طريق جود، لكن جود استدار حوله، فكان على رجل الأمن أن يهرول ليلحق به. دفع نفسه عبر الأبواب إلى وحدة العناية المركزة. كانت بون قد اختفت داخل غرفة مظلمة إلى اليسار.

دخل جود خلفها. لم يستطع رؤية بون، لكن ماري - بث كانت على السرير الوحيد، مع عرز سوداء في حنجرتها، وأنبوب هواء يدخل عبر منخريها، وآلات تصدر إشارات إلكترونية في الظلام حولها. فتحت عينيها قليلا عندما دخل جود ينادي باسمها. كان وجهها متعبا، وبشرتها رطبة وشاحبة، وبدت هزيلة، ولدى

رؤيتها دق قلبه بفرح غامر. ثم جلس بجانبها، على حافة الفراش، وضمها إلى ذراعيه، وكان جلدها رقيقاً وعظامها مثل العصي الجوفاء. وضع وجهه على عنقها المجروح، وعلى شعرها، وأخذ نفساً عميقاً، وكأنه بحاجة ليشم رائحتها، لإثبات أنها ما تزال موجودة، إثبات حقيقي بأنها على قيد الحياة. ارتفعت إحدى يديها بوهن إلى جانبه، ومررتها على ظهره. كانت شفتاها، عندما قبّلها، باردتين؛ وارتعشتا.

قال جود: "اعتقدت أنك رحلت. كنا في الموستانغ مجددا مع آبا، واعتقدت أنك رحلت".

همست ماري - بث: "آه، اللعنة". بصوت لم يكن أعلى من تنفسها. "خرجت، مللت من التواجد في السيارات طوال الوقت. جود، هل تعتقد أننا عندما نذهب إلى المنـــزل يمكننا الطيران فقط؟"

50

لم يكن نائماً، لكن كان يفكر بأن عليه أن يكون كذلك، عندما فُتح الباب. التفت نحوه متسائلاً أي شخص ميت أو أسطورة روك أو وحش شبح يزوره الآن، لكنها كانت نان شريف، ترتدي تنورة عمل جلدية وسترة رسمية وجوربي نايلون لونهما لحمي. حملت حذاءها العالي الكعب في يد، ومضت تمشي سريعاً على أطراف أصابعها، ثم أغلقت الباب برفق خلفها.

قالت: "تسللت". تغضن أنفها وغمزته. "ليس مفروضاً أن أكون هنا بعد".

كانت نان امرأة قصيرة ونحيلة، بالكاد يصل رأسها إلى صدر جود. كانت تنقصها الكياسة الاجتماعية، ولا تعرف كيف تبتسم. كانت تكشيرتها قاسية، مصطنعة ومؤلمة، ولا توحي بأي شيء ينبغي أن توحي به الابتسامة: الثقة، التفاؤل، الدفء، السعادة. كانت في السادسة والأربعين، متزوجة ولديها ولدان، ومحاميته منذ عقد تقريباً. كان جود، إضافة إلى ذلك، صديقها منذ وقت أطول من ذلك، عندما كانت ما تزال في العشرين. لم تكن تعرف كيف تبتسم عندها أيضاً، وفي تلك الأيام لم تحاول حتى أن تتعلم. كانت أكثر حيوية وأقل موردا عندها، ولم يكن يدعوها نان.

قـــال جـــود: "مرحباً يا تينيسي. لماذا ليس مفروضاً أن تكوني هنا؟" بدأت تمشي نحو السرير، لكنها ترددت عند ذلك. لم يكن يقصد أن يدعوها تينيسي، وإنما كانت زلة لسان. كان متعباً. اهتزت رموشها، وللحظة بدت ابتسامتها حزينة أكثر من المعتاد. ثم تابعت المشي مجدداً، ووصلت إلى سريره، وأجلست نفسها على كرسي بجانبه.

قالت، وهي تسحب قدميها للخلف على عقبيها: "اتخذت الإجراءات اللازمة للقاء كواين في الردهة. إنه الشرطي المسؤول عن التحقيق عما جرى. إلا أنه

تأخر. لقد مررت على حادث *فظيع* على الطريق العام، وأعتقد أنني رأيت سيارته مركونة على جانب الطريق، لهذا لا بد أنه توقف لمساعدة شرطة الولاية".

"ما هي تهمتي؟"

"لماذا ستكون متهماً بأي شيء؟ والدك. جود، والدك هاجمك. لقد هاجمكما. أنت محظـــوظ لأنك لم تلق حتفك. يريد كواين تصريحاً فقط. أخبره بما جرى في منـــزل والـــدك. أخـــبره الحقـــيقة". نظرت في عينيه، ثم تحدثت بحرص شديد، مثل أم تكرر توجـــيهاً بسيطاً لكنه مهم لطفلها. "كان والدك يعاني من مشكلة مع الحقيقة. هذا يحدث. أطلقـــوا علـــيه اســـماً: 'عضب كبر السن'. هاجمك وماري – بث كمبل، وقتلته دفاعاً عنكما. هذا كل ما يريد كواين سماعه. ما حدث فعلاً". وفي اللحظات الأخيرة، أصبح حديـــثهما ودّياً واجتماعياً بطريقة ما. اختفت تكشيرتها المرسومة على وجهها، وأصبح يجلس مجددا مع تينيسي؛ تينيسي القوية الصارمة والثاقبة النظر.

أومأ برأسه.

قالت: "وربما يكون لدى كواين بعض الأسئلة حول الحادث الذي بتر إصبعك. وقتل الكلب. الكلب في سيارتك؟"

قال جود: "لا أفهم. ألا يريد التحدث معي حول ما حدث في فلوريدا؟"

طرفت رموشها بسرعة، وللحظة كانت تحدّق به بارتباك لا شك فيه. ثم عادت النظرة الثاقبة إلى وجهها وأصبحت أكثر صرامة. 'هل حدث شيء في فلوريدا؟ شيء ينبغي أن أعرفه يا جود؟"

إذاً، ليس هناك مذكرة بحقه في فلوريدا. هذا ليس منطقياً. لقد هاجم امرأة وطفلتها، وأصابته بعيار ناري، وكان جزءاً من حادث؛ لكن إذا كان رجلاً مطلوباً في فلوريدا، فإن نان كانت ستعرف بالأمر آنذاك، وكانت ستسعفه بحجة ما.

تابعت نان: "جئت جنوباً لرؤية والدك قبل أن يموت. فتعرضت لحادث قبل أن تصل إلى مزرعته بقليل أثناء خروجك للتنـــزه مع الكلب على جانب الطريق، وتعرضتما لإصابة. سلسلة غير معقولة من الأحداث، لكن ذلك ما حدث. لا شيء آخر يبدو منطقياً".

فُتح الباب، ودخل جاكسون براون إلى الغرفة. كانت لديه وحمة على عنقه لم يلاحظها جود من قبل، لطخة قرمزية بشكل يد لها ثلاثة أصابع، وعندما تحدث، كان يزعق بشكل فظ، وبلهجة أهل لويزيانا.

"سيد كوين. ما تزال معنا؟" انتقل بصره من جود إلى نان شريف بحانبه. "سيخيب أمل شركة إنتاجك. أظن أنهم كانوا يخططون لإصدار أسطوانة رائعة". ضحك عندها، حتى سعل، ودمعت عيناه. "سيدة شريف. لم أحدك في الردهة". قالها بمرح، لكن الطريقة التي نظر بها إليها، تدل على أن عينيه تتساءلان، وبدا مثل اتهام تقريباً. أضاف: "وكذلك الممرضة وراء طاولة الاستقبال. قالت إنها لم ترك".

قالت نان: "لوّحت لها عندما مررت بها".

قال جود: "ادخل. قالت نان إنك تريد التحدث معي".

قال المحقق كواين: "يجب أن أضعك رهن الاعتقال".

تسارع نبض جود، لكن صوته، عندما تحدث، كان هادئاً ولطيفا. "لماذا؟"

قال كواين: "أسطواناتك الثلاثة الأخيرة. لدي ابنتان، وهما تستمعان إليها بصوت عالٍ جداً، حتى أن الجدران تهتز، والأطباق تتحرك، وأشعر أنني على وشك إلقاء شتيمة لعينة، هل تفهمني؟ وكل هذا على ابنتيّ الحبيبتين، اللتين لا أطيق الإساءة إليهما في ظل ظروف عادية". تنهد، واستخدم ربطة عنقه ليمسح جبينه، ومشى حتى وصل إلى طرف السرير. عرض على جود آخر قطعة من لبان بنكهة عصير الفاكهة. وعندما رفض جود، رمى كواين القطعة في فمه وبدأ يعلك. "ستحبها بطريقة ما، بغض النظر عمّا تشعر به أحيانا".

قال جود: "ذلك صحيح".

قال كواين، وهو يسحب دفتر ملاحظات من جيب داخلي في سترته: "بضعة أسئلة فقط. نريد أن نبدأ بما حدث قبل أن تصل إلى منـــزل والدك. لقد تعرضت لحادث، أليس كذلك؟ كان يوماً مريعاً بالنسبة لك ولصديقتك، صحيح؟ ثم هاجمكما والدك. طبعاً، مما كان بادياً عليك، والحالة التي كان عليها، ربما فكّر أنك... لا أعرف. مجرم جاء لنهب مزرعته. روح شريرة. رغم ذلك، لا أعرف لماذا لم تذهب إلى المستشفى بعد الحادث الذي بتر إصبعك".

قال جود: "حسناً. لم نكن بعيدين عن منـــزل والدي، وأعرف أن عمتي موجودة هناك. إنها ممرضة مجازة".

"هكذا إذاً؟ أخبرني عن السيارة التي صدمتكما؟"

قال جود: "شاحنة. سيارة شحن صغيرة". نظر خلسة نحو نان، التي أومأت برأسها، قليلاً فقط، وهي تراقب بعينيها الواثقتين. أخذ جود نفسا عميقا، وبدأ يكذب.

51

قبل أن تغادر نان غرفته، ترددت عند الباب، ونظرت للخلف إلى جود. كانت التكشيرة بادية على وجهها مجددا، تلك الواسعة المتكلفة التي جعلت جود حزينا.

قالت نان: "إنها جميلة حقاً يا جود. وتحبك. يستطيع المرء معرفة ذلك من طريقة كلامها عنك. تحدثت إليها. للحظة واحدة فقط، لكن... لكن المرء يعرف. هل هي جورجيا؟" كانت عينا نان حجولتين، ومتعبتين، وحنونتين، كل ذلك في الوقت نفسه. طرحت السؤال دون أن تكون واثقة من رغبتها في معرفة الجواب.

قال جود بحزم: 'ماري – بث. اسمها ماري – بث".

52

عادا إلى نيويورك بعد أسبوعين للمشاركة في حدارة وفاة داني. كانت ماري – بث تضع وشاحا أسود حول عنقها يتماشى مع قفازيها المرركشين السوداوين. كانت فترة بعد الظهر عاصفة وباردة، لكن الحشد رغم ذلك كان كبيراً. بدا أن كل شخص تبادل أطراف الحديث، أو القيل والقال أو الهذر عبر الهاتف مع داني كان موحوداً، وكان هؤلاء كثيرين، ولم يغادر أحد منهم باكرا، حتى عندما بدأ المطر ينهمر.

53

سجل جود أسطوانة في الربيع، وهي تتضمن موسيقى بأغلبها. غنّى حول الموت، وغنّى حول الطرق في الليل. عرف رجال آخرون مقاطع الغيتار. كان يستطيع عزف الإيقاع، ولكن ذلك كل شيء، وكان بحاجة للعودة إلى العزف على الأوتار بيده اليسرى، كما فعل في طفولته، ولم يكن يجيد ذلك.

كانت مبيعات القرص المضغوط الجديد جيدة. لم يقم بجولة، بل أقام ثلاث حفلات محلية عوضاً عن ذلك.

علّمت ماري – بث الرقص في نادٍ محلي في هاي – بلينـــر، وكانت صفوفها مزدحمة.

54

وجدت ماري – بث سيارة دودج – تشارجر مهجورة في مقبرة سيارات محلية، وأحضرتها إلى المنـــزل مقابل ثلاثمئة دولار. أمضى جود الصيف التالي يتعرّق في الحديقة، دون قميص، وهو يعيد تصليحها. كان يدخل متأخرا كل ليلة، وقد لفحت الشمس كل جسده بقوة، ما عدا الندبة العصية اللامعة تحت وجنته. كانت ماري – بث تنتظر دائما قرب الباب، مع كأس من عصير الليمون. كانا أحياناً يتبادلان قبلة بطعم العصير البارد وزيت السيارات. وكانت تلك القبلات المفضلة لديه.

55

بعد ظهيرة أحد الأيام، في أواخر شهر آب، ولج جود إلى داخل المنـــزل، وهو يتعرق وقد لفحته الشمس، ووجد رسالة على المجيب الآلي من نان. قالت إن لديها بعض المعلومات له وأنه يستطيع معاودة الاتصال بها في أي وقت. أي وقت يعني الآن، واتصل بها في مكتبها. جلس على حافة مكتب داني القديم فيما كانت عاملة استقبال نان تحوّل المكالمة إليها.

قالت نان دون أي استهلال: "أخشى أن ليس لدي الكثير لأقوله لك حول شخص جورج روجر هذا. أردت أن تعرف فيما إذا ورد اسمه في أي سوابق إجرامية السنة الماضية، والجواب على ذلك يبدو لا. ربما إذا حصلت على المزيد من المعلومات منك، مثل سبب اهتمامك الرئيسي به...".

قال جود: "لا. لا تقلقي حول ذلك".

إذاً، لم يكن عدم تقديم روجر شكوى للسلطات مفاجئاً. فإذا كان قد رفع دعوى، أو حاول زج جود في السجن، فإن جود كان سيعرف بذلك بكل الأحوال. لم يتوقع حقاً أن تخرج نان بأي نتيجة. لا يستطيع روجر التكلم عمّا فعله به جود دون المخاطرة بكشف أمر ماري - بث، وكيف أقام معها علاقة عندما كانت قاصراً. وتذكر جود أنه كان شخصية هامة في السياسات المحلية. في الواقع، إيجاد ممولين فاعلين بعد اتهامه بسفاح الأقارب أمر بالغ الصعوبة.

"حالفني المزيد من الحظ في ما يخص جيسيكا برايس".

قال جود: "حقاً". مجرد سماع اسمها جعل معدته تتقلص.

عندما تحدثت نان مجدداً، كان ذلك بنبرة عادية متكلفة، أقل من أن تكون مقنعة. "برايس هذه رهن تحقيق نتيجة تعريضها حياة طفل للخطر واستغلاله

جنسياً. ابنتها، تخيل. من الواضح أن الشرطة جاءت إلى منـــزلها بعد أن استدعاها شخص ما في حادثة. صدمت برايس سيارتها بمركبة شخص آخر، أمام منـــزلها تماماً، بسرعة أربعين ميلاً بالساعة. وعندما وصلت الشرطة، وجدتها غائبة عن الوعي خلف المقود. وكانت ابنتها في المنـــزل تحمل مسدساً، وهناك كلبة ميتة على الأرض".

توقفت نان عن الكلام قليلا لتمنح جود فرصة للتعليق، لكن جود لم يكن لديه ما يقوله.

تابعت نان: "أياً كان الشخص الذي صدمت برايس سيارته فلم يكن ممكنا معرفته أبداً".

"لم تقل لهم برايس؟ ما هي قصتها؟"

"لا قصة. بعد أن هدّأت الشرطة من روع الفتاة، أخذوا المسدس منها. وعندما أرادوا وضعه في المكان المخصص له، وجدوا مغلفاً يحتوي صوراً، مخفياً في البطانة المخملية لعلبة المسدس. صور سلبية لفتاة. أشياء إجرامية. مريعة. يبدو أنهم استنتجوا أن الأم التقطتها. ربما يحكم على جيسيكا برايس بالسجن عشر سنوات. وفهمت أن عمر ابنتها ثلاث عشرة سنة فقط. أليس ذلك شيئاً فظيعاً؟"

قال جود: "إنه كذلك. بالضبط".

"هل تصدق أن كل ذلك حدث – حادث سيارة جيسيكا برايس، الكلبة الميتة والصور – في اليوم نفسه الذي توفي فيه والدك في لويزيانا؟"

لم يجب جود مجدداً. الصمت منجاة.

تابعت نان: "وفقا لنصيحة محاميها، استعملت جيسيكا برايس حقها القانوني في البقاء صامتة منذ اعتقالها. يبدو ذلك منطقياً لها. وضربة حظ أيضاً لكل من كان هناك غيرها. تعرف؛ مع الكلبة".

ضغط جود بالسمّاعة على أذنه. سكتت نان لفترة طويلة حتى أنه بدأ يتساءل فيما إذا انقطع الخط.

أخيراً، ليتأكد فقط أنها ما زالت على الخط، قال: "هذا كل شيء؟"

قالت نان بصوت لا تشوبه شائبة: "شيء آخر بعد. قال نجار يقوم بعمله في

آخر الشارع أنه شاهد ثنائياً مشبوهاً في سيارة سوداء متوارية عن الأنظار في وقت باكر من ذلك اليوم. قال إن السائق كان صورة طبق الأصل عن المغني الرئيسي في فرقة ميتاليكا".

كان على جود أن يصحك.

56

في عطلة نهاية الأسبوع الثاني من تشرين الثاني، تحركت سيارة دودج – تشارجر خارج كنيسة على طريق طيني أحمر في جورجيا، والعلب المعدنية تقرقع من الخلف. وضعت بامي أصابعها على فمها، وأطلقت الرعاريد.

57

ذهبا في أحد فصول الخريف إلى فيجي. زارا اليونان في الخريف الذي تلاه. وذهبا إلى هاواي في تشرين الأول التالي، وأمضيا عشر ساعات يوميا على شاطئ من الرمال الناعمة السوداء. كانت نابولي، في السنة اللاحقة، أفضل. ذهبا لقضاء أسبوع، وبقيا هناك لمدّة شهر.

لم يذهبا إلى أي مكان في خريف ذكرى زواجهما الخامسة. كان جود قد اشترى جروين ولم يرغب بأن يتركهما. وفي أحد الأيام، وبينما كان الجو بارداً ورطباً، مشى جود مع الكلبين الحديدين إلى المدخل ليأتي بالبريد. وعندما كان يشد المغلفات خارج العلبة، خلف البوابة الأمامية، مرت أمامه شاحنة صغيرة باهتة اللون على الطريق العام، فاقشعر بدنه، وعندما استدار ليشاهدها تبتعد، شاهد آنا تحدّق به عبر الطريق. شعر بوخز حاد في صدره، سرعان ما اختفى، تاركا إياه يلهث.

أبعدت خصلة شعر شقراء عن عينيها، وشاهد حينها أنها أصبحت أقصر قامة، وتتمتع بجسد رياضي أفضل من آنا، مجرد فتاة، في الثامنة عشرة على الأكثر. رفعت يدها لتلوّح بها بتردد. أشار لها برأسه أن تعبر الطريق.

قالت: "مرحباً يا سيد كوين".

قال: "ريز، أليس كذلك؟"

أومأت برأسها. لم تكن تعتمر قبعة، وكان شعرها رطباً. وكانت سترتها القماشية مبللة. قفز الجروان نحوها، وأبعدت نفسها عنهما، ضاحكة.

قال جود: "جيمي، روبرت. مكانكما. آسف. إنهما يتصرفان على سجيتهما، ولم أعلّمهما حسن السلوك بعد. هل تريدين الدخول؟" كانت ترتعش قليلا فقط. "أنت

مبللة. ستموتين من البرد".

سألته ريز: "هل هناك عدوى؟"

قال جود: "نعم. هناك عدوى. ستصيب الجميع عاجلاً أم آجلاً".

قادها إلى المنــزل نحو المطبخ المظلم. كان يسألها كيف وجدت طريقها إلى منــزله عندما نادت ماري - بث من أعلى السلالم، وسألت من هناك.

أجابها جود: "ريز برايس من تيستمنت. في فلوريدا. ابنة جيسيكا برايس؟"

لم يكن هناك أي صوت من أعلى السلالم للحظة. ثم نزلت ماري - بث الدرجات، وتوقفت عند آخرها. وجد جود مفاتيح الإنارة بجانب الباب، وأضاء المصابيح.

في لمعة السطوع المفاجئة التي تلت ذلك، تعرفت ماري - بث وريز على بعضهما دون كلام. كان وجه ماري - بث رصيناً، لا يمكن تفسيره. وكانت عيناها تستكشفان ما حولها. نقّلت ريز بصرها من وجه ماري - بث، إلى عنقها، إلى أثر الندبة على شكل هلال أبيض لامع حول حنجرتها. سحبت ريز ذراعيها من ردني معطفها، وشبكتهما. كان الماء يقطر منها ويتجمع حول قدميها.

قالت ماري - بث: "يا الله! جود، اذهب واحضر لها منشفة".

جلب جود منشفة من حمام الطابق الأول. وعندما عاد بها إلى المطبخ، كان الإبريق على النار، وريز تجلس على طاولة في المنتصف، وهي تخبر ماري - بث عن برنامج التبادل الطلابي الروسي الذي وفّر لها رحلة من مدينة نيويورك، وبقيتا تتحدثان عن بناء إينتاير - ستيك.

حضّرت ماري - بث الكاكاو الساخن وشطيرة الجبنة المشوية والطماطم فيما كان جود يجلس مع ريز إلى المنضدة. كانت ماري - بث لطيفة وودودة وضحكت من قلبها على قصص ريز، كما لو أن هذا من أكثر الأمور الطبيعية في العالم؛ بأن تستضيف فتاة بترت قطعة من يد زوجها عندما أطلقت النار عليه.

تولّت المرأتان مجمل الحديث. كانت ريز في طريقها إلى بوفالو، حيث ستلتقي أصدقاءها وتشاهد "فيفتي سنت" و"إيمنم". كانوا سيشدون الرحال بعد ذلك إلى نياغرا. اشترى أحد الأصدقاء قارباً قديماً يحمل منــزلاً صغيرا. كانوا سيعيشون فيه، ستة منهم. القارب يحتاج إلى ترميم، وكانوا يخططون لإصلاحه

وبيعه. كانت ريز مسؤولة عن طلائه. كان لديها فكرة لطيفة حقا عن لوحة تريد طلاءها على جانبه. كانت قد أنجزت لوحات مصغّرة سلفا. تناولت كراسة رسم من حقيبة الظهر التي تحملها، وعرضت عليهما بعضا من أعمالها. لم تكن رسومها محنكة، لكنها ملفتة للنظر، صور سيدات عاريات ورحال عجائز لا عيون لهم وأجهزة غيتار، موضوعة في أشكال متداخلة معقّدة. وإذا لم يستطيعوا بيع القارب، كانوا سيفتتحون عملاً عليه، إما لبيع البيتزا أو لرسم الوشوم. كانت ريز تعرف الكثير عن الوشوم، ورسمتها على جسدها. رفعت قميصها لتعرض لهم وشم أفعى رفيعة شاحبة تلتف حول نفسها في دوائر، وتأكل ذيلها.

قاطعهما جود ليسألها كيف ستصل إلى بوفالو. قالت إنه لم يتبق معها مال في محطة بن، وتتوقع أن تمشي بقية الطريق.

سألها: "هل تعرفين أن المسافة تبلغ ثلاثمئة ميل؟"

حدّقت به ريز، وقد اتسعت عيناها، ثم هزّت رأسها. "عندما ينظر المرء إلى الخريطة، لا يعتقد أن المسافات في هذه الولاية كبيرة لهذا الحدّ. هل أنت واثق أنها ثلاثمئة ميل؟"

رفعت ماري – بث طبقها الفارغ ووضعته في حوض غسل الصحون. "هل هناك أحد تريدين الاتصال به؟ أحد أفراد عائلتك؟ تستطيعين استخدام هاتفنا".

"لا يا سيدتي".

ابتسمت ماري – بث قليلاً عند سماعها ذلك، وتساءل جود فيما إذا كان أحد قد ناداها سيدتي من قبل.

سألت ماري – بث: "ماذا عن والدتك؟"

قالت ريز: "إنها في السجن. آمل ألا تخرج أبدا". ونظرت إلى الكاكاو. بدأت تعبث بخصلة شعراء طويلة من شعرها، تلفها حول إصبعها، شيء رأى جود آنا تفعله آلاف المرات. قالت: "لا أحبذ حتى التفكير بها. أحاول التظاهر بأنها ميتة أو شيء من هذا القبيل. لا أتمناها لأحد. إنها لعنة، هذا ما هي عليه. إذا فكرت يوما أنني سأكون أماً مثلها، سأجعل نفسي عاقراً فورا".

عندما أنهت شراب الكاكاو، ارتدى جود المعطف المطري وطلب من ريز أن ترافقه، لأنه سيأخذها إلى محطة الحافلات.

قطعا مسافة في السيارة دون أن يتكلما، وكان المذياع معلقا، ولا يوجد صوت سوى صوت المطر يبهمر على الزجاج وماسحات تشارجر تتحرك ذهابا وإيابا. نظر إليها مرة وشاهد أنها أعادت المقعد إلى الخلف وأن عينيها مغلقتان. كانت قد خلعت سترتها القطنية وغطت نفسها بها مثل بطانية. فاعتقد أنها نائمة.

لكنها فتحت عينا بعد فترة ونظرت إليه. "كنت مهتماً فعلاً بالحالة آنا، أليس كذلك؟"

أومأ برأسه. واستمرت ماسحات الزجاج تتحرك بسرعة.

قالت رير: "هناك أشياء فعلتها أمي ما كان ينبغي عليها القيام بها. أشياء أتخلى عن ذراعي اليسرى لأنساها. أفكر أحياناً أن خالتي آنا اكتشفت بعض ما كانت أمي تقوم به - أمي وكرادوك العجوز، زوج والدتها - ولهذا السبب انتحرت. لأنها لم تستطع العيش بعد ذلك مع ما تعرفه، لكنها لم تستطع التحدث حول الأمر أيضاً. أعرف أنها كانت تعيسة فعلا حينها. أعتقد أنها تعرضت لأشياء سيئة، أيضا، عندما كانت صغيرة. بعض الأشياء نفسها التي حدثت لي'. كانت تنظر إليه مباشرة آنذاك.

إذاً. لم تكن رير تعرف كل شيء فعلته والدتها، الأمر الذي اعتبره جود مؤشراً على وجود بعض الرحمة في العالم.

قالت: "آسفة لما فعلته بيدك. إنني أعني ما أقول. أحيانا أرى أحلاما، حول خالتي آنا. نذهب في رحلات معا. لديها سيارة قديمة جميلة مثل هذه، سوداء. ليست حربية، ليس في أحلامي. نذهب في رحلاتنا إلى الريف. نستمع إلى موسيقاك عبر المذياع. قالت لي إنك لم تأت إلى منــزلنا لتؤذيني. قالت إنك أتيت لتنهي الأمر. ولتلقى والدتي جزاء ما سمحت بحدوثه لي. أردت أن أقول فقط إنني آسفة، وآمل أن تكون سعيدا".

أومأ برأسه لكنه لم يجب، لأنه لم يكن، في الحقيقة، يثق بصوته.

دخلا المحطة معا. تركها جود على مقعد خشبي طويل، وذهب إلى مكتب الحجز وأحضر تذكرة إلى بوفالو. طلب من موظف الحجز أن يضعها في مغلف. ووضع فيه مئتي دولار، وطواهما داخل ورقة عليها رقم هاتفه وملاحظة تقول بأنها تستطيع الاتصال به إذا تعرضت لمشاكل على الطريق. عندما عاد إليها،

وضع المغلف في جيب حقيبتها المحمولة على الظهر عوضا عن أن يناولها إياه، حتى لا تنظر إلى محتوياته فورا وتعيد النقود.

سارت معه إلى الشارع، حيث كان المطر يهطل بغزارة أشد حينها وقد تلاشت آخر أضواء النهار، وأصبحت الأشياء زرقاء والأفق أحمر والجو باردا. استدار ليودّعها، ورفعت نفسها على أطراف أصابعها، وقبّلت جانب وجهه البارد الرطب. كان يفكر بها، حتى تلك اللحظة، كشابة، لكنّ قُبلتها كانت دون أدنى شك قبلة طفلة. بدت فكرة سفرها مئات الأميال جنوبا، دون أحد يعتني بها، مخيفة فجأة.

قال كلاهما للآخر: 'اعتنِ بنفسك'. في الوقت نفسه تماماً، بانسجام كامل، ثم ضحكا. ضغط جود على يدها، وأومأ برأسه، لكن لم يكن لديه شيء آخر يقوله عدا الوداع.

كان الظلام مخيما عندما دخل المنـزل. تناولت ماري - بث قارورتين من سام - أدمز من الثلاجة، ثم بدأت تفتش الأدراج بحثاً عن فتاحة القوارير.

قال جود: "أتمنى لو كنت أستطيع فعل شيء لها".

قالت ماري - بث: إنها يافعة. حتى عليك. اضبط نفسك، ألا تستطيع فعل ذلك؟'

"يا الله. ليس هذا ما عنيته".

ضحكت ماري - بث، ووجدت خرقة تنشيف الأطباق، ورمتها في وجهه.

"تنشّف. تبدو مثل متسكع مثير للشفقة عندما تكون مبللا'.

فرك شعره بالخرقة. مدّت ماري - بث يدها بعلبة جعة ووضعتها أمامه. ثم لاحظت أنه ما يزال مستاء، وضحكت مجددا.

قالت: "هيا الآن يا جود. إذا لم أداعبك بين الحين والآخر، لن تبقى أي إثارة في حياتك على الإطلاق". وقفت على الجانب الآخر من منصدة المطبخ، تراقبه بعطف وحنان. 'بكل الأحوال، أعطيتها تذكرة حافلة إلى بوفالو، و... ماذا؟ ما هو المبلغ؟"

"مئتا دولار".

"هيا الآن. لقد قدمت لها شيئا. فعلت الكثير. ماذا كان يفترض بك غير ذلك؟"

جلس جود على الطاولة في المنتصف، وحمل الجعة التي وضعتها ماري -

بت أمامه، لكنه لم يشرب منها. كان متعباً، وما يزال يشعر بالرطوبة والبرد من رحلته خارج المنـــزل. هدرت شاحنة كبيرة، أو مركبة ثقيلة ربما، على الطريق العام، وغاصت في نفق الليل البارد، ثم اختفت. كان يستطيع سماع الجروين في الزريبة، ينبحان عليها، وقد أثارهما صوتها.

قال حود: "أتمنى أن تصل".

قالت ماري – بث: "إلى بوفالو؟ لا أرى سببا يمنعها من ذلك؟"

قال حود: "نعم". رغم أنه لم يكن واثقاً مما كان يعنيه على الإطلاق.